

بجاني للهروب
في
حدائق العرب

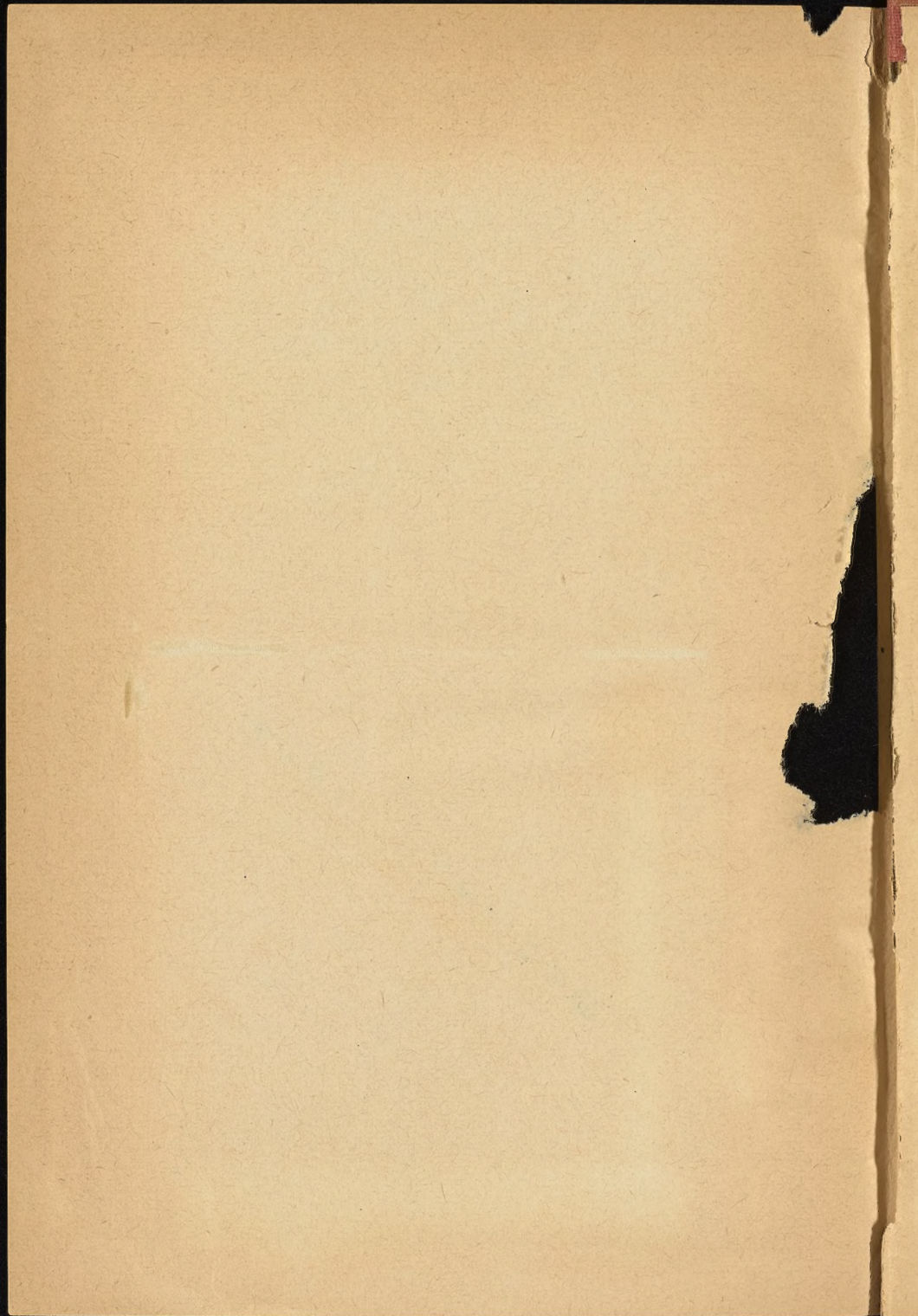
المطبعة الكاثوليكية - بيروت

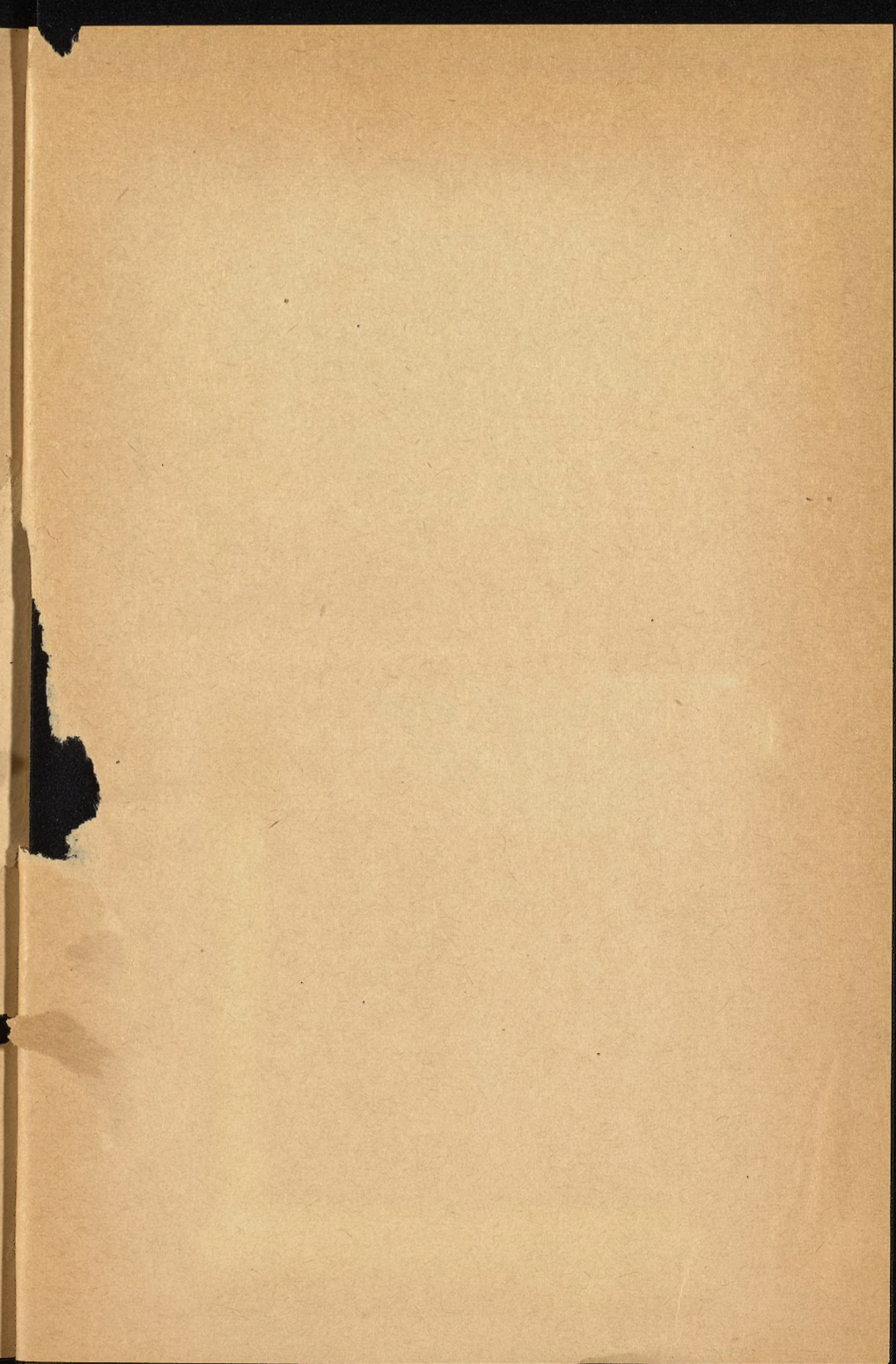
V. 3

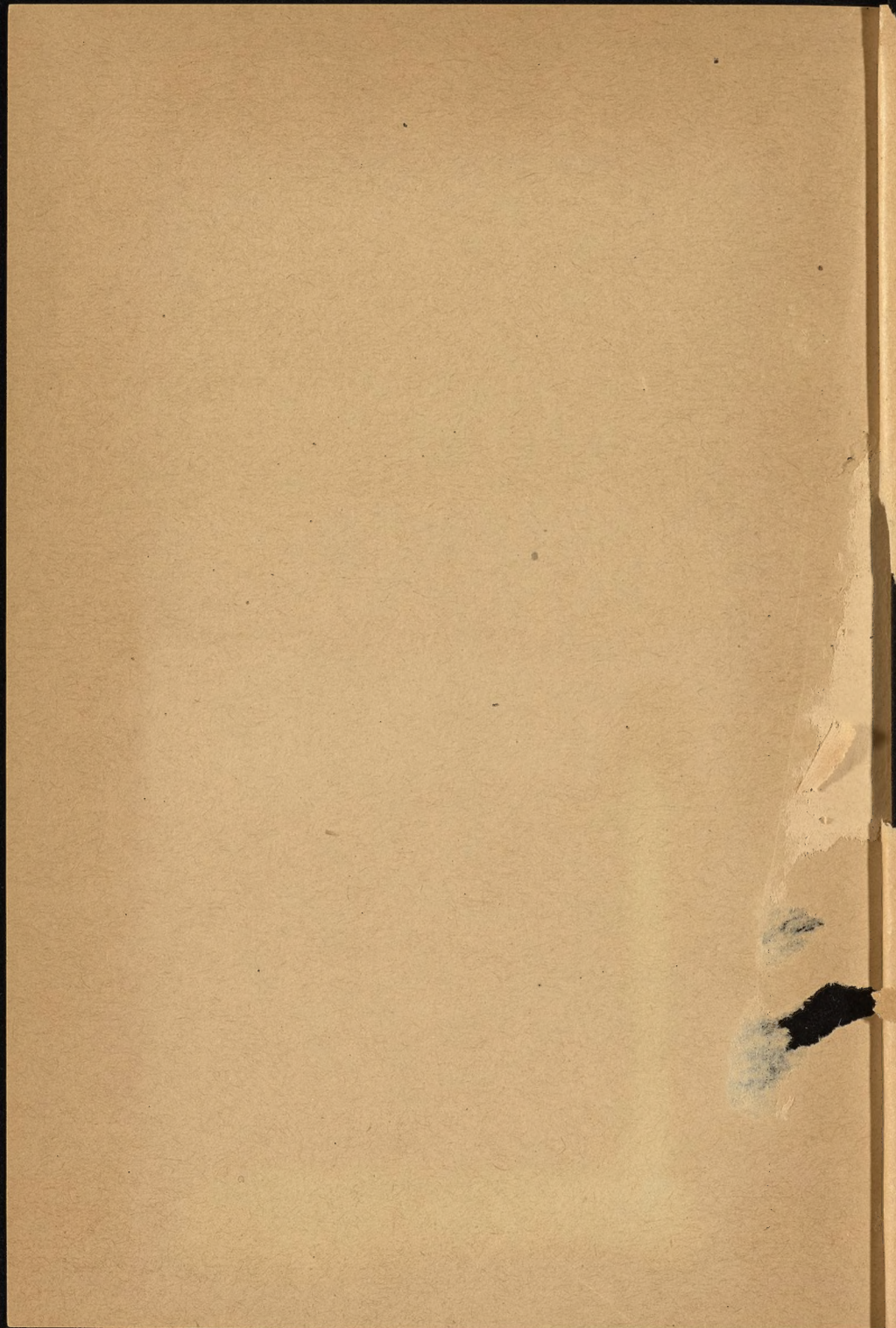


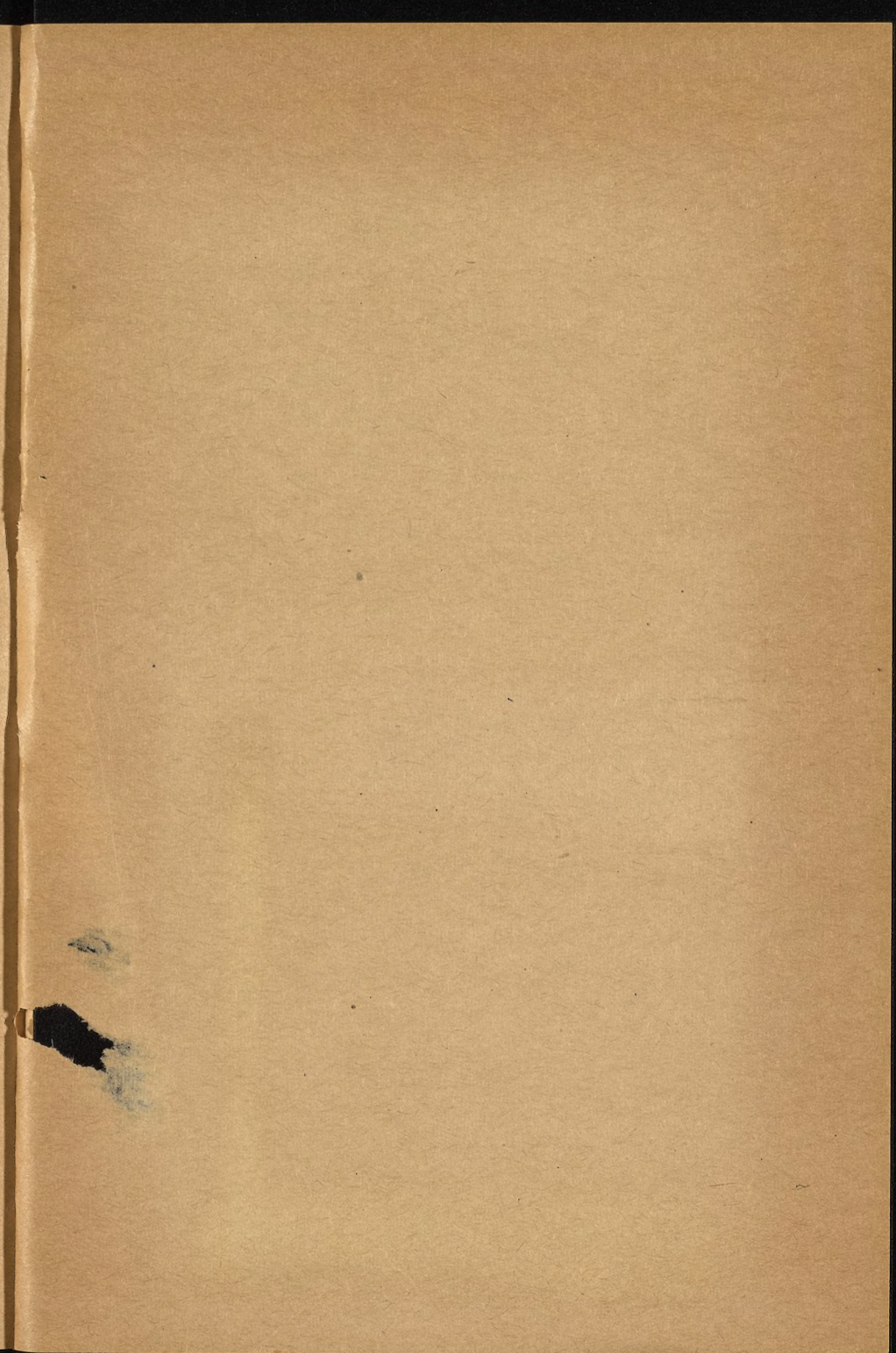
32101 043490190

[illegible]









Cheikho, Louis, 1859-1927, ed.

بجاني اللّوڤ
في
حدائق العرب

للأب لويس شيخو اليسوعي

المجلد الثالث

المطبعة الكاثوليكية
بيروت

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

PAIR>

2260

.252

.11

v.3

كل الحقوق محفوظة

الباب الأول في الستين

في كماله تعالى

١ إِنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ. هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ. خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَثَارِ. وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ. الْعَالِمُ بِالْخَفِيَّاتِ.
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ. سِوَاهُ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ.
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ. وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ. وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ. لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مَعِينٌ. وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَهِيرٌ. وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَمُنْ لَمْ يَكُنْ. لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ. وَلَا يُجَاوِرُهُ أَيْنَ. وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ. وَلَا تَعْدُهُ كَمْ. وَلَا
تَحْصُرُهُ مَتَى. وَلَا تَحِيطُ بِهِ كَيْفَ. وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ. وَلَمْ تَقْتِهِ بَعْدُ. وَلَمْ
تَجْمَعْهُ كُلُّ. وَصْفُهُ لَا صِفَةَ لَهُ. وَكُونُهُ لَا أَمَدَ لَهُ. وَلَا تُخَاطِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأَصْوَارُ. وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَثَارُ وَالْغَيْرُ. وَلَا تُجَوِّزُهُ عَلَيْهِ الْمُنَاسَةُ وَالْمُقَارَبَةُ.
وَتَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْأُمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ. إِنْ قُلْتَ: أَيْنَ هُوَ. فَقَدْ سَبَقَ
الْمَكَانَ وَجُودُهُ. لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ. هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ. وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ. وَإِنْ
قُلْتَ: مَا هُوَ. فَلَا مَا هِيَ لَهُ (مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّوَالِ عَنِ الْجُلُوسِ. وَالْقَدِيمِ

تَعَالَى لَا جِنْسَ لَهُ (وَإِنْ قُلْتَ كَمْ هُوَ . فَهُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ فَقَدْ سَبَقَ الْوَقْتَ كَوْنُهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ . فَمِنْ كَيْفِ الْكَيْفَةِ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفَةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ . فَالْهَاءُ وَالْوَاوُ خَلَقَهُ . فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . فَهُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الظُّنُونُ .
وَلَا تَتَصَوَّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْإَيَّامُ .
وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَقَارَنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبَعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عُلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَجَحِيئُهُ مِنْ
غَيْرِ تَنْقُلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَمَا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للطرطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا زُكْنَ مَنْ لَا زُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشُعَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
السَّحَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجْمِلُ . اَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْسُ الْمَوْنِينَ
لِلْمُتَكِلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدُهُمْ وَعَايَنَهُمْ وَالْمُطَّلِعُ عَلَى صَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَلْهُوفٌ . إِذَا أَوْحَشَنِي الْغُرْبَةُ

آ نَسْنِي ذِكْرَكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ الْغُيُومُ جَلَّاتُ إِلَى الْأَسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عِلْمًا بِأَنَّ أَرْمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلُبْنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَعْصُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَمِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ قَلْبِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُوَافَقَةِ الْحَقِّ أَتْبَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْعُلَاطَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَاةِ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتِدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي سَجَّحْتُ فِي نَوَائِبِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْدِيرٍ وَلَا رِبَاءٍ وَلَا شِمَّةٍ . وَاجْعَلْنِي أَتْبَغِي بِذَلِكَ وَجْهِكَ
 وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلَيْنَ الْجَانِبِ لِلْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرُ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ فَالْهِمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 الشَّطَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ بَتِّنِي بِالْيَقِينِ وَالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَأَحْيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فِيمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْحَسَابَةَ لِنَفْسِي
 وَإِصْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُحْتَجَبُ بِشِعَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرُبُ بِالْجَلَالِ وَالْكَبَرِيَاءِ وَأَشْهَرُ بِالْجَبْرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكَبَرِيَاءِ فِي تَفَرُّدِ جَدِّهِ . يَا مَنْ أَنْقَادَتْ

الْأُمُورُ بِأَرْمَتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مُجِيبَاتٍ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيْنَ السَّمَاءِ بِالْجُيُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحُلُقِهِ . يَا مَنْ
 أَنْارَ الْقَمَرِ الْمُتَنِيرِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَنْارَ الشَّمْسِ
 الْمُنِيرَةِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحُلُقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِبَشَرِهِ سَحَابٍ نَعِيمِهِ . أَسْأَلُكَ بِمَقَادِ الْعِزِّ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَثْبَتَهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّتْ بِهَا لِلْكَكِيمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْحُجُبِ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتِ الْجِبَالُ
 مُتَدَكِّكَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْإِسْمِ الَّذِي فَتَحْتَ
 بِهِ رَتَقَ عَظِيمٍ جُفُوفِ الْعُيُونِ لِلنَّاطِرِينَ . الَّذِي بِهِ تَدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجْجِ أَنْبِيَائِكَ . يَعْرِفُونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَرِّفَ عَنِّي وَأَهْلَ خِرَازِنِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْآفَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشَّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشِّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُتَّاتَ وَالغَضَبَ وَالْعُسْرَ وَالضِّيقَ وَقَسَادَ الصِّمِيرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 لَطِيفٌ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المنادة

يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّمَاءِ . يَا دَائِمَ الْبَقَاءِ . يَا وَاسِعَ الْعَطَاءِ .
 يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْعُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
 الْكُرُوبِ . يَا فَائِقَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّتَاتِ .
 يَا مُنْشِرَ الرِّفَاتِ . يَا قَالِقَ الصَّبَاحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيَّاحِ . فُجْرًا مَعَ
 الرُّوَّاحِ . يَجْلُنَ فِي النَّوَّاحِ . يَا هَادِيَ الرِّشَادِ . يَا مُلْهِمَ السَّدَادِ .
 يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُخَيِّ الْبِلَادِ . يَا مُطْلِقَ الْأَسِيرِ . يَا جَارَ الْكَبِيرِ .
 يَا مُغْنِيَ الْفَقِيرِ . يَا غَازِيَ الصَّغِيرِ . يَا مَالِكَ النَّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
 وَعَاصٍ . مَا عَنَّهُ مِنْ مَنَاصٍ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصٍ . أَجْرٍ مِنْ الْحَجْمِ .
 مِنْ هَوَاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّمِيمِ . مِنْ حَرِّهَا الْمُقِيمِ . لَسَكِنِي
 الْجَنَانَا . بَلِّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَلَّى . بِالنُّورِ قَدْ
 تَلَالَا . تَلَقَّى بِهِ الْجَلَالَا (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحَمِّدُ رَبَّهُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
 يَا قَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقِ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يَا مُسَبِّحَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسَبِّلَ السَّيْرِ الْجَمِيلِ عَيْمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يَا عَالِمَ السِّرِّ الْحَقِّيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ يُخَصِّي الثَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَتَنَبَّكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
 رَبُّ يُرِي الْعَالَمِينَ بِيَرِهِ وَنَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

تُفْصِيهِ وَهُوَ يَسُوقُ نَحْوَكُ دَائِمًا
مُتَفَضِّلٌ أَبَدًا وَأَنْتَ لِحُودِهِ
وَإِذَا دَجَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
وَأَيَسَتْ مِنْ وَجْهِ النُّجَاةِ فَأَلْهَمَهَا
يَأْتِيكَ مِنَ الطَّافَةِ الْفَرَجُ الَّذِي
يَأْمُوجِدُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَلْقَى إِلَى
وَمِنْ أَسْتَرَاخَ بَغِيرِ ذِكْرِكَ أَوْرَجَا
رَأَيْ يُلِمُّ إِذَا عَرَّتْهُ مُلَمَّةٌ
عَمَلٌ أُرِيدُ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
أَنَا عَبْدٌ سَوْءٌ أَتَى كُلَّ عَلَى
قَدْ أَثَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
هَاقِدًا أَتَيْتُ وَحَسَنُ ظَنِّي شَافِعِي
فَاعْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَأَرْزُقْهُ تَوْ
وَأَفْعَلْ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
٧ قَالَ السَّخِيُّ إِسْمَاعِيلُ الرِّمَزِيُّ :

يَا مَنْ تَحُلُّ بِذِكْرِهِ
يَا مَنْ إِلَيْهِ الشُّكَا
يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا
عُقْدُ النَّوَائِبِ وَالشَّدَايِدِ
وَالِلَّهِ أَمْرُ الْخَلْقِ عَائِدِ
صَدَدًا تَنْزَعُ عَنْ مُضَادِّهِ

أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَى الْعَبَا دِ وَأَنْتَ فِي الْمَلَكُوتِ وَاحِدٌ
 أَنْتَ الْعَلِيمُ بِمَا أُبْتَلِيتُ بِهِ وَأَنْتَ عَلَيَّ شَاهِدٌ
 إِنَّ الْهُمُومَ جِيُوشَهَا قَدْ أَصَبَتْ قَلْبِي تُطَارِدُ
 فَرَجَ بِجَوْلِكَ كُرْبَتِي يَأْمَنُ لَهُ حُسْنُ الْعَوَائِدِ
 فَحَقِّي لُطْفَكَ يُسْتَعَاذُ بِهِ عَلَى الزَّمَنِ الْمَعَانِدِ
 أَنْتَ الْمُسِيرُ وَالْمُسَيَّبُ وَالْمُسَهِّلُ وَالْمُسَاعِدُ
 سَبَبُ لَنَا فَرَجًا قَرِيبًا يَا إِلَاهِي لَا تُبَاعِدُ
 كُنْ رَاحِي فَلَقَدْ يَشْسُتُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْأَبَاعِدِ
 وَعَلَى الْعِدَى كُنْ نَاصِرِي لَا تُشْمِتْ بِي الْخَوَاسِدِ
 يَا ذَا الْجَلَالِ وَعَافِي مِمَّا مِنَ الْبَلَوَى أَكْبَادِ
 وَعَنْ أَلُورِي كُنْ سَاتِرًا عَيْنِي بِفَضْلٍ مِنْكَ وَارِدِ
 يَا رَبِّ قَدْ ضَاقَتْ بِي أَلْ أَحْوَالُ وَأَغْتَالُ الْمَعَانِدِ
 فَأَمْنُ بِنَصْرِكَ عَاجِلًا فَضْلًا عَلَى كَيْدِ الْخَوَاسِدِ
 هَذِي يَدِي وَبِشِدَّتِي قَدْ جِئْتُ يَا رَبَّاهُ قَاصِدُ
 فَلَكُمْ إِلَهِ قَدْ شَهِدْتُ لِقَبْضِ لُطْفِكَ مِنْ عَوَائِدِ

محبة الله والثقة به

٨ أَخْبَرَ يَحْيَى بْنُ إِسْطَاطٍ قَالَ : دَخَلْتُ يَوْمًا مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى
 عُقْبَةِ الْعَابِدَةِ الصَّرِيَّةِ وَكَانَتْ قَدْ تَعَبَدَتْ وَبَكَتْ خَوْفًا مِنَ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ
 حَتَّى عَمِيَتْ فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ : مَا أَشَدَّ الْعَمَى عَلَى مَنْ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ غُفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْعَيْنِ عَنِ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
حُبِّهِ وَأَنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا: (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ مُتَغَزِّلًا فِي حُبِّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ الْخُلُقَ طُرًّا فِي رِضَاكَ وَتَمَّتْ أَلْيَالُ لَيْلِي أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تُرَابٍ وَبْتُ مُجَاوِرَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنُونِي أَصْحَابِي وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ
قَالَ آخَرُ:

مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا بِهَمَّتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْآخِرَى بِهِ هَمَّةٌ
رَثَ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَرٍ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَةٌ
طُوبَى لِعَبْدٍ يُحِبُّ اللَّهَ مُعْتَصِمٍ عَلَى صِرَاطٍ سِوَى ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّفِيِّ:

يَا طَالِبَ الطَّيِّبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْدَاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِعَاقِبَةٍ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّيْرَاقِي فِي الْمَاءِ
قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَأَرْحَمَ عَمِيدًا فَأَنْتَ مُلْجَاهُ
يَا ذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْقًا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُ مِنْ حَبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلَتْ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَفْيٍ وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْنَاهُ
صَوْتِكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَةُ فَذَنْبِكَ الْآنَ قَدْ غَفَرْنَاهُ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ مَا تَتَاهُ طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلَنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠. أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ الْإِبَاقِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعَ أَهْلُ
الشَّرِيعَةِ عَنِ الْحُرْمَاتِ وَوَرَعَ أَهْلُ الطَّرِيقَةِ عَنِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْحَاسِبَةُ
وَهِيَ تَعْدَادُ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ مَعَ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّهَرُّعُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَخْلِيَةُ الْقَلْبِ
عَمَّا خَلَتْ عَنْهُ أَلْيَدُ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حَمْلُ النَّفْسِ
عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشَّكْوَى وَقَعِ النَّفْسِ . ثُمَّ الرِّضَا
وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلَوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخُلُقِ عَنْ مَعَامَلَةِ
الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
مَعَ الْعَالَمِ . بَانَ الْخَيْرُ فِيمَا اخْتَارَهُ (لباء الدين العاملي)

قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

يَا رَبُّ هَبْنِي لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا وَاجْعَلْ مَعُونَتَكَ فِي عُمْرِنَا مَدَدًا
وَلَا تَكِلْنَا إِلَى تَدْبِيرِ أَنْفُسِنَا فَالْنَفْسُ تَحْجِزُ عَنْ إِصْلَاحِ مَا فَسَدَا

الاستغفار الى الله

١١ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ : أَمَلِي عَلَيْنَا أَعْرَاجِي يُقَالُ لَهُ مُرْشِدٌ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي قَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حَتَّى يَفْنَى الْأَجَلُ . وَيَقْطَعَ الْعَمَلُ .
أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَعُثْمَتِهِ . وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفَّتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ . اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عِزِّي لَا
تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا . اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ . ثُمَّ عُدْتُ
فِيهِ يَا رَبُّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ . وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ .
فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ .
وَأَمْسَيْتُ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا . اللَّهُمَّ إِنِّي
أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي . اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا . وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ
صَبَرُوا . وَإِذَا أَذُكِرْتُمْ ذَكَرُوا . وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْبًا . لَا فَاجِرًا وَلَا
مُرْتَابًا . اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا أَرْزَدُوا وَإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .
اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ . وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ
مَا حِيطَ بِهِ شَفَقَتِي . وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سُبْحَتِي . وَتَحْجِزُ عَنْهُ قُوَّتِي . أَدْعُوكَ
دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ . ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ . دُعَاءٌ مِنْ بَدَنِهِ

ضَعِيفٌ وَمِنْتُهُ عَاجِزَةٌ . قَدْ أَتَيْتُ عِدَّتَهُ . وَخَلَقْتَ جِدَّتَهُ . وَتَمَّ ظَمُّهُ .
 اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ . وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا أَدْعُوكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى
 طَوْلِ النَّسِيئَةِ . وَحَسَنِ التَّبَاعَةِ وَتَشَجُّعِ الْعُرُوقِ وَإِسَاعَةِ الرِّيقِ وَتَأَخُّرِ
 الشَّدَائِدِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ . وَعَلَى عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلَالِ إِلَّا لَكَ . وَأَعُوذُ
 بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فُجُورًا . أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا . وَأَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شِمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ . وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ (لابن عبد ربه)

١٢ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْأُقْلَيْشِيِّ مُسْتَغْطَفًا :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ لَهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ قَلْبٌ مُخَالَفُ
 قَدِيمَا عَصَى عَمْدًا وَجَهْلًا وَغِرَّةً وَلَمْ يَنْهَ قَلْبٌ مِنَ اللَّهِ خَائِفُ
 تَرْيِدِ سِنُوهُ وَهُوَ يَزْدَادُ ضَلَّةً فَهَذَا هُوَ فِي لَيْلِ الضَّلَالَةِ عَاكِفُ
 تَطْلَعُ صُبْحُ الشَّيْبِ وَالْقَلْبُ مُظْلَمٌ فَمَا طَافَ مِنْهُ مِنْ سَنَى الْحَقِّ طَائِفُ
 نَلَا تُؤْنَعَامًا قَدْ تَوَاتَ كَأَنَّهَا حُلُومٌ تَقْضَتْ أَوْ بُرُوقٌ خَوَاطِفُ
 وَجَاءَ الشَّيْبُ الْمُنْدِرُ الْمَرءَ أَنَّهُ إِذَا رَحَلَتْ عَنْهُ الشَّيْبَةُ تَأَلَّفُ
 فَيَا أَحْمَدُ الْخَوَّانُ قَدْ أَدْبَرَ الصَّبَا وَنَادَاكَ مِنْ سِنِّ الْكُهُولَةِ هَاتِفُ
 فَهَلْ أَرَقَ الطَّرْفُ الزَّيْمَانُ الَّذِي مَضَى وَأَبْكَاهُ ذَنْبٌ قَدْ تَقَدَّمَ سَالِفُ
 فَجِدْ بِالْأَمْعِ الْخَمْرُ حُرْنَا وَحَسْرَةٌ قَدَمُكَ يُبْنِي أَنَّ قَلْبَكَ آسِفُ
 قَالَ آخِرُ :

إِلَهُ الْخَلْقِ قَدْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي فَسَاحِ مَا لِعَفْوِكَ مِنْ مُشَارِكِ

أَجْرِي يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَنَاخَ بَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَأِنِّي لَا دَعْوَى لِلَّهِ أَسْأَلُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَقْفِرُ
لِمَنْ أَعْظَمَ النَّاسُ الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصْغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْخَطِيبِ مُسْتَفْرًا :

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الصِّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمُفْرَعُ
يَا مَنْ خَرَانُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ أَمِنْ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَبِالْإِقْفَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمِنْ رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يَمْنَعُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يُقَيِّطَ عَاصِيًا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِيِّ :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
يَخَافُ ذُنُوبًا لَمْ يَغِبْ عَنْكَ عَيْبُهَا وَيَرْجُوكَ فِيهَا فَهُوَ رَاجٍ وَخَائِفُ
فَيَا سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيفَتِي إِذَا نُشِرَتْ يَوْمَ الْحِسَابِ الصَّحَائِفُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلْمَةِ الْقَبْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ دُورُ الْقُرْبَى وَيَجْفُو الْمَوَالِفُ
لِمَنْ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ أَوْاسِعُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ مِنْ التَّلَوِيحَاتِ عَنْ أَفَلَاطُونِ الْأَلْهِيِّ أَنَّهُ قَالَ: رُبَّمَا خَلَوْتُ بِنَفْسِي
كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَمْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصَرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلَا بَدَنٍ عَارٍ عَنْ
الْمَلَابِسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَعْمَلُ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَيَحْيِيذُ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
وَالْبَهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْغَرِيبَةِ الْغَمِيَّةِ الْأَنْبِقَةِ مَا أَبْقَى مَعَهُ
مُتَحَبِّبًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصَرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ الثُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْبَهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَقْدِرُ الْأَلْسُنُ
عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَبُولِ نَفْسِهِ . فَإِذَا اسْتَعْرِفَنِي ذَلِكَ الشَّانُ
وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْبَهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعِ عَلَى احْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَيَحْيِيذُ حَجَبَتِ الْفِكْرَةِ عَنِّي ذَلِكَ النُّورُ فَأَبْقَى مُتَحَبِّبًا أَنِّي
كَيْفَ اتَّحَدَرْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَتَحَبَّبْتُ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطْرُبُوسٍ حَيْثُ
أَمَرَنَا بِالطَّلَبِ وَالتَّجَسُّسِ عَنْ جَوْهَرِ النَّفْسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِقَاءِ إِلَى
الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ .

(لبهاء الدين)

الباب الثاني في الزهد

في الخوف

١٦ قَالَ عَلِيٌّ: أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ لَمَنْ رَأَى أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ قَالِكِينَ. وَأَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ مُعَذِّبِينَ شُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ. وَقُلُوبُهُمْ مُحْزُونَةٌ. وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. وَحَوَائِجُهُمْ خَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّامًا قَلِيلَةً. لِعُقُوبِي رَاحَةٍ طَوِيلَةٍ. أَمَّا بِاللَّيْلِ فَصَفُّوا أَقْدَامَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ يَجَارُونَ إِلَى رَبِّهِمْ: رَبَّنَا رَبَّنَا. يَطْلُبُونَ فِكَالَ رِقَائِهِمْ. وَأَمَّا بِالنَّهَارِ فَعُلَمَاءُ خُلَمَاءُ بَرَّةٌ أَتَقِيَاءُ كَانَهُمُ الْقِدَاحُ (الْقِدَاحُ السِّهَامُ يُرِيدُ فِي ضَمِّهَا). يَنْظُرُ إِلَيْهَا النََّاظِرُ فَيَقُولُ: مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرْضٍ. (وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارٍ) فِي مَجْلِسِ الزُّهْدِ إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا جَعَلُوا مَا كُتِبَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ مَثَلًا بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَقَطَعُوا الْأَسْبَابَ الْمُتَّصِلَةَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ عِلَاقِ الدُّنْيَا. فَهُمْ أَنْضَاءُ عِبَادَتِهِ. خُلَمَاءُ طَاعَتِهِ. قَدْ نَضَحُوا خُدُودَهُمْ بِوَابِلِ دُمُوعِهِمْ وَأَقْتَرَشُوا جِبَاهَهُمْ فِي حِمَارِ رَبِّهِمْ. يَتَأَجُونَ ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ فِي فِكَالِ رِقَائِهِمْ

زهد النعمان بن امرئ القيس

١٧ إِنَّ النُّعْمَانَ بْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْأَكْبَرَ الَّذِي بَنَى الْخَوَرْتَقَ وَالسَّيْدَرَ أَشْرَفَ عَلَى الْخَوَرْتَقِ يَوْمًا فَاعْجَبَهُ مَا أُوتِيَ مِنَ الْمُلْكِ وَالسَّعَةِ وَنَفُوذِ

الْأَمْرُ وَإِقْبَالَ الْوُجُوهِ عَلَيْهِ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلْ أُوتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُ . فَقَالَ لَهُ حَكِيمٌ مِنْ حُكَمَاءِ أَصْحَابِهِ : هَذَا الَّذِي أُوتِيتَ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ أَمْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلَكَ زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيْكَ . قَالَ : بَلْ شَيْءٌ كَانَ لِمَنْ قَبْلِي زَالَ عَنْهُ وَصَارَ إِلَيَّ وَسَيَزُولُ عَنِّي . قَالَ : فَسُرَرْتَ بِشَيْءٍ تَذْهَبُ عَنْكَ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ . قَالَ : فَأَيْنَ الْمُهْرَبُ . قَالَ : إِمَّا أَنْ تُقِيمَ وَتَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ أَوْ تَلْبَسَ أَمْسَاحًا وَتَلْحَقَ بِجَبَلٍ تَعْبُدُ رَبَّكَ فِيهِ وَتَقِرُّ مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ . قَالَ : فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ قَمَالِي . قَالَ : حَيَاةٌ لَا تَمُوتُ . وَشَبَابٌ لَا يَهْرَمُ . وَصِحَّةٌ لَا تَسْقَمُ . وَمُلْكٌ جَدِيدٌ لَا يَبْلَى . قَالَ : فَأَيُّ خَيْرٍ فِيمَا بَيْنِي وَاللَّهِ لَا طُلُبْنَ عَيْشًا لَا يَزُولُ أَبَدًا . فَأُخْلَعُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَيْسَ إِلَّا مَسْلَاحٌ وَسَاحٌ فِي الْأَرْضِ . وَتَبِعَهُ الْحَكِيمُ وَجَعَلَ يَسِيحَانِ وَيَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى مَاتَا . وَفِيهِ يَقُولُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ :

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرِ نَحْوِي إِذَا أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفَكِيرُ
سِرِّهِ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْجَرُّ مَعْرُضًا وَالسَّيْرِ
فَارْعَوَى قَلْبَهُ وَقَالَ فَمَا غِبْطَةٌ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالنِّعْمَةِ وَارْتَهُمْ هُنَاكَ الْقُبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَانَهُمْ وَرَقٌ جَفَّ مَ فَاَلَوْتُ بِهِ الصَّبَا وَالْدَّبُورُ

عدي بن زيد والنعمان

١٨ رُوِيَ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْدَرِ خَرَجَ مُتَصِدًّا وَمَعَهُ عَدِي بْنُ زَيْدٍ

فَرَأَى بِشَجَرَةٍ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنَّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيَحْدِثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُوفٍ عَلَى قُرْبِ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا تَأْتِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكَبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِأَمْوَالِ الزُّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فُدمٌ وَجِيَادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أَمْنَى دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدَحَالٍ

قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَرَأَى بِمَقْبَرَةٍ . فَقَالَ لَهُ عَدِيُّ : أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْخَبُوءُ نَعَلَى الْأَرْضِ الْعُجْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا نَحْنُ تَكُونُونَا

فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عَظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي تُدْرِكُ بِهِ النَّجَاةَ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ . قَالَ : وَفِي هَذَا النَّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَنَصَّرَ حَيْثُ بَدَأَ وَأَخَذَ فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِحْتِسَادِ (للطروش)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلَاهَا

١٩ (مِنْ الشُّعْجِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَدْبَرَتْ يَوْدَاعٍ . وَإِنْ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِإِطْلَاعٍ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَةَ وَغَدَا
السَّبَّاقَ وَالسَّبْقَةَ الْجَنَّةَ وَالْعَايَةَ النَّارَ . أَفَلَا تَأْتِبَ مِنْ خَطِيئَتِهِ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسِهِ . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأْيِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَسِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرِّغْبَةِ . كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرِّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْدُبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظُّعْنِ وَذُلْتُمْ عَلَى
الزَّادِ . وَإِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا

٢٠ (عَنْ نَوْفٍ الْبِكَالِيِّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَظَنَّ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا نَوْفُ
أَرَأَيْدَ أَنْتَ أَمْ رَامِقُ؟ قُلْتُ: بَلْ رَامِقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا نَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بَسَاطًا وَزُرْبَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالدِّينَ شِعَارًا وَالْدُّعَاءَ دِنَارًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الصَّبْرِ (لِبَهَاءِ الدِّينِ)

الراهب الجرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْنَهُ مَوَاسِفَةٌ . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . فَقَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
 خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلَّفَ نِظَامَهُ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
 شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ الْأَلْسُنُ وَصْفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْعُقُولُ رَحْمَتَهُ . لَهُ الشُّكْرُ
 عَلَى مَا نَقَلَبَ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
 الْأَسْمَاعُ . وَنَطَقَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَنَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَأَمْتَرَجَتْ بِهَا
 الطَّبَائِعُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . فَقَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
 وَمَا أَكْمَلُ الْعَقْلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
 التَّخَلُّصِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْتِظَاءً أَمَلِكُ .
 قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَعَةِ .
 فَقَالَ : لِأَحْبِسَ هَذَا السَّبْعَ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
 مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرَّحَى
 وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّحِينَ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَخَالِطَنَا . فَقَالَ : لِأَنَّ
 الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرِهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
 الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . فَقَالَ : لَوْ ذُقْتَ حَلَاوَةَ
 الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتُ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَيْسَتْ السَّوَادَةُ
 فَقَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلِهَا فِي حِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتَ لَيْسَتْ
 السَّوَادَةُ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
 ظَنَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . فَقَالَ : لِأَنَّكُمْ
 عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَةَ مِنَ الْعُمُرَانِ

إِلَى الْخُرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . فَقَالَ : أَلْبَغُ الْعُظَاتِ النَّظْرَ
إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِئْتَ
جَنَارَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمُحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَفْسَ مِنْ لَا يَفْسَاكَ .
وَأَحْسِنُ سِرِّيَّتَكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَاطْلُبِ الْعِلْمَ لَتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لَتَتَّأْهِيَ أَوْ تَمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءُ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَهْلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَتَجَبَّبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَتَرَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ عَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسَ مَنْ يُشْغَلُ
بِالْكَلَامِ وَيُذَيِّنُ لَكَ الْخَطَا وَيُوقِعُكَ فِي هَذِهِ الْعُيُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَقْلِبُ عَلَيْكَ . وَلَا تَتَشَبَّهْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشْيِكَ بِالْجَبَّارَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يَرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَخَافُ
شَرَّهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ ابْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أُعْطِلَتْ فَافْكَرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْدَعُ فِي الْقُلُوبِ الضَّغَائِنَ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَحْبِينَ . وَأَنْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَاثْمَنَتْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَتَجَنَّبْهُ . وَارْضَ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَمَالُ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَفْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَسَمِعَتْهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا بَنِي مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . ارْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا بِيَوْمٍ .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآثَمَانَا . وَلَا تَدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلَصْنَا مِنْ إِبَالِيسَ
 لِلْسَّجْدِ وَنُقَدِّسَكَ وَنُعْبِدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَعَظَمَتِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَعُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَالِنَا . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَاتِكَ حَتَّى
 تَشْتَلَّ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَقْتَلِي قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَفِّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا نَفُورُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْغَزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَاسْتَحْسَنْتُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُوَنَا وَانْصَرَفُ
 وَأَنَا مُتَعَجِّبٌ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قَتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقُلْتُ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ احْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَائِفٌ مَدْعُورٌ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَيَقْتَرِسَهُ أَوْ يَلْهُو فَيَنْتَهِسَهُ . فَلَيْلُهُ لَيْلُ خُحَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 الْمُعْتَرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا فَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنَّ الظُّلْمَانَ يَقَعُ بِسِيرِ الْمَاءِ

٢٣ إِنَّ الْحَاسَةَ الْجَلِيدَةَ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِرِمْدٍ وَنَحْوِهِ فِيهِ مَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْجَةِ الْفَائِضَةِ مِنَ الشَّمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَوْفَةً بِالْهَوَى
 وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطِ بِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا فِيهِ مَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ الْمُجُوبَةِ عَنْ ذَوْقِ اللَّذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرُومُنْ قَالَ :

ذَا مَرَّتْ نَفْسُكَ ذَا مُنْتَصِبٌ ذَا مُخْفَضٌ ذَا مُنْجَزٌ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُوجِدُوا لَا يَقْتَرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ نَفْسِهِمْ عَبَدُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَمٌ
(لباء الدين)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْجَمِيرِيُّ:

عَجِبْتُ لِمَتَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَلِلْمَشْتَرَى دُنْيَاهُ بِالْدِينِ عَجَبٌ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْبٌ
٢٤ قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ آدَمَ: أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَائِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمَنْ نَعِمَ بِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمَنْ مَلَكَهَا بِمَا يَنْقُضُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَا هَلْكَ الْأَمْوَالُ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَرَكَتْ
أَمْوَالُكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْقَتَاهِيَةِ فَقَالَ:

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَأْتِيَتْ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ الْمَالُ
الْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ الْحَالُ
مَلَأُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَاسْتَحْكَمَ الْقَيْلُ فِي الْإِيرَاثِ وَالْقَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ:

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةً إِذَا أُخْضِرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا فَجَائِعُ عَلَيْهَا وَلَا الدَّلَّاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَكَمْ سَخَّنتُ بِالْأَمْسِ عَيْنًا قَرِيرَةً وَقَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا الْآنَ سَاكِبُ
فَلَا تَكُنْ حِلَّ عَيْنِكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُثْمَانَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُفِنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا لِلْهُوَى مُتَّبِعٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَخْدَعُ
أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوْمِضُ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةٍ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَا ضَيْنَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَقَدِّمِينَ . كَانُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ بَسْطَةً وَأَعْظَمَ
سَطْوَةً . أَرْجَوْنَا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَعَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قِبَلَ مِنْهُمْ بَذْلُ فِدْيَةٍ . فَأَرْحَلُوا نُفُوسَكُمْ
بِرَازٍ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخِذُوا عَلَى فِتْجَةٍ . فَقَدْ عَقَلْتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَدِّدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تَعَذِّبُوا . وَزَرِّدُوا لِلرَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تَرْجُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْفِقُ عَدْلٍ
وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَمَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَعَنَاءٍ . قَدْ زُرِعَتْ مِنْهَا
نُفُوسُ السَّعْدَاءِ . وَانْتُرِعَتْ بِالْكَرِهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَاسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْقَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْفَاشَةُ لِمَنْ انْتَصَحَهَا
وَالْمُغْوِيَةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُوبَى لِعَبْدٍ اتَّقَى فِيهَا
رَبَّهُ وَنَصَحَ نَفْسَهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضْجَعُ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْهِمَةً ظُلُمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُرِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَنْقُصَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يُبْشَرُ فَيُخْشَرُ إِمَّا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا

٢٧ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ الْبُلَغَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَلَتْ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
بَرَّتْ . أَوْ أَطْنَبَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرُكِبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَبْهَجَتْ هَجَتْ . أَوْ
أَسْعَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَيْعَتْ نَعَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَنْتْ وَنَتْ .
أَوْ مَاجَنْتْ جَنْتْ . أَوْ سَاخَتْ مَخَتْ . أَوْ صَالَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
صَلَتْ . أَوْ بَالَعَتْ لَعَتْ . أَوْ وَفَرَتْ فَرَتْ . أَوْ زَوَجَتْ وَجَتْ . أَوْ
تَوَهَّتْ وَهَتْ . أَوْ وَلِهَتْ لَهَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لباء الدين)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَجْدِي وَبَقِيْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَحْدِي
مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ فَهُوَ بَغَايَةُ الْبُعْدِ
لَوْ بُعِثْتُ لِلْخَلْقِ أَطْبَاقُ الثَّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِتَاعِمِ الْخَدِّ
٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَمَّا وَلِلَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلُومُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمَضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا عَدَا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظُّلُومِ
سَتَنْقَطِعُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أَنْاسِ مِنَ الدُّنْيَا وَتَنْقَطِعُ الْهُمُومُ
لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أُمَمٍ تَقَضَّتْ سَخِيرُكَ الْعَالِمِ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمُنَايَا فَكَمَ قَدْرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَامُ وَلَمْ تَنَمِ عَنْكَ الْمُنَايَا تَبَّهْ لِلْمَنِيَةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَفْنَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ حُرَّ الرَّجَاءِ وَنَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمُنَايَا عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخْلَفُ بَعْدَهُ لَوَارِثُهُ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِ
حَوَا مَا لَهُ ثُمَّ اسْتَهْلُوا لِقَبْرِهِ بِأَدْيٍ بُكَاءُ تَحْتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا تَبَقَى عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقِّ حُرٍّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَضْحَكُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَالْجَهْلُ الْجَهْلُ مَنْ يَصْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتَ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبُ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الحارثي :

عَنْتِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا وَأَسْتَرَاحَ الزَّاهِدِ الْقَطْنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُفَهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَمَنْ

يَقْنِي مَالًا وَيَتْرُكُهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُقْتَنٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَمِنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّهُ وَسَنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَشَدُّ عَذَابِي بَنُ رَيْدٍ:

أَيُّ كِسْرَى كِسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشَرُ وَإِنْ أَمِنْ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَةُ تُجْبِي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَلَهُ كِلْسًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذِرَاهُ وَكُورُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمَلِكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَعَيْنَ فِكْرٍ تَرَى الدُّنْيَا الدَّيَّةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَفْنَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكِ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا فَحْلُهُ وَمَا بَقِيَ فَلَمَانِي
 ٣٠. اسْتَشَدَّ الْمُتَوَكِّلُ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ فَقَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّعْرِ فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَشَدَّهُ:
 بَانُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ غُلُبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَفْقَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَسْتَنْزِلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَالِقِهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا دُفِنُوا
أَيْنَ الْوُجُوهُ الَّتِي كَانَتْ مُنْعِمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرِ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ ظَلَمَّا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرَبُوا
وَطَلَمَّا كَثَرُوا الْأَمْوَالُ وَادَّخَرُوا
وَطَلَمَّا شِيدُوا دُورًا لِيُخَصِّنَهُمْ
أَصْحَتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَاءُ مُعْطَلَةٍ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَافَتْ مَنِيَّتُهُ
أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي كَانَتْ مَفَاتِحَهَا
أَيْنَ الْعَبِيدُ الْأَلَى أَرْصَلْتَهُمْ عُدَا
أَيْنَ الْقَوَارِسُ وَالْعِلْمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيْنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيْنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامَوْا أَمَا غَضِبُوا
أَيْنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تُنْغِ بِأَسْهُمِهِمْ
هَيَّاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعْتُهَا صَاحٍ وَبَذَلُوا
مَا سَاعَدُوكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأُودِعُوا حَقْرًا يَا بَيْتُ مَا نَزَلُوا
أَيْنَ الْأَسِيرَةُ وَالْتِيحَانُ وَالْحُلُلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَادُ وَالْكَلَلُ
تِلْكَ الْوُجُوهُ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتُلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طُولِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَارْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَاتَّقَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدَّرَحَلُوا
أَيْنَ الْجُنُودُ وَأَيْنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
تَوَّأَ بِالْغُصْبَةِ الْمُقْوِينَ لَوْ حَمَلُوا
أَيْنَ الْعَدِيدُ وَأَيْنَ الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْحَطِيطَةُ الذُّبُلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَبْتَهِلُ
أَيْنَ الْحُمَاةُ الَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوَلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ الْمُنِيَّةُ إِذْ وَافَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا أَرْثَى نَفَعَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَيْتُ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنَيْسَ بِهِ يَفْشَاكَ مِنْ كَنَفِهِ الرَّوْعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطَرَّحًا وَكُلُّهُمْ بِاِقْتِسَامِ أُمَالٍ قَدْ شُغِلُوا
 لَا تُنْكَرَنَّ فَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرَوْحُهُ بِجِبَالِ الْمَوْتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِلْبَانَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمُلْكُهُ زَائِلٌ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَتَرَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيْوَانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ الخوَّاس

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوْتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. قُلْتُ: نَعَمْ.
 قَالَ: أَحْفَظْ عَيْنَيْكَ فَإِنَّكَ إِنْ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِ. وَإِنْ
 مَلَكَتَهُمَا مَلَكَتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسْلِمُ الْخَوَّاسُ لِحَمْدِ بْنِ
 عَلِيٍّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّارَ مَا يَجِبُ عَلَى مَحَبَّتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمْلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِهِمَا مَا يُطَالِبَانِكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكَتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَعْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدُّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَّاسِ طَبِيعُهُ وَهُوَ مُدِيرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَبَارَادِيَّةُ تَبِيعِثُ وَفِي طَاعَتِهِ تَتَقَلَّبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاظِدُهُ

أَلَهُمْ . وَرَأَيْدُهُ الْعَيْنَانِ . وَطَلَبِعَتُهُ الْأُذُنَانِ . وَهَمَّا فِي الثَّقَلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِهِ أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدَّهْرُ وَحَوَادِثُهُ

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْإِبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأَمَالَ وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفِرَ مِنْهُمْ لَبِيبٌ . وَمَنْ فَاتَهُ نَصَبٌ . قَالَ : فَمَا يُغْنِي عَنْهُ .
قَالَ : قَطْعُ الرَّجَاءِ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَبْرَأُ وَافِي . قَالَ : الْعَمَلُ
الصَّالِحُ وَالْتِقَاؤُ . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَارْدِي . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ أَخْرَجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْهَجِ (زهر الآداب للقيرواني)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفَّ الدَّهْرُ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْبَرَ رَاجِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَنْ تَجْعَ بِنْتُكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يُؤْمِنُ يَوْمَهُ . وَيُخَافُ عَدُوَّهُ . يَرْضِعُ ثَدْيَهُ وَيَتَجَرَّحُ يَدَهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُومُ . وَيَسُوُّ مِنْ حَيْثُ يَسُرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاقِبُ . حَتَّى تَتَخَلَّاهَا الْمَصَائِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْمَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وفي فضل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوْنٌ الْأَخْلَاقُ
مُتَدَاعِي الْبَيَّانُ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرُ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظُّلَمِ حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْبُكَاءِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْقَطُوبِ مِنَ الْبَشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْمُحْتَنَى . قَابِضٌ عَلَى الْفُوسِ

بَكَرْتَهُ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ بِوَحْشَتِهِ . لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالشُّكْرِ . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلَوَى . (وَمِثْلُهُ فَصْلٌ لِلصَّاحِبِ) : الزَّمَانُ
حَدِيدُ الظُّفْرِ . لَيْمُ الظُّفْرِ . حَلَوُ الْمُرْدِ مَرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِيَّةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرْيَةِ . (وَلَشَيْئُ الْمَعَالِي قَابُوسٌ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مَفْصَلُهُ وَجَمَلُهُ . إِنْ أَضْحَكَ سَاعَةً أَبْكَى سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَعَلَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أَبْتَنَى مِنْهُ الرِّعَايَةَ . أَبْتَنَى مِنَ الْقَوْلِ الْهَدَايَةَ
(طَرَائِفُ اللَّطَائِفِ لِلْمَقْدِسِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا نَهَمَ الْفُصُونُ وَلَكِنْ بَسْمَا الثَّمَرُ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَفَاتِ مَقْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ تَجَانُعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتُ كَالْبَازِيِ الْمُنْتَفِ رِيَشُهُ يَرَى خُرْقَاتِ الْجَوِّ يَخْرُقْنَ فِي الْهَوَا
فَيَذْكُرُ رِيَشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرٌ عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرٌ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ مُنْعَمًا فَأَصْبَحَ مَقْصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ خَالِسٌ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحَيَّرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهُمْ أَلَمٌ
بِجَائِهِ وَمَصَائِبِهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرَ تَلْتَظِمُ
وَالْعُرَى لَيْسِيرُ مَسِيرِ الشَّمْسِ فَلَيْسَ يَقْرَ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضْحَى وَدُجَى ضَوْءُ ظُلْمٍ
وَالنَّاسُ بِحُلُمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمُ
صَمٌّ بِكُمْ عَمِي بِهِمْ نَعَمْ قَسَمْتُ لَهُمْ نَعَمْ
فِرْقُوا فِرْقًا فِرْقُوا فِرْقًا وَمَضَوْا طَرَفًا لَا تَلْتَمِ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا
يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا
مَنْ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا
شُرُوطُ الَّذِي يَرْتَقِي إِلَيْهِ سَقُوطُهُ
وَفَاءً بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذكر الموت

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

نَسِيرٌ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامِنَا تُطَوَّى وَهِنَّ مَرَاحِلُ
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَمًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
فَمَا أَفْجَحَ التَّفْرِيطُ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ سَاعِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا إِزَادَ مِنَ التَّقَى فَمَعْرُكُ أَيَّامٍ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أُخْرِجْتُ مِمَّا فِي يَدَيَا
كَأَنِّي صِرْتُ مُفْرِدًا وَحِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ يَا عَلِيَّ
كَأَنَّ أَلْبَاكِاتِ عَلِيٍّ يَوْمًا وَلَا يُغْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنْ مَنِّي فَنَعَيْتُ نَفْسِي أَلَا أَسْعِدُ أَخِيكَ يَا أَخِيَا
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلَهُو بَيْنَ بَاطِيَةٍ وَزِيرٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَالِكِ عَلَى شَفِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةٍ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ
٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ لِسَانِ مَيْتٍ :

ضَعُوا خَدِّي عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفْرِ التُّرَابِ فَوَسِّدُوهُ
وَسُحُّوا عَنْهُ أَكْثَمَانَا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَمَيِّدُوهُ
قَالُوا أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَقَضَّتْ صَبِيحَةُ ثَالِثِ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرَ مُقَلَّتِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى الْبَلَى هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُوهُ
خَلِيَّاكُمْ وَجَارَكُمْ الْمَفْدَى تَعَادَمَ عَهْدُهُ فَلَسِيْتُمُوهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكَنَهُ وَالْبَعْثَ مُخْرِجُهُ

وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَّتٍ سَبْعُجْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَبْعُجْهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمَجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
تَرَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ سَكَنًا لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمُنَايَا سَوْفَ تُسَبِّحُهُ

وَقَالَ آخَرُ مُتَشَوِّقًا إِلَى الْمَوْتِ:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا الْمَوْتَ خَيْرًا فَإِنَّهُ
يُجَلِّ تَخْلِيصَ النُّفُوسِ مِنَ الْأَذَى وَيُذِنِي مِنَ الدَّارِ الَّتِي هِيَ أَشْرَفُ

وَقَالَ غَيْرُهُ:

مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعِيشَ فَإِنِّي
فِي الْمَوْتِ أَلْفُ فَضِيلَةٍ لَوْ أَنَّهَا عُرِفَتْ لَكَانَ سَبِيلَهُ أَنْ يُعْشَقَا

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

مَا لِي مَرَرْتُ عَلَى الْقُبُورِ مُسَلِّمًا
يَا صَاحِبَ مَا لَكَ لَا تُجِيبُ مُنَادِيًا
قَالَ الرَّمِيمُ وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكُمْ
أَكَلُ التُّرَابِ مُحَاسِنِي فَلَسْتِ بِكُمْ
عَلَى الرَّمِيمِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابِي
أَنْكَرْتُ بَعْدِي خَلَّةَ الْأَصْحَابِ
وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابٍ
وَحُجِبَتْ عَنِ أَهْلِي وَعَنْ أَحِبَّائِي

وَقَالَ آخَرُ:

إِسْتَعِدِّي يَا نَفْسُ لِلْمَوْتِ وَأَسْعِي لِنَجَاةٍ
قَدْ تَبَيَّنْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْحَيِّ خُلُودٌ وَمَا مِنَ الْمَوْتِ بُدٌّ
إِنَّمَا أَنْتِ مُسْتَعِيرَةٌ مَا سَوْفَ تَرُدِّينَ وَالْمَوَارِي تَرُدُّ
أَنْتِ تَسْهِنُ وَالْحَوَادِثُ لَا تَسْهَوُ وَتَلْهِنُ وَالْمُنَايَا تُجَدُّ

أَيُّ مَلِكٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ أَيْ حَظٍّ لِمُرِي حَظَّهُ مِنَ الْأَرْضِ لِحُدِّ
لَا تُرْجَى الْبَقَاءُ فِي مَعْدِنِ الْمَوْتِ وَدَارِ خُوفِهَا لَكَ وَرُدُّ

التوبة الى الله

٣٧ قَالَ غَيْرُهُ :

سَلَوْتُ عَنْ الْأَجَبَةِ وَالْمَدَامِ وَمَلْتُ عَنْ التَّهْتِكِ وَالْهِيَامِ
وَسَلَّمْتُ الْأُمُورَ إِلَى إِلَهِي وَوَدَعْتُ الْغَوَايَةَ بِالسَّلَامِ
وَمَلْتُ إِلَى اكْتِسَابِ ثَوَابِ رَبِّي وَقَدَمًا طَالَ غَرَمِي بِالْغَرَامِ
وَمَا أَنَا بَعْدَهَا مُعْطِي عَنَانِي أَلْهَوَى لَكِنْ تَرَى يَدَيَّ زَمَامِي
أَبْعَدَ الشَّيْبِ وَهُوَ أَخْوَسُ كُونِ يَلِيْقُ بِأَنْ أَمِيلَ إِلَى الْغَرَامِ
فَشَرِبُ الرِّاحَ نَقْصُ بَعْدَهَا وَلَوْ مِنْ رَاحَتِي بَذَرُ التَّمَامِ
فَكَمْ أَجْرَيْتُ فِي مِيدَانِ لَهْوٍ خِيُولَ هَوَى وَكَمْ ضَرَبْتُ خِيَامِي
سَأَوْتِي الْكَاسَ تَعْيِيسًا وَصَدًّا وَإِنْ جَاءَتْ تُقَابِلُ بِابْتِسَامِ
عَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ عَنِ الْمُنَاهِي وَمِثْلِي مَنْ يَدُومُ عَلَى اعْتِرَامِ

٣٨ صَعِدَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ الْمُنْبَرِ فَخَطَبَ الْقَوْمَ بِالسَّعْرِ فَقَالَ :

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الْحَمْدِ أَحْمَدُهُ فِي يُسْرِنَا وَاجْتِهَدِ
مَنْ يُطْعِمُ اللَّهَ فَقَدْ أَصَابَا أَوْ يَعْصِهِ أَوْ الضَّمِيرَ حَابَا
كَأَنَّهُ لَمَّا بَقِيَ لَدَيْكُمْ حَيٌّ صَحِيحٌ لَا يَزَالُ فِيكُمْ
إِنَّكُمْ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَلُوا عَنْ قَصْدِهِ أَوْ نَهْجِهِ تَضِلُّوْا
لَا تَتْرُكُنَّ نَفْسِي فَإِنِّي نَاصِحٌ إِنَّ الطَّرِيقَ فَأَعْلَمَنَّ وَاضِحٌ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
 مِنْ أَيْنَ أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْعَجْمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُحَصِّدُهُ
 فَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُوبُوا

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :
حَتَّامٌ أَنْتَ بِمَا إِلَيْكَ مُشْتَغِلٌ
تَمْضِي مِنَ الدَّهْرِ بِالْعَيْشِ الذَّمِيمِ إِلَى
وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
فَانْهَضْ إِلَى ذُرْوَةِ الْعُلْيَا مُبْتَدِرًا
فَإِنْ ظَفَرْتَ فَقَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجَدًا فَأَحْسَنُ مَا

أَلَا يَا خَائِضًا بَحْرَ الْأَمَانِي
أَضَعْتَ الْعُمْرَ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلٌ
إِلَى كَيْفِ كَالِهَاتِهِمْ أَنْتَ هَائِمٌ

وَطَرَفَكَ لَا يُرَى إِلَّا طَمُوحًا وَنَفْسُكَ لَمْ تَرَلْ أَبَدًا جُمُوحًا
وَقَلْبُكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَعَاصِي قَوْلِكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
بَلَّالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الذَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
بِجَرِّ الْأَثَمِ لَا تُصْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبُكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلُكَ كُلَّ يَوْمٍ فِي أَرْذِيَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجِدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشَاءِ
وَجَهْدِ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامُهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامُهُ
٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زُهَيْرٌ :

نَزَلَ الشَّيْبُ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بُفَاةٍ آهِ عَلَيْهِ رَاحِلُ
بِاللَّهِ قُلْ لِي يَا فُلَا نُوْلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّعِينِ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ فَاعِلُ
هَيْهَاتَ لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَأَلْيَوْمَ ذَاكَ الْعُذْرُ زَائِلُ
مَنْيْتَ نَفْسَكَ بِاطِّلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحٍ مَرَّاحِلُ
ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَنْفَرْ فِيهِ بِطَائِلُ

الباب الثالث في المراثي

رثاء داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاءِ مُثْنِيًا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَعْشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَحْبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَحْبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَقْتُولِينَ
مَغْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجُبِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
مِنْكُمْ . فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتُهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَيْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشَيْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيِّنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَ قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ سَجَّتَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
مُحَدِّثَ لَهَا لَوْلَا جَلِيسُ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرٌ عَلَى يَابَاكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرِدُ فِيهَا مَاءُكَ وَلَا صَخْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدِهِ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبِهِ وَلَا مِنَ اللِّبَاسِ لَيِّنِهِ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَّلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
رَكَتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تُقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةٌ وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَلْبَسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (لابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وَفَاةِ الْأِسْكَندَرِ لِمَا جُعِلَ فِي تَأْيُوتَ
مِنْ ذَهَبٍ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحْبَاهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ
وَمَلَكَهُمَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
لِنُظَرِ إِلَى حِلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ انْقَضَى إِلَى ظِلِّ الْعِمَامِ وَقَدْ اُنْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَقِيلُ مَلِكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ ضَيْقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِلْأَيُّمَاتِ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسٍ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يُغْلِبُ . (وَقَالَ رَئِيسُ
الطَّبَّاعِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ النُّضَائِدَ وَالْقَيْتُ الْوَسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عَمِيدَ الْمَجْلِسِ (لقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرِي وَلَدَهُ :

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَقَهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيْتٍ أَسْفًا أَعَذَّرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدًّا
وَتَوْرِي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى
مَنْ كَانَ خَلْوَ مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ
يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ
يَا مَوْتُهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعَنَانِ لَهُ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمِهِ
يَا قَمْرًا أَحْجَفَ الْخُسُوفُ بِهِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفًا
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدًا
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْمًا

٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكُنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكَنَاءَ
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْزَنَّا
يَا سَيِّدِي وَمَرَّاحَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي
وَلَا أُمْتَلَا فَرَحًا إِلَّا أُمْتَلَا حَزَنًا
لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَّا
وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنَّا
هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلَيْسَنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فِي الْأَمِينِ:

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي النِّمَّةَ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ
لَنْ عَمَرْتُ دُورَ مَنْ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ مِمَّنْ أَحَبُّ الْمَقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِيٍّ فَاشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِيُّ يُكِنِّي
بِهِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَعْظَمَ لَثَوَايِكَ. فَقَالَ:

يَا بِي وَأُمِّي مَنْ عَمَّاتُ حُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَقْنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ أَسْأَلُوهُ وَكَيْفَ أُنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيتُ فَأَتِمَّا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي أَخَاهُ:

أَخْ طَالَمَا سَرَّيْنِي ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرْتُ أَشْجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْحَنَسَاءُ تَرَى أَخَاهَا:

أَعْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدًا أَلَا تَبْكِيَانِ لِنَصْرِ النَّدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيَّ الْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُحِمُّهُ الْقَوْمُ مَا غَالَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلَدَا

جُمُوعُ الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ أَوْلَادِ بْنِ طَرِيفٍ تَرَى أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :
أَيَا سَجَرَ الْخَابُورِ مَالِكَ مُورَقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنَ قَنًا وَسُيُوفٍ
فَقَدَنَاهُ فَقَدَانِ الرَّبِيعِ فَلَيْتَنَا قَدَيْنَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَفَقًا فَإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ
قَالَ ابْنُ مَعْتُوقٍ يَرَى الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

خُزْنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَنْقُضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَى تَعَذُّرَا
وَارْحَمَاهُ إِصَارَخَاتٍ حَوْلَهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْجُهَا لَنْ تَسْتُرَا
مُلَقًى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَظُنُّهُ دَاوُدَ فِي الْخِرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْفِي عَلَى الْهَآوِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرَّهَوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكُورَا
لَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقَطَّعَتْ لَوَانَهَا اتَّصَلَتْ لَكَاتُ أَبْجُرَا
لَهْفِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنَّدٌ عَرَضَتْ مِنْيَتُهُ لَهُ فَتَعَثَّرَا
لَحِقَ الْغُبَارُ جَنِينَهُ وَلَطَلَمَا فِي شَأُوهِ لَحِقَ الْكِرَامَ وَغَبَّرَا
٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ فَقَدْ مَالٌ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرٌ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ فَقَدْ حُرٌّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ
وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَابًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مُحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِن كُنْتُ جَرَعْتُ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذُوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَيْتُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِي الْبَلْقَلَانِي الْبُصْرِيَّ :
 أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَفِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدَفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي حَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغير حَلِيلٍ
 وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تَحْيِي مَنِّي وَيُفَرِّدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخِرُ يَرْثِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتِي حَيْبٌ رَزَيْتُ ذَوِي الْمَوَدَّةِ أَجْمَعِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَضَرِّهِ الْأَعَادِي مَا نَلَقَى لَهُمْ مُخَشَّعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوَلِي يَرْثِي أَبْنَاهُ لَهُ مَاتَ يَافِعًا مُتَرَعِّعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقُلَّتِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلَيْتَ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرْثِي عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْمُتَمِّمَ :

قَدْ رَزَيْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَامًا عَنِّي حَمَلَتْ نَوَائِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوفِّي صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتَهُ فِي بَسَاتِينِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُورَةَ يَرَىٰ أَخَاهُ مَالِكًا:

لَقَدْ لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَابِكُ
فَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَىٰ بَيْنَ الثَّلَوَىٰ فَالِدَ كَادِكُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا فَدَعَنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ
قَالَ آخَرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَهْرٌ بِفَنَائِهِمْ فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
وَمَا إِنْ زَالَ رَسْمُ دَارٍ قَدْ أَخْلَقَتْ وَبَيْتٌ لَمِيتٍ بِالْفَنَاءِ جَدِيدُ
هُمْ حَيْرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارِهِمْ فَدَانٍ وَأَمَّا الْمُتَلَقُّ فَبَعِيدُ
هـ قَالَ الْغَطَمَشُ الضَّنْبِيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنَّنِي أَرَى الْأَرْضَ بَقِيَّةً وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
قَالَ آخَرُ:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيًا
أَجَارِي لَوْ نَفْسٌ قَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ أَمْلَأُ حَقَّةً فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
أَلَا فَلَمِيتُ مِنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّغْبَرِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا أَسِيرٌ يَقِفُ عَنْدهُمْ فِي السَّلَاسِلِ
 لَعْمَرِي لَنْ عَمَّرْتُمْ السَّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَاقَتُوهُ ^{٦٦٩} وَطَاءَ الْمُتَقَابِلِ
 لَقَدْ كَانَ بَيْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ وَيُعْطِي اللَّهُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
 قَالَتْ صَفِيَّةُ الْبَاهِلِيَّةُ:

كُنَّا كَغُضَنِينَ فِي جُرْثُومَةٍ سَمَقَا حِينًا بِأَحْسَنَ مَا يَسْمُوهُ الشَّجَرُ
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا وَطَابَ فِيَاهُمَا وَأَسْتَنْظَرَ الثَّمَرُ
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا يَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذُرُ
 كُنَّا كَأَنْجُمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ يَجْلُو الدَّجَى فَهَوَى مِنْ بَيْنِنَا الْقَمَرُ
 ٥٢ وَقَالَ التَّيْمِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَائِفٍ يَبْغِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ خَيْرُ
 أَمَّا الْقُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ
 عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَاجُورُ
 يُثْنِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ خَيْرًا لِأَنَّكَ بِالْثَنَاءِ جَدِيرُ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ تَشْرِهَا مَشْهُورُ
 فَالنَّاسُ مَا تُعْجِبُهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدُ فِي كُلِّ دَارٍ رَنَّةٌ وَزَفِيرُ
 عَجَبًا لِأَرْبَعِ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةِ فِي جَوْفِهَا جَبَلٌ أَشْمٌ كَبِيرُ
 (الحماسة لابي تمام)

الباب الرابع في الحسب

٥٣ قِيلَ: لَا تَسْتَصِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ. لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدَ وَإِنْ ظَفَرَيْكَ لَمْ تُعْذَرَ. وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُخْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ. وَقِيلَ: الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِّ رُبَّمَا أَشَدَّ. كَالْفُضْنِ النَّصْرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًَا. وَقِيلَ: لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُورِطَكَ. فَالرُّحْ قَدْ يَقْتُلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانَ وَالزَّجَّ. قَالَ الْمُوسَوِيُّ:

الْفِيلُ يَضْبِرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْقُرَيْيَّةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ: مَا الْكُفْرُ. فَقَالَ: الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ. فَقَالَ: مَا الرِّضَا. فَقَالَ: الْقُنُوعُ بَعْطَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَاتِرَةِ. فَقَالَ: مَا الصَّبْرُ. فَقَالَ: كَظْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالُ لِمَا لَا يُرَادُ. فَقَالَ: مَا الْحِلْمُ. فَقَالَ: إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ. فَقَالَ: مَا الْكِرَمُ. فَقَالَ: حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحُقُوقِ. فَقَالَ: مَا الْحِمَّةُ. فَقَالَ: الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسِ مَنْ هُوَ دُونَكَ. فَقَالَ: مَا الشَّجَاعَةُ. فَقَالَ: الْحِمْلَةُ فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ. وَالثَّبَاتُ فِي مَوْضِعِ الْفِرَارِ. وَإِرْضَاءُ الرِّجَالِ. قَالَ: مَا الْعَدْلُ. قَالَ: تَرْكُ الْمُرَادِ. وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِقَادِ. فَقَالَ:

مَا الْأَنْصَافُ. قَالَ: الْمَسَاوَةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ. فَقَالَ: مَا
الذُّلُّ. قَالَ: الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوعِ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَارُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ. فَقَالَ:
مَا الْخِرْصُ. قَالَ: حِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ. فَقَالَ: مَا الْأَمَانَةُ. قَالَ:
قَضَاءُ الْوَاجِبِ. فَقَالَ: مَا الْحَيَانَةُ. قَالَ: التَّرَاضِي مَعَ الْقُدْرَةِ. فَقَالَ:
مَا الْقَهْمُ. قَالَ: التَّفَكُّرُ وَإِذْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (لِالْغَزَالِيِّ)

٥٥ (فَائِدَةُ جَامِعَةٍ وَلَمَعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَمَالَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْإِدَاءِ أَوْ الْعَفْوِ. يُغْفَرُ رُكْبَتُهُ. وَيَرْحَمُ عِزَّتُهُ. وَيُسْتَرْعُونَ لَهُ. وَيُقْبَلُ
عِزَّتُهُ. وَيُقْبَلُ مُعَذِّرَتُهُ. وَيُرَدُّ غِيَّتُهُ. وَيُدِيمُ نَصِيحَتُهُ. وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ.
وَيَرْغَى ذِمَّتَهُ. وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ. وَيَشْهَدُ مِيتَتَهُ. وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ. وَيُقْبَلُ
هُدْيَتُهُ. وَيَكْفِي صِلَتَهُ. وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ. وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ. وَيَحْفَظُ
حُرْمَتَهُ. وَيَقْضِي حَاجَتَهُ. وَيُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ. وَلَا يُخَيَّبُ مَقْصِدَهُ. وَيُسَمِّتُ
عَطْسَتَهُ. وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ. وَيُرَدُّ سَلَامَتُهُ. وَيُطِيبُ كَلَامَتَهُ. وَيُبْرِئُ إِنْعَامَتَهُ.
وَيَصْدَقُ أَقْسَامَتَهُ. وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا يَاعِثُهُ عَلَى
وَفَاءِ حَقِّهِ. وَيُؤَاوِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ. وَلَا يَحْذِلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ. وَيُحِبُّ لَهُ مِنْ
الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ. وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالَبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للأصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ: الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ ظَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَعَنٌ وَلَا نَمَامٌ. وَلَا
مُغْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ. وَلَا حَسُودٌ وَلَا حَقُودٌ. وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ. يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسْنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَهْلِ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيزُ الطَّرْفِ . سَخِي الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلٌ .
 وَلَا يَجْلُ بَنَائِلٌ . مُتَوَاصِلُ الْأَخْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيَحْرُسُ لِسَانَهُ . وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَسِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمَعُونَةِ قَلِيلُ
 الْمَوْنَةِ . يَعْطِفُ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عَشْرَتِهِ لِمَا مَضَى مِنْ قَدِيمِ صُحْبَتِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (للدميمري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ :) قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنِ الْعَدْلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّاعَةِ . (أَفِرْدُونُ) (الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ أَجَالِكُمْ فَحَلِّدُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ .) (أَنُوشِروَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ مِمَّا يَأْخُذُ مِنْ رِعْيَتِهِ كَانَ كَمَنْ يَعْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرَوِيزُ) أَطْعَمَ مَنْ فَوْقَكَ يُطْعَمَكَ مِنْ دُونِكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُعْتَرِّ :

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَعَادَتْ غُصَّةً تُنْجِي بِطُولِ تَلْهُفٍ وَتَتَدُمُّ
 لِمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْقَتْلِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا تَدْرِ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِئِي فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فُسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تُتَمَلِّ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يُدَوِّقُ وَبَادِرُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْأَقْرَبِيِّ): النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَآمِقٌ وَقَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الدِّينَ شَرِيعَتَهُ وَالْحِلْمَ طَبِيعَتَهُ وَالرَّأْيَ الْحَسَنَ سُجْيَتَهُ. إِنْ سُئِلَ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ أَلْعَمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَمِقُّ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ أَسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
زَلَّ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حُمِلَ. وَأَمَّا الْقَاجِرُ فَإِنْ أُتْمِنَتْهُ خَانَكَ. وَإِنْ
حَدَّثَتْهُ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرَعَكَ. وَإِنْ أَسْتَكْتَمَ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَعْلَمْ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُهِمَ لَمْ يَفْقَهُ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْفَظْ عَنِّي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ مُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ رِعْيَتِكَ. قَالَ: مَا هُنَّ. قَالَ:
لَا تَعْدِدْهُ لَا تُشَقِّقْ مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا. وَلَا يَغُرَّنَّكَ الْمُرْتَقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًّا. وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَاقِبَ. وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ. قَالَ عِيْسَى بْنُ دَاوُدَ:
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهَدْيِيِّ وَفِي يَدِهِ لُغْمَةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ: وَمِنْكَ أَعِدْ عَلَيَّ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْغُرْ لِقَمَّتِكَ. فَقَالَ:
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءُ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا. الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَاتِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
سُمُّ قَاتِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمَلِكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمومِ وَصَوْمُ
الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمومِ فَهُوَ كَفُّ
الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ
وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرِّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْمُ الْقَلْبِ عَنِ الْهَمومِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ
الدُّنْيَوِيَّةِ وَكَفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ (الكثر المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَرْزَجَمهر حَكِيمِ الْقُرْسِ (قَالَ) : تَصَحَّيْ
النُّصْحَاءَ وَوَعِظْ النُّصْحَاءَ وَتَصَحَّيْ تَصَحُّةً وَتَصَحُّةً وَتَصَحُّةً وَتَصَحُّةً
شَيْنِي وَلَا تَصَحَّيْ مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَاءَتْ نُبُورُ الشَّمْسِ وَضُوءُ
الْقَمَرِ فَلَمْ اسْتَظْهِ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَلَكْتُ الْأَحْرَارَ
وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا قَهَرَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
فَلَمْ أَرَأِ أَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْزَنْتُ لِنَفْسِي نَفْسِي مِنْ
أَخْلَقَ كُلَّهُمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَقَقَةً قَوَّجَدَتْهَا شَرُّ الْأَنْفُسِ لِنَفْسِهَا .
وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْفَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا وَزَا حَمَتِي الْمَصَافِقُ فَلَمْ يَزَحْمِنِي
مِثْلُ أَخْلَقِ السَّوِّءِ وَوَقَعْتُ مِنْ أَبَدٍ أَبَدٍ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
شَيْءٍ أَضُرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَبْرِ وَوُطِئْتُ عَلَى الرَّمْضَاءِ
فَلَمْ أَرِ نَارًا أَحْرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضِي . إِذَا تَكَنَّ مِنْ مَنِي وَطَلَبْتِي الطُّلَابُ فَلَمْ

يُذَرِّكُنِي مُدْرِكُ مِثْلِ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا الدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّي سَجَانَهُ . وَاتَّخِذْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئاً أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَغْنِيهَا . وَرَكِبْتُ الْبِجَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْهُوَلاً مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذَّنَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَعَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخُلُقِ
السُّوءِ وَأَكَلْتُ الطَّيِّبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكِرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً الَّذِي مِنْ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السُّوءِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئاً أَمَرَ مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قَرِناً أَغْلِبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السُّوءِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصُّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمَلاً أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يُذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الشَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذَلَ مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنِّسَابِ وَرُجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَنْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِمَقِّ . عَمَرْتُ السَّجْنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوَتَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي الْغَمُّ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَعْتُ الْإِخْوَانَ وَاتَّخِذْتُ الْأَقْوَامَ لِلْعُدَّةِ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئاً أَخِيرَ مِنَ الْكَرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَعْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالذَّخَائِرِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْغُرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السُّوءِ . وَشَيْدَتْ الْبُيُوتُ لِأَعَزِّهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرْفًا
أَرْفَعَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُتُبُ الْفَاحِشَةُ فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَاتِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مُنْتَحَلِ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قُايِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي اتَّقِ عَثَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشِ تَسَلُّطَ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ عَلَيَّةِ الدَّهْرِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَعْمَالَ
جَزَاءٌ فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ وَلِلْأَيَّامِ عُدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانُ مُتَغَلِّبٌ
مُتَوَلٍّ فَاحْذَرْ تَغْلِبَتِهِ . لَيْسَ الْكُرَّةُ فَخْفَ سَطَوْتِهِ . سَرِيعَ الْغَيَرَةِ فَلَا تَأْمَنُ
دَوْلَتَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ لَمْ يُدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَقَامٍ إِلَّا تَأَمَّ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشَّقَاءِ فِي دَارِ لَا دَوَاءَ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَدَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نَبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضِطَّ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضِطَّ حَوَاسُهُ وَهِيَ خَمْسٌ . وَإِذَا لَمْ
يَضِطَّ حَوَاسُهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَبَّ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وَخُشُونَةِ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمَمْلَكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ بِسُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَدُوٍّ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ لِيُشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْحُمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقُوَّةِ الْحَذَرَةَ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمَ
 أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرًّا لَيْسَ لِلْأُخْرَى فَاقَهَا تَسْلَمُ مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَرَّاشَ يَكْرَهُ الشَّمْسَ
 فَيَسْتَكِنُ مِنْ حَرِّهَا وَيَجِبُهُ ضِيَاءُ النَّارِ فَيَدْنُو مِنْهَا فَتَحْرِقُهُ . وَالطَّيْرُ عَلَى
 نِفَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ حَرِّهِ يَنْصَبُ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهي فَيَمَكِّنُ الْقَانِصُ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَبْتَلِعَهُ فَتَحْصُلُ السَّنَادَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يُحَسِّنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يُشَبَّهَ تَصَارِيفَ تَدْبِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالرَّيْحِ وَالنَّارِ وَالْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَالْمَوْتِ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَاتُرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لَجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يُعْطِيَ جُنْدَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِسِمَةِ السَّنَةِ . فَيَجْعَلُ رَفِيعَهُمْ وَوَضِيعَهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْمَةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِيلٍ . وَيُعْمَرُ كُلًّا مِنْ مَائِهِ بِقَدَرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبُ الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غَلَّتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجِيبُ الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَّةً فَعَلِمَا نَدَاوَةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا مَطَارًا . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيْحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةٌ أَلْدَاخِلُ تَسْرُحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِدِ حَتَّى لَا يَفُوتَهَا مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَلَّجَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيْسِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْفُونَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَعْرِفَ مَا يَأْتِرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَقَمٍ إِذَا أُسْتَهْلَ تَمَامُهُ فَأَصْأَ وَأَعْتَدَلْ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسَرَّ النَّاسُ
بِضَوْئِهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَهْجِيهِ وَزِينَتِهِ وَإِشْرَاقُهُ فِي مَجْلِسِهِ وَإِنْسَانِهِ
رَعِيَّتُهُ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيفًا دُونَ وَضِيعٍ بِمَذَلِهِ . (وَكَا لِنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لَأَرْضٍ) عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا قَبِيَّةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يَقْصُرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لِينِهِ لَنْ لَا يَنُتَهُ . وَهَدْمِهِ
وَأَفْتِلَاحِهِ عَظِيمُ الشَّجَرِ لَمْ يَجَاذِبْهُ

(للطرطوشي)

اشعار حكيمه

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاه :

السَّيْلُ يَقْلَعُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الصَّخْرُ يَنْفَطِرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْبَحْرِ تَنْظُرُهُ قَدْ أَضْحَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارُهُ فَإِذَا بَادَرْتَهُ خَمَدَا
وَإِنْ تَوَانَيْتَ عَنْ إِطْفَائِهِ كَسَلَا أَوْرَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقُلُوبَ وَالْكَبَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَّا أَفَادُوكَ فِي إِخْلَادِهَا أَبَدًا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرِفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيَلُوْنَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِأَكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِينَارٍ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تُعَامِلْ مَا عِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
بِالَّذِي أَنْتَ تَرْتَضِيهِ لِنَفْسِكَ
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
تَبْتَغِيهِ فِي كُلِّ أَبْنَاءِ جِنْسِكَ
قَالَ آخَرُ :

لَا يُجِيبَنَّ حَسَنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
فَضِيلَةُ الشَّمْسِ لَيْسَتْ فِي مَنَازِلِهَا
لَوْ زِيدَتْ الشَّمْسُ فِي أَبْرَاجِهَا مَنَةً
مَا زَادَ ذَلِكَ شَيْئًا فِي فَضَائِلِهَا
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
قَوْمٌ هَوُوا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعَا
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
عَرِقَتْ وَيَغْرَقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعَا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
فَلَا يَضِيعُ جَمِيلٌ أَبْنَا زُرْعَا
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
فَلَيْسَ يَخْصُدُهُ إِلَّا الَّذِي زُرْعَا
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخَزَاعِمِيُّ :

إِفْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَبَطَ
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارِجٌ
فَلْخَيْرُ أَيَّامٍ أَلْقَى
يَوْمٌ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجُ

٦٦ قَالَ الْقَطَايِمِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ
وَقَدْ تَقُوتُ عَلَى قَوْمٍ حَوَائِجُهُمْ
مَعَ التَّرَاخِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجَلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَإِلَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ
فَمَا حَسَنُ أَنْ يَعْذِرَ الْمُرَّةُ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ :

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنَّا
إِنِّي وَإِنْ قَصُرَتْ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَتَارِكُ كُلِّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
وَقَالَ أَيْضًا :

مَاذَا يُكَلِّفُكَ الرُّوحَاتِ وَالْذُّجَا
كَمْ مِنْ فِتْيٍ قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطْوَتُهُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اتَّسَدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنُّ وَإِنْ طَالَ مُطَالَبُهُ
أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطِيَ بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا
وَلَا يَغُرَّنَّكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
وَقَالَ الْمُتَنَبِّي :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعِزِّ تَأْتِي الْعِزَامُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا
وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعِظَامُ
قَالَ آخَرُ :

فَقَرُّ الْقَتَى يُذْهِبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يَذْكُرُ بَيْنَ الْوَرَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ نَصِيبِ
 يَجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًا وَفِي الْأَلَايِكِي بِدَمْعِ صَيْبِ
 وَاللَّهُ مَا إِلَّا نَسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا يُلِي بِالْقَرِّ إِلَّا غَرِيبِ
 قَالَ نَاهِضُ الْكِلَابِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمْعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاحِدِهِمْ مُبَاحُ
 وَأَنَّ الْقُدْحَ حِينَ يَكُونُ فَرْدًا فَيُضْرَرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ
 قَالَ آخَرُ :

مَا مِنَ الْحَرَمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبُعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَلِيلِ
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجُ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَتَبَ عَلِيٌّ إِلَى ابْنِهِ حُسَيْنٍ

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعْظُ وَمُودِبُ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمَتَادِبُ
 وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنِ يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلًا تَعْطُبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْعَلَنَّ أَمْالَكَ كَسَبَكَ مُفْرَدًا وَتَقَى إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأَمْالُ عَارِيَةٍ تَحِيُّ وَنَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّبِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبُّ
 وَمَنْ السُّيُولُ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرُ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
 أَبْنِيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ مِنْ الَّذِي يَعْظَاهُ يَتَادَبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ مَخْشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَظَمَتِكَ وَخَطِيئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تُحِلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرْ هَوَاكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
وَالضُّيُوفُ أَكْرَمُ مَا اسْتَطَعَتْ جَوَارُهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ
وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمَنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ السَّامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْمَعُونَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمَعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قُلْتَ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بِبِرِّ الْأَوْدَيْنِ كِلَيْهِمَا
فَلَا تَصْحَبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
وَبِرِّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرِّ الْأَبَاعِدِ
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكَلَّ الْأَدَى وَاحْفَظْ إِيَّانَكَ وَأَتَّقِ
وَنَافِسْ بِيْذَلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكُنْ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضِّرْ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُّوَمَّلٍ
وَكُلْ صَدِيقَ لَيْسَ فِي اللَّهِ وَدَهُ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا
وَأَهْتَمَّ لِلسَّعْرِ الْقَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ تَرَوْدَكَ الْخُفَاةَ وَالْتَقَى
وَأَقْعَ بِقُوَّتِكَ فَالْقَنَاعُ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئَامِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمُوَدَّةِ مَا أَلْتَهُمُ الرِّضَا
لَا تُنْقِسْ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِنَطْقٍ فِي مَجْلِسٍ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْمُتَقَى
وَدَعِ الْمَزَاحَ قُرْبَ لَفْظَةِ مَا زَحَ

فَدَيْتُكَ فِي وَدِّ الْحَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
بِهِمَّةِ مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَا جِدَ
يُصْنَعُ مَدَى الْأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدٍ
وَلَا تَكُ فِي النِّعْمَاءِ عَنْهُ بِمُجَاحِدٍ
أَذَى الْجَارِ وَاسْتَمْسِكْ بِعَبْلِ الْحَامِدِ
خُلُودًا فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدٍ
فَنَادِ عَلَيْهِ هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ

وَحَفَظَ جَارَ لَا تُضَعُّهُ فَإِنَّهُ
وَإِذَا اسْتَمَلَكَ ذُو الْأَسَاءَةِ عَثَرَةً
وَإِذَا أُوتِنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ فَأَخْفِهَا
لَا تَجْزَعَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا
وَاطِعُ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنِ النَّفْسَ وَاجْمَلِهَا عَلَى مَا يَرِيهَا
وَلَا تُرِيَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً
وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ
يَغِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرٍ مُتَوَلَّوْنَ
جَوَادٍ إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ أَخَذِ مَالِهِ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَاحِبُ بَنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ
وَلَا نَ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ
فَارَبَّأَ بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَهْمًا
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ
وَيُظَلُّ يَرْقِعُ وَالْخُطُوبُ تُمَرِّقُ
مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَهْمُ
إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
يُبْدِي عُقُولَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمُنْطِقُ
مَنْ يُسْتَشَارُ إِذَا اسْتُشِيرَ فَيُطْرَقُ

حَتَّى يَجْلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
لَا أَهْلَيْتُكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلٌ
وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ وَإِنَّمَا
لَوْ يُرْزَقُونَ النَّاسُ حَسَبَ عُقُولِهِمْ
لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعُرُوسُ تَلَاقِيَا
سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعُرُوسَ مُبَهَّتًا
وَإِذَا أُمُرُو لَسَعَتُهُ أَفْعَى مَرَّةً
بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
٧٤ قَالَ دِرْبُنُ عَبْدِ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
أَذُودَ عَنْ حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
قَدْ يَجْمَعُ أَمْالًا غَيْرَ أَكْلِهِ
وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
وَصَلَ حَبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ وَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَى الْقَرِيبِ إِنْ قَطَعَهُ
وَلَا تُعَادِ الْفَقِيرَ عَمَّا أَنْ تَرُكَهُ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

فَرَى وَيَعْرِفُ مَا يَقُولُ فَيَنْطِقُ
إِنَّ الْغَرِيبَ بِكُلِّ سَهْمٍ يُرْسَقُ
قَدَمَاتٍ مِنْ عَطَشٍ وَآخِرُ يَغْرَقُ
بِالْجِدِّ يُرْزَقُ مِنْهُمْ مَنْ يُرْزَقُ
أَلْقَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى يَتَصَدَّقُ
هَذَا عَلَيْهِ مُوسَعٌ وَمُضِيقٌ
وَرَأَيْتَ دَمْعَ نَوَاحٍ يَتَرَقَّقُ
وَرَأَيْتَ مَنْ تَبَعَ الْجَنَازَةَ يَنْطِقُ
تَرَكَّتْهُ حِينَ يُجْرُ حَبْلُ يَفْرَقُ
وَمَضَى الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَصْدُقُوا

البابُ النخامِسُ في اللامِث

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِيٍّ) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَقْلٌ وَحِلْمٌ
وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفُوا فِيهَا تَصَانِيفَ .
فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ: مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ . أَفْضَلُ
مِنْ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمُضَرَّةٍ نَفْسِهِ .
الْعَدِيمُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْمٍ . مَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ
تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُتَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السَّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ .
رُبَّ عَتَقٍ . شَرُّ مِنْ رِقٍّ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ
دُونَكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَعْقُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ
فَلَيْسَتْ عِدَّةٌ لِقِيلٍ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّعَائِنَ . غَثُّكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ
غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْمُقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَجَاوِرِ الْبَحْرِ
لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّيْمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ
السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَعِدَّةُ اللَّيْمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ
فَرَأْسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ
نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعِتَارَ (الطرطوشي)

نبد من كلام الرمحشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
أَتَكَالًا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَلْعَنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُؤَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْلُطْفُ رُشُوءٌ مِنْ لَا رُشُوءَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَسْ بَيْعُهُ . وَلَمْ
يُخَسَّرْ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةِ الدُّنْيَا تُقْصِرُ عَنْ شُومِهَا . وَتَسِيْهَا لَا يَفِي بِشُومِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِحْنَ . حَصَدَ الْإِحْنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شُعَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُطْفَى . أَعْمَالُكَ
نَبِيَّةٌ . إِنْ لَمْ تُشْفِهَا بِنَبِيَّةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحَقُّ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْمَةِ . طَوِيَّ لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاضِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ الثَّقْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَبَسْتَ
الْوَرَعَ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْسَيْتَ الْحَسَنَاتِ . كَفَى بِالظُّفْرِ شَفِيمًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْحَيْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتِدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلْ
مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رُبَّمَا كَانَ خَفْ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرُ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَذْمُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاكِنَهُمْ بَيْنَ السَّبَاعِ
وَالْأَخْنَاسِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَعْمَلُوا التَّشْبِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَشَجَعُ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجَبْنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عِفْرَيْنَ . وَأَحْذَرُنْ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصُرْ مِنْ عَقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ قَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ ضَبٍّ . وَأَجَبْنُ مِنْ صَفْرٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرِقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبِرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حِيَةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَالكَذْبُ مِنْ قَاحِثَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ يَبْضِ الْأَنْثُوقِ .
وَأَجُوعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْمُثْقَوِ . (الصَّافِرُ
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأَنْثُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْهَارَةُ تَسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَقَاحِثَةٌ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجُودُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَحُ مِنَ الْبَجْرِ . وَأَنُورُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رَجُلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمِيَةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَسْرُ مِنْ جَدُولٍ . وَأَضْيَقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَازَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيَشِ الْحَوَاصِلِ (الابن عبد ربّه)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ تَجْرَى الْمَثَلُ وَهِيَ لَشُعْرَاءُ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بِغَيْرِ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عُدَّةً أَنَّهُ الرَّيْلِيُّ مِنَ وُجُوهِ الْمَكَاسِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَلْتَ وَإِنْ تَقَصَّدْتَ إِلَى الْبَابِ تَتَدَيَّ

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَبِيبَكَ كُلَّ مَا يَسُوكُ أَبْعَدْتَ الدَّوَاءَ عَنِ السُّقْمِ
 إِنْ أُخْتَنِي مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي فَتَسْ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلُ النَّصِيحِ قَبُولُ فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 أَرَى مَاءَ وَبِي عَطَشٌ شَدِيدُ وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 إِذَا رُمْتَ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوَدَّ اغْضِبْهُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَزْدِي بِقَدْرِهِ إِذَا قِيلَ هَذَا السَّيْفُ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا
 إِنْ الْأُمُورُ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَظْهَرُ
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ وَصَدَقَ مَا يَتَّعَدُهُ مِنْ تَوَهُمِ
 إِنْ تَحْجِدَ عَيْبًا فَسَدَّ الْحُلَلَا جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنِيَّ يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّبَّ وَالضَّبَا
 تَرَقَّبْ خِرَ الْخَسِيِّ إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا وَلَا تَخْشَ مِنْ سُوءٍ إِذَا أَنْتَ لَا تُسِيْ
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصِلًا وَالشَّرُّ يَنْبُقُ سَيْلُهُ الْمَطَرُ
 ذَكَرَ الْفَتَى عُمَرُ الْثَّانِي وَحَاجَتَهُ مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ وَإِنْ عَدَا أَقَوْمَ مِنْ قَدَحِ
 الرَّأْيُ يَصْدَأُ كَالْحَسَامِ لِمَعَارِضِ يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصَقْلُهُ التَّنْذِيرُ
 سَيْكَنَاهُ وَخَسْبَهُ لِحْنًا فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ خَبَثِ الْحَدِيدِ
 عَفَاكَ غِيٌّ إِنَّمَا عِفَّةُ الْفَتَى إِذَا عَفَّ مِنْ لَذَاتِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 غُلَامٌ آتَاهُ الْلُؤْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أُمِّهِ وَلَا أَبِ

فَقَالَ قُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تَطَاوِعُنِي
فَلَا تَجْعَلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى الْفَقْرِ
فَالدَّرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُقْتَنَى
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صِدَقًا وَإِنْ كَذِبًا
لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيًّا حَسَنُ بَرْتِهْ
لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
لَا تَعْرِتْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُ
لَا تَحْسَبِ الْمُحْدِرُطًا أَنْتَ آكَلُهُ
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
لَا تَحْفَرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ
مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا
مَا لِقَوِي عَنْ ضَعِيفٍ غَنَى
مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ الْمَغَابِ إِنْ زَارَتْ
لَا يَحْمِلُ الْحَقْدُ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرَّبُّ
الْمَرْءُ يَحْيَا بِلَا سَاقٍ وَلَا عَضْدٍ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
وَقَدْ يَكْشِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

فَقَالَ خُذْ قُلْتُ كَفَى لَا تَوَاتِبُنِي
فَمَا كُلُّ مَضْفُولِ الْحَدِيدِ يَمَانِي
مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْغَائِصِ
فَمَا أَحْتِيَالُكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
وَهَلْ تَرُوقُ دَفِينًا جُودَةُ الْكُفْرِ
فَالْغَيْثُ لَا يَخْلُو مِنْ الْمَثْرِ
مَ قِيَارُ بَحْيَةٍ فِي رِيَاضِ
لَنْ تَبْلُغَ الْمُجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَا
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
وَلَرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّلْبُ
وَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَادُ بِالْعَالِلِ
أَنِّي بِمَا أَنَا بِكَ مِنْهُ مُحْسُودُ
لَا بُدَّ لِسَهْمٍ مِنَ الرِّيشِ
فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَحَتْ
وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبَعَهُ الْغَضَبُ
وَلَا يَعِيشُ بِلَا قَلْبٍ وَلَا أَدَبٍ
تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
كَمَا يَكْشِفُ الشَّمْسُ جَرْمَ الْقَمَرِ
حَلَاوَتُهُ تَنْقَى وَيَبْقَى مَرِيهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْحِمَارُ ثِيَابَ خَزْ
وَإِذَا اقْتَرَتْ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
وَوَائِي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَفْجَحَ التَّفْرِيطُ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدِ يُوَوِّلُ إِلَى بَلِي
وَإِذَا كَانَتْ النُّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أُرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ عَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخَتْ بِهَا أَصْأَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزَنِ مَاحِيًا
وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُنْتَهَى الْعُمُرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعِمَادَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى الشَّاءَ مُبِرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حِمَارٍ
ذُخْرًا يَكُونُ كَهَاجِلِ الْأَعْمَالِ
وَتَعَجَّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلٌ
سَبَبُ لُجْمِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدَصَفْتَ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَا مِثْلَ حُسْنِ الصَّبْرِ جَبَّةٌ لِأَيْسٍ
وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رِمَادٍ
كَمَا خُطِّي فِي الْقِرْطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَلَكِنَّهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرَّبْطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخِطِ تُبْذِرُ الْمَسَاوِيَا
فَسَوَاءُ طَوِيلُهُ وَأَقْصَرُهُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارَا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهُوَ لَا شَكَّ هَالِكٌ
حُبُّ الشَّاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

البَابُ السَّادِسُ فِي مُرَادٍ عَنِ الرِّبَا وَالْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ باز وديك تناظرا . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكَ : مَا أَعْرِفُ أَقَلَّ
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُؤْخَذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلُكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْعِمُونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُوءُ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدْتَ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحْتَ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سِنِينَ طَرِثَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُؤْخَذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِي فَتَخَاطَبُنِي . وَأُطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأَنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أُطْلَقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَاجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكَ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْرَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَةِ النَّارِ
مَا عُدْتَ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِدَ مُمْلُوءَةً دُيُوكَ . فَلَا تَكُنْ
حَلِيًّا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حكي أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرِغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرِغُوثِ :
إِنِّي لَا أَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَرْجَحُ مِيزَانًا . وَأكْبَرُ شَأْنًا . وَأكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا فَقَدْ أَضْرَبَنِي

الْجُوعُ . وَحَرَمَنِي الْهُجُوعُ . وَلَا أَزَالُ عَلَيْهِ مَجْهُودَةً . مُبْعَدَةً عَنِ الطَّرِيقِ
مَطْرُودَةً . وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ . وَفِي نَوَاعِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ . فَقَالَ لَهَا
الْبُرْغُوثُ : أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنِظَةٌ . وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدْنِدَةٌ . وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي . بِسَبَبِ سَكُونِي

اللبوة والغزال والقرد

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِنَةً بِغَايَةِ . وَبِجَوَارِهَا غَزَالٌ وَقَرْدٌ قَدْ
أَلْقَتْ جَوَارِهَا وَأَسْتَحْصَتْ عَشْرَتَهُمَا . وَكَانَ لِتِلْكَ اللَّبْوَةِ شَبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَغَفَتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا . وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا . وَكَانَ لِحَارِهَا
الْغَزَالُ أَوْلَادٌ صِغَارٌ . وَكَانَتْ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوَّتًا
لِشَبْلِهَا مِنْ النَّبَاتِ وَضِعَارِ الْحَيَوَانِ . وَكَانَتْ تَرْتَفِي طَرِيقَهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغَزَالِ . وَهِنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حُجْرَتِهَا . فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاقْتِنَاصِ
وَاحِدٍ فَيَجْعَلُهُ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ . ثُمَّ أَفْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْغَزَمِ حُرْمَةَ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنْ
الْقُوَّةِ وَالْعَظَمِ . وَأكَّدَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغَزَالِ وَأَسْتَلَامُهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ .
فَأَخَذَتْ ظِلْيًا مِنْهُمْ وَمَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغَزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْقَلْقَ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِظْهَارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِحَارِهِ الْقَرْدَ . فَقَالَ لَهُ : هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَعَلَّهَا تُقْلَعُ عَنْ هَذَا وَنَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مُكَاشَفَتَهَا وَلَعَلِّي أَنْ
أُذَكِّرَهَا عَاقِبَةَ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْحِيرَانِ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَخَذَتْ ظِلْيًا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقَرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاها وَقَالَ لَهَا : إِنِّي لَا أَمْنُ

عَلَيْكَ عَاقِبَةُ النَّبِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أُقْتَصِي لِأَوْلَادِ
الْغَزَالِ . إِلَّا كَأُقْتَصِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قَوْيَ وَقَدْ
سَاقَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : هَكَذَا اغْتَرَّ الْفِيلُ بِعَظِيمِ
جُشْتِهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَحَثَ عَنْ حَقِّهِ بِظُلْفِهِ . وَأَوْبَقَهُ النَّبِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتِ اللُّبَّةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : ذَكُرُوا أَنَّ قُسْبِرَةً
كَانَ لَهَا عَشُ فَبَاضَتْ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاجِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقُسْبِرَةِ .
فَقِي ذَاتَ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَوُطِئَهُ وَهَشَمَ
رُكْنَهُ . وَأَتْلَفَ بَيْضَهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتِ الْقُسْبِرَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِعُشِّهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَعِلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الْفِيلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِئَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَبْهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطِئْتَ عُشِّي
وَهَشَمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَا فِي جَوَارِكَ . أَفَعَلْتَ ذَلِكَ
أَسْتَضْعَافًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مَبَالَاةٍ بِأَمْرِي . قَالَ الْفِيلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَانْصَرَفَتِ الْقُسْبِرَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْفِيلِ وَمُخَنِّ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْعِطَاقِ وَالْغُرَبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
عَيْنِيهِ . فَإِنَّا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْفِيلِ . وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ يَتَجَادَبُونَهُ بَيْنَهُمْ وَيَقْرُونُ عَيْنِيهِ إِلَى
أَنْ فَقَوْهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ . فَقَالَتْ
الضَفَادِعُ : مَا حِيلَتُنَا مَعَ الْقَيْلِ وَلَسْنَا كُفَاهُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى وَهْدَةٍ بِالْقَرْبِ مِنْهُ فَتَقْنِ
تَصْجُنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ لَمْ يَشُكَّ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكُبُّ نَفْسَهُ فِيهَا .
فَأَجَابَهَا الضَفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْقَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْحُقْرَةِ
تَوَهَّمَنَّ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَ مُكْبًا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تُرْفِرُ عَلَى
رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْغَرَبُ بَقُوته الصَّائِلُ عَلَى ضِغْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي . وَبِلَادَةِ قَهْمِكَ مَعَ كِبَرِ جَسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
عَاقِبَةَ الْبُغْيِ وَالْعُدْوَانِ . وَمُسَالَمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدِ الْقَيْلُ مُسْلَكًا لِحَوَائِهَا
وَلَا طَرِيقًا لِحَطَائِهَا . فَلَمَّا انْتَهَى الْقَرْدُ فِي عَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُوءَةِ مِنْ
الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ انْتِهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ الْغَزَالَ انْتَمَلَتْ
بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبْتَغِي لَهَا جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْبُوءَةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَتَرَكَتْ شِبْلَهَا . فَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْبُوءَةُ وَرَأَتْ شِبْلَهَا
مَقْشُورًا رَأَتْ أَمْرًا فَظِيمًا . فَأَمْتَلَأَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
وَدَاخَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقَرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
وَمَا دَهَالِكِ . فَقَالَتِ الْبُوءَةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشِبْلِي فَقَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
لَهَا : لَا تَجْزَعِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَنْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يَدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَقَدَرِ بَذْرِهِ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَيْنَ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنَّ حَقًّا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَجْزِيَ مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّعِيَ لَهُ بِالرِّضَا وَالصَّبْرِ . فَقَالَتِ اللَّبْوَةُ : كَيْفَ لَا
أَجْزِعُ وَهَوْفَةٌ أُلْعِنَ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهْمَةُ الْفَكْرِ . وَآيُ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي نَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقَرْدُ : أَتَيْهَا اللَّبْوَةُ مَا الَّذِي كَانَ يُعَدِّيكِ
وَيُعْشِيكِ . قَالَتْ : لَحْمُ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقَرْدُ : أَمَا كَانَ لِكَانِ
الْوُحُوشِ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِينَهَا آبَاءُ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ : بَلَى . قَالَ الْقَرْدُ :
فَمَا بَالُنَا لَا نَسْمَعُ لِكَانِ الْآبَاءِ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصُرَاخًا كَمَا نَسْمَعُ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
وَقَدْ نَصَحْتُكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ . وَالْحَقُّ بِنَفْسِكَ الْغَارَ .
وَجَاوَزْتَ بِقُوَّتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الظُّلْمِ الضَّعَافِ .
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ . قَالَتِ اللَّبْوَةُ : وَجَدْتُهُ
مَرَّ الْمَذَاقِ . وَلَمَّا عَلِمْتَ اللَّبْوَةُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْقَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حُكْمِي أَنَّ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ مَرْكُوزَةً فِي مَطْبَخِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونَ أَنْ يَبْدُو مِنْهَا أَذْنَى سَبَبٍ يَكْدِرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنْ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَيْقِظَ أَصْحَابُ الْحِلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهِهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدَهَشَ .
وَبَذَلَتْ الْقَارِبُ جُهدَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالَةِ سَيْرِهَا الْأُولَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عَدِيمَةَ الْحَرَكَةِ بِمَا شَمَلَهَا مِنَ الْعَجَبِ . وَأَصْبَحَ الثَّقُلُ
وَاقِعًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِيلَ الذَّنْبَ عَلَى اخْتِبَاءِهَا
وَضَفَّقَ الْوَجْهَ يَبْتَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتْ الدَّوَالِبُ
وَالْقَارِبُ تُبْرِئُ نَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ سَمِعَ مِنَ الدَّقَاقِ
بِاسْتَفْهَالِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَعُ عَلَى نَفْسِي بِأَنِّي أَنَا كُنْتُ
عَلَى هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنَ لَكُمْ سَبَبُ ذَلِكَ لِسُكُوتِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلَيْتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعْتَ السَّاعَةُ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلْكِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّقَاقُ : لَا بُدَّ لَكَ يَا سَيِّدِي
الْوَجْهَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْمَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَسَلًا
وَتُنَسِّبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّحْدِيقُ فِي وَجْهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَحْدُثُ فِي الْمَطْبَخِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ مِثْلِي فِي مَوْضِعِ ضَنْكِ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحْيِزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ نَحْيٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى اتِّطَلُعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَكْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ اسْتَرَدَّتْنِي شَرْحَاءُ فَإِنِّي أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّخْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْإِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوِجُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَعَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَقْرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهًا : إِنَّ عِدَّةَ الْإِرَارِ الَّتِي يَنْبَغِي لَكَ فِيهَا الْحُجِّي وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَحِيدَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةَ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُحَالُ أَنْ مُجَرَّدَ التَّفَكُّرِ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءً وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنَ عَظْمِي وَعَزْمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَحِيلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَكَالِمَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَظُمَ غَيْظُهُ وَخَاطَبَهُ بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَّاقُ الْغَرِيزَانِي لَهِيَ تَعَبٌ عَظِيمٌ مِنْ أَنْتِقَالَ شَخْصٍ فَاضِلٍ نَظِيرِكَ لِمِثْلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَقْتَةً . نَعَمْ إِنَّكَ وُلِيتَ فِي عَمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيمَةً كَمَا عَمَلْنَا مَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التفكر في هذه الأشغال وحده يوجب الغناء غير آني أضن مباشرتها
ليست كذلك . فالتمس منك أن تسدي إلي معروفك بأن تدق
الآن ست دقات ليصبح مصداق ما قلت . فرضي الدقاق بهذا ودق
ست دقات جرياً على عادته . فقال له الوجه حينئذ : ناسدك الله
هل أبدى لك ما بشرته الآن نصبا وتعبا . فقال الدقاق : كلا فإن
ملي وتضجري لم ينشأ عن ست دقات . ولا عن ستين دقة . بل عن
ألف وألف ألف . فقال له الوجه : صدقت . ولكنه ينبغي لك أن
تعلم هذا الأمر الضروري . وهو أنك حين تفكر في هذه الألف
بلحظة واحدة . فإن الذي يجب عليك منها إنما هو مباشرة دقة
واحدة لا غير . ثم مهما لزمك بعده من الدق يفسح الله لك في أجل
لإتمامه فقال الدقاق : أشهد أن كلامك هذا حاك في وأمالي .
فقال الوجه : عسى بعد ذلك أن نعود بأجمعنا إلى ما كنا عليه من
العمل . لأننا إذا بقينا كذلك يظل أهل المنزل مستغرقين في النوم
إلى الظهر . ثم إن الأثقال التي لم تكن وصفت قط بالحقة ما برحت
تغري الدقاق على الشغل حتى أخذ في مباشرة خدمته كما كان .
وحينئذ شرعت الدواليب في الدوران . وطفقت العقارب تسير . حتى
إذا ظهر شعاع الشمس في المطبخ المفلق من كوة فيه أمثلا الوجه
ضياءً وانجلي نعيسه . كأن لم يكن شي مما كان . فأما صاحب المنزل
فلما نزل إلى المطبخ ليظفر فيه . نظر إلى الساعة المزكوزة فقال : إن

السَّاعَةُ الَّتِي يَجِيئُ تَأَخَّرَتْ فِي السَّيْرِ لَيْلًا نَحْوَ ثَلَاثِينَ دَقِيقَةً

قِرْدٌ وَغِلِمٌ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا

٨٣ زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا يُقَالُ لَهُ مَاهِرٌ كَانَ مَلِكَ الْقِرَدَةِ وَكَانَ قَدٌ كَبِيرٌ وَهَرَمٌ. فَوُثِبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمُلْكِ فَتَقَلَّبَ عَلَيْهِ وَأَخَذَ مَكَانَهُ. فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى السَّاحِلِ. فَوَجَدَ شَجَرَةً تَيْنٍ فَأَرْتَقَى إِلَيْهَا وَأَتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا. فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا. إِذْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ تَيْنَةٌ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِقَالًا. فَجَعَلَ يَأْكُلُ وَيَرِي فِي الْمَاءِ فَظَرَبَهُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَ مِنْ تَطْرِيحِ التَّيْنِ فِيهِ. وَكَانَ ثُمَّ غِلِمٌ كُلَّمَا وَقَعَتْ تَيْنَةٌ أَكَلَهَا. فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَغَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ. وَالْفُكْلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبُهُ. وَطَالَتْ غَيْبَةُ الْغِلِمِ عَلَى زَوْجَتِهِ. فَحَبِزَتْ عَلَيْهِ وَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ: قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ سَوْءٌ فَأَغْتَالَهُ. فَقَالَتْ لَهَا: إِنْ زَوَّجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ قِرْدًا وَأَلْفَهُ الْقِرْدُ. فَهُوَ مَوَالِكُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ. ثُمَّ إِنَّ الْغِلِمَ أَنْطَلَقَ بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً الْحَالِ مَهْمُومَةً. فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكَ هَكَذَا فَأَجَابَتْهُ جَارَتُهَا: إِنْ قَرَيْتُكَ مَرِيضَةً مُسْكِنَةً. وَقَدْ وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ. فَقَالَ: هَذَا أَمْرٌ عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأُشَاوِرُ صَدِيقِي. ثُمَّ

انطلق إلى ساحل البحر فقال له القرد: يا أخي ما حبسك عني. قال
 له الغليم: ما تبطني عنك إلا حيائي. كيف أجازيك على إحسانك
 إليّ وإنما أريد الآن أن تتم هذا الإحسان بزيارتك لي في منزلي.
 فإني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة كثيرة الأثمار. فأركب ظهري
 لأسبح بك. فرغب القرد في ذلك ونزل فامتطى مطا الغليم. حتى
 إذا سبح به ما سبح عرض له فبح ما أصمر في نفسه من القرد فكس
 رأسه. فقال له القرد: ما لي أراك مهتماً. فقال الغليم: إنما همي
 لأنني ذكرت أن قريتي شديدة المرض. وذلك يمنعني عن كثير مما
 أريد أن أبلغك من الأكرام والألطف. قال القرد: إن الذي
 اعتقد من حرصك على كرامتي يكفيك موونة التكلف. قال الغليم:
 أجل. ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية. فسأ ظن القرد وقال
 في نفسه: ما احتباس الغليم وبطؤه إلا لأمر. ولست أمانة أن يكون
 قلبه قد تغير عليّ وحال عن مودتي فأراد بي سوءاً فإنه لا شيء أخف
 وأسرع قلباً من القلب. ويقال: ينبغي للعاقل أن لا يقبل عن التماس
 ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر وفي كل
 لحظة وكلمة. وعند القيام والقعود وعلى كل حال. وإنه إذا دخل
 قلب الصديق من صديقه ريبة. فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ويتقعد
 ذلك في لحظاته وحالاته. فإن كان ما يظن حقاً ظفر بالسلامة.
 وإن كان باطلاً ظفر بالحزم ولم يضره. ثم قال للغليم: ما الذي

يَحْسُوكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنْزِلِي فَلَا تُتْلِي أَمْرِي كَمَا أَحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْقِرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَمَّ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّمَسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَيْلَمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَالَتِ الْأَطْبَاءُ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قِرْدٍ . فَقَالَ الْقِرْدُ فِي نَفْسِهِ : وَاسَوْءُ تَأَهُ لَقَدْ أَدْرَكْنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِ سِنِّي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مَوَرَّطٍ . وَلَقَدْ صَدَقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْقَانِعُ الرَّاظِي مُسْتَرِيحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ أَحْتَجْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 التَّمَاسُ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ لِلْغَيْلَمِ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُتْلِنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْمِلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سَنَةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْقِرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيَاةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمَزُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَيْلَمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفْتُهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَقَرَّحَ الْغَيْلَمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْقِرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَثَبَ الْقِرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَيْلَمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَجْمِلْ قَلْبَكَ وَأَنْزِلْ فَقَدْ عَشَيْتُنِي . فَقَالَ الْقِرْدُ : هِيَاتِ
 وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

فَارِطَ أَمْرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْحِلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْعَلَمِيُّ : صَدَقَتْ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِزَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَحْيَ أَنْ يُؤَدِّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ التَّخَلُّصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَعْرِضُ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَعْتَمِدُ . فَهَذَا
مِثْلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَهَرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كليله ودمنه)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فَيَّانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَثَارُوا صَبْعَةً فَفَرَّتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُوهَا . فَجَلَّتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسَّيْفِ مَسْلُولا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنِّي اسْتَجَارْتُ بِي
فَحَلَلُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُوا إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْزُولَةٌ مَضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الذَّبَنَ صَبُوحًا وَمَقِيلًا وَغَبُوقًا حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرٌ أَمْ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ أَلْبَانَ اللَّقَاحِ الدَّرَائِرِ
فَأَشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَتْ قَرَّتْهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظَافِرِ
فَقُلْ لِذَوِي الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وغراب وابن آوى وجمل

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ
٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةِ ذُبُورٍ وَغَرَابُ وَابْنُ آوَى . وَإِنَّ رِعَاءَهُ مَرُّوا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالُ . فَتَخَلَّفَ مِنْهَا جَمَلٌ فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : تَقِيمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخَصْبِ . فَلَيْتَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فَيْلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَقْلَتْ مِنْهُ مُثْقَلًا مُتَخَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفَيْلُ فِيهِ أُنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكُدْ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ جَرَاكَو حَرَمَ طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَيْتَ الذُّبُورِ وَالْغَرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَفَوَاضِلِهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَحْتَجَمْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يَهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكََ عَلَى مَا زَاهٍ فَلَيْتَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْتَشِبُوا لَعَلَّكُمْ تَصِيحُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبَكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذُّبُورُ وَالْغَرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَحَوُا نَاحِيَةً وَانْتَرَوْا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا . مَا لَنَا وَلِهَذَا
الْأَكْلُ الْعُسْبُ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا .
أَلَا بُرِّينَ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : اَنَا اَكْفِيكُمْ الْاَسَدَ . ثُمَّ اَنْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْاَسَدِ فَقَالَ
لَهُ : هَلْ اَصْبَحْتُمْ سَيِّئًا . قَالَ الْغُرَابُ : اِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيَبْصُرُ .
وَنَحْنُ فُلَاسَعِي لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا لِرَأْيِ
وَاَجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ . فَاِنْ وَاَفَّقْنَا الْمَلِكُ فَنَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْاَسَدُ : وَمَا
ذَاكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ اَكَلَ الْعُشْبَ الْمُتَمَرِّغَ بَيْنَنَا مِنْ غَيْرِ
مَنْفَعَةٍ لَنَا مِنْهُ وَلَا رَدٍّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يُقْبَلُ مَضْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْاَسَدُ
ذَلِكَ غَضِبَ وَقَالَ : مَا اَخْطَا رَأْيُكَ . وَمَا اعْجَزَ مَقَالُكَ وَابْعَدَكَ مِنْ
الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا اَنْ تَجْتَرِيَ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ
وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتُ اَنْيَ قَدْ اَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . اَوْ لَمْ يَبْلُغْكَ اَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقُ بَصَدَقَةٍ هِيَ اَعْظَمُ
اَجْرًا مِنْ اَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقْنِ دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ اَمَنْتَهُ وَلَسْتُ
بِالْعَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : اِنِّي لَا عَرَفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ النَّفْسُ
الْوَّاحِدَةُ يُفْتَدَى بِهَا اَهْلُ الْيَتِي . وَاهْلُ الْيَتِي يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا اَهْلُ الْمِصْرِ . وَاهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَلْتُ
بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَاَنَا اَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى اَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
وَلَا يَلِيَهُ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا مُحْتَالٌ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
فِيهَا صَلاَحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْاَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ .
فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ اِقْرَارَ الْاَسَدِ اَتَى اَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
الْاَسَدَ فِي اَكْلِهِ الْجَمَلَ : عَلَى اَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضْرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتِمَامًا مِنْ بَأْسِهِ وَحِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسِفُّهُ رَأْيَهُ
وَيَبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْثَرِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ أُخِيتُ أَهْيَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقَوِّيك . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ فَإِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا أَهْلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرَةٍ .
فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طَبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ : أَسْكُتْ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْثَرِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبَعُ الْمَلِكُ . فَلْيَاكُلْنِي فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتِنٌ قَذِرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَذَلِكَ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنِّي
وَإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَاكُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ التَّسَوَّى لَهُ عِذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِيَّ لِلْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلِحَبِي طِيبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَاكُلْنِي الْمَلِكُ وَيَطْعَمِ
أَصْحَابَهُ وَحَشَمَهُ . فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكَرَّمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ وَمَزَّقُوهُ

(كليله ودمنه)

الجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْغِيَاضِ لِدِئْبٍ وَجَارٌ . وَاهْلُ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِيَطْلُبَ صَيْدَهُ . وَنَصَبَ لَذَلِكَ شِبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَارَ يُجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْضُولٍ . فَأَثَرَفِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَادَّنتِ
الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قَطِيعًا مِنَ الصَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا لِشِدَّةِ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقِظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئَتْهُ
مُتَحَقِّظًا . فَجَعَلَ يَدُقُّهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْحَرْصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَائِقٌ . وَلِلذَّئْبِ عَارِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَفَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّكِيُّ .
فَأَدْرَكَهُ الذَّيْبُ اللَّشِيطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمْلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفْرِ .
وَوَطَّارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَّرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّيْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أُصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرَ قَصَابُ الْبَلَاءِ مِنْ قُصْبِهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَحْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرْطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا مَعِثَ الْخِدَاعِ وَالْحِيلَةِ . وَادَّكَرَهُ مُذَكِّرُ الْخَاطِرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرٌ
فَتَقَدَّمَ بِجَاشٍ صَلِيبٍ . وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْ الذَّيْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجِبًا
الرَّاعِي . لِمَنَا بِكَ دَاعِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . يَشْكُرُ
صَدَاقَتَكَ وَشَفَقَتَكَ . وَحَشَمَتَكَ وَمُرَافَقَتَكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ لِحُسْنِ

أَبَاكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَأَبَاكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضَعْفَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِمَصَافِيهَا الشَّيْعُ . وَأَمِنْتَ بِجَوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْفَزَعَ . وَحَصَلَ الْأَمْنُ مِنَ الْجَزَعِ . فَسَيَجْعَلُ جَوَارِكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَحْتَمٍ . لِأَنَّ ضَعْفَ مَا شَيْتَهِ شَبِعَتْ وَرَوَيْتَ . وَاتَّعَشْتَ
 وَقَوَيْتَ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مَصَادِقَتَكَ وَمَصَافَاتَكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أُنْعِي . فَإِنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغِنَاءِ . وَصَوْتِي يَزِيدُ شَهْوَةَ الْفِزَاءِ . فَإِنْ أَقْبَضَنِي رَأْيُكَ
 أَلَّا سَعْدُ . غَنَيْتُكَ غِنَاءً يُبْسِي أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبُدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَطْفُرْ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَعْقَابُكَ وَأَوْلَادُكَ . يُقَوِّي كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَأْكَلَكَ . وَيُسْنِي مَأْمَلَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 اللَّذِيذُ . أَلَذُّ لِلْجَائِعِ مِنْ جَدْيٍ حَنِيدٍ . وَخَبَرٌ سَمِيدٍ . وَلِلْمَعْطَشَانِ مِنْ قَدَحٍ
 نَبِيدٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَأَلُكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالْمَلِكُ .
 فَغَنَّ مَا بَدَأَكَ . فَرَفَعَ الْجَدْيُ عَقِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الصَّرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَنْشَدَ :

وَعَصْفُورُ الْحَشَايَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَعَادَهُ
 فَأَهْتَرِ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازِيلَ عُجْبًا وَعُجْبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْغَنَمِ .
 وَلَكِنْ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْبَحْرِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . فَقَدْ أَخْجَلْتَ
 الْبَلَابِلَ وَالزَّرَازِيرَ . وَزِدْنِي يَا مُعْنِي . وَغَنِّي لِي . مَا يَبْلِي قَوْلِي :
 أَقَرَّ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمَنَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَمَّ الْجَدِيُّ الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِعِطَاطِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرْخَةً أُخْرَى . أَذْكَرُ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتَ . كَمَنْ عَايَنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَارِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَاذَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْفَتَاقُ . وَقَالَ :

فَقَوَّاهُمْ أَنْظُرُوا حَالِي أَبُو مَذَقَّةَ أَكَّالِي
فَسَمِعَهُ الرَّاغِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالطَّرْقِ يَعْدُو . فَلَمْ يَشْعُرْ الذَّبُّ الدَّاهِلُ .
وَهُوَ يُحَسِّنُ السَّمَاعَ غَافِلُ . إِلَّا وَالرَّاغِي بِالْعَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلُ .
فَرَأَى الذَّبُّ الْغَنِيمَةَ فِي النِّجَاحِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ . وَتَرَكَ الْجَدِي
وَأَقْلَتَ . وَتَجَاوَزَ سَفْهُ الْمَوْتِ الْمُصْلَتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّتْ . إِذْ
تَقَلَّتْ . وَأَقْفَى يَعْضُ يَدَيْهِ نَدَامَةً . وَيُحَاطِبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَافِلُ الدَّاهِلُ . الْأَخْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْرُ وَالْأَوْرَانُ . وَآيُ جَدِّ لَكَ قَانِ . أَوْ أَبِ مُفْسِدِ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْمَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَالِثِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَائِعًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِمْرَةِ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ صِرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُحَاطِبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مِضْيَاعُ الْفُرْصَتِهِ . حَتَّى إِذَا قَاتَ أَمْرُ عَاتِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ رَهْرَ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَقِيرٌ عِنْدَهُ هَرُّ رَبَاهُ . وَأَحْسَنَ مَاوَاهُ . وَكَانَ الْقِطُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلْفَ مِنْهُ الْمَوَدَّةَ وَالْمَلَّةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْعَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْهَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ سِنَ
أَمْرٍ وَحَالَ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغَذِّيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْخَرُ بِهِ مِنْ أَرَادِلِ الْقَارِ عَمْرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ . مَاوَى لِرَئِيسِ الْجُرَذَانِ . وَبِجَوَارِهِ
تَحْزَنُ سَمَانٌ . فَأَجْتَرَأَ الْجُرَذُ لِضَعْفِ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ نَقْلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْقَطِ آمِنًا وَيَضْحَكُ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَلَأَ
وُكْرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَطَاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخُلاُوفِ وَالْمَزَاحِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْجِيرَانِ . وَاسْتَعَانَ بِطَوَائِفِ الْقَارِ عَلَى الْمُسَدَّاتِ .
وَأَفْتَكَرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا آدَاهُ إِلَى حُلُولِ رَهْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الْقَطِ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُرَابِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتِّحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِغْتِيَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ لِسَبَبِ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا أَفْتَحُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْغَدَّارَ لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . فَرُبَّمَا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَّارَ يَنْهَبُ وَيَهَبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيُجْعِلُ
فِي مَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الْقَطُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيُثَوِّرُ قَلْبَهُ . وَيَفُورُ
حَنَقُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مَنِي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرَأُ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَاضْطُرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالْخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السَّكَنِ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْغَرَامِ .
وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِّكَ الْاِقْتِنَاصِ
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرْبُ اخْمَاسٍ لِلسَّدَاسِ . فِي كَيْفِيَةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا النَّاسِ .
فَأَدَّاهُ الْفَكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَمِرَّ بِوَاسِطَةِ الصُّلْحِ بِسَاطِ الْإِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
الْفَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوَثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْعُهُودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْاِتِّفَاقُ مِنَ الْعُقُودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَزِمَ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
الْغِذَاءِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ الْمَالِ مَا
وَقَّيْتُ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَصِحَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُقُودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعِدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَجَمَعَ لَهُ
مِنَ الْخُبْزِ وَالْجُبْنِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَّرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بَنَاقِهِ . وَقَدَّمَ مَقَامَ الْهَرِّ وَسَامَ عَلَيْهِ سَلَامَ مُكْرَمٍ مُبَرِّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَعْزُّ عَلَيَّ . وَيَعْظُمُ
لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
الْجُهْدَ وَالصَّيْرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَنَاوَلَ الْقَطْرُ
مِنْ تِلْكَ السَّرِيقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنِّي عَلَيْكَ مِنَ الْخُشُوعِ . مِثْلَ مَا لِلجَّارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَّارِ الشَّفِيقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَّكِدَ الْجَوَارُ بِالمُصَادَقَةِ . وَتَبَّتْ الْحَبَّةُ المَوَاتِقَةَ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عِدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَرُكْ مِنَ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الخَصْلَةَ
الدِّمِيَّةَ . وَتَسْتَأْنِفُ الْعُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الخُلُقِ الْمَعْهُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الْإِحَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا مَا يُغْذِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَنًا . فَإِنْ أَمَّنْتَنِي مَكْرَكَ وَرَغَبْتَ فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَأكَّدْتَ ذَلِكَ لِي
بِمُعَظَّمَاتِ الْإِيمَانِ حَتَّى اسْتَوْثِقَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ أَمْنًا فِي حَيْثُكَ
وَذَهَابِكَ . وَتَوَكَّلْتُ بَيْنَ تَحَالِيكَ وَأَنْبِيَاكَ . فَإِنِّي أَلْتَرَمُ لَكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا لَيْسُدُّ حَتَّتَكَ . وَيُسْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً وَغَدًا وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى الْهَرُّ هَذَا الْبَرَّ . اعْجَبَتْهُ هَذِهِ
النَّعْمُ . وَأَطْرَبَهُ هَذَا النِّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِعًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ الْجُرْدَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ الْجُرْدُ وَهُوَ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي الْقَطُّ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَرَمَ بِهِ مِنَ الْقَدَاءِ وَالْعَشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ الْقَطُّ وَاسْتَوَى . وَسَلِمَتْ
حَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا الْقَطِّ دِيكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْنَسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدِّيكِ تَعْوِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَقِفْ لَهَا لِقَاءً .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ الْقَطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَامَ الشِّقَاءِ . فَسَأَلَهُ

الديك : بماذا زال ذلك الهزال . فأخبره بحجر الجرد وأنه صار عنده
 من أعز الأصدقاء الخيرين الأمانة . فضحك الديك مستغرباً . وطفق
 يصفق بجناحيه متعجباً . فقال له : مم تصحك . قال : من سلامة باطنك .
 وأنيادك لمداهنك . وحسن صنائعك . إلى غاشبك ونخادعك . ومن
 يأمن لهذا البرم . الواجب قتله في الحِلِّ والحرم . المفسد الفاسق .
 المؤذي المنافق . الذي خدعك حتى آمن على نفسه . وأوقعك في
 حبال كيديه ونحسه . مع أنك لست عنده بمشكور . ولا بالخير
 مذكور . وإنما الذي شاع . وملاً الأسماع . أنك تحل عقده . وتفض
 عهده . وتنتك الأيمان . وتجازي بالسبئية الإحسان . فإنه لما لم
 يرمك ما يبره . أصبح متوقفاً ما يضره . وأعظم من هذا أنه حشر
 ونادى . وجأهرك بالشري وعادى وقال : إنه أحيأك بعد الموت . وردك
 بعد القوت . وإنه لولا فضله عليك . وبره الواصل إليك . لت هز إلا
 وجوعاً . ولما عشت أسبوعاً . وإنه شفاك وعافاك . وصفا لك وصفاك .
 وهل سمعت أن جرذاً صادق هرة . أو كحق بينهما مرافقة . فمنا صحة
 القطر والفار . كمصادقة الماء والنار . فلما سمع أقط هذا الكلام . تألم
 خاطره بعض إيلام . وقال للديك : خراك الله عني خيراً . ولكن من
 أخبرك بهذا الخبر . وصدقك ما أثر . فقال : لقد عرك الجرد بلقيات
 من الحرام . والسحت المنعس في الآثام . وجعلها لك بمنزلة حبة
 الفتح . فلا تشربها إلا وأنت في السلخ . حيث لا رفيق يتشفع فيك

وَلَا أَخَ . وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ . وَمَا أَطْلَعْنَاكَ عَلَى مَا قُلْتَ
إِلَّا مِنْ قُرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ . فَتَرَجَّحَ جَانِبُ صِدْقِ الدَّيْكَ عِنْدَ الْقِطْرِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ . بَعْدَ مَا أَجَالَ قِدْحَ ضَمَائِرِهِ : إِنَّ هَذَا الدَّيْكَ مِنْ حِينَ
أَنْفَلَقْتَ عَنْهُ الْبَيْضَةَ . وَسَرَحْتَ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ . مَا وَقَفَتْ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ . وَلَا سَمِعَتْ أَنَّهُ لَيْشَى مِنْ الزُّورِ مَرَّتَكَ . فَهُوَ أَبَدٌ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ . وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُغَشَّ وَيَتَصَنَّعَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبَرِ . وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوِيلَتِهِ دَلَالَةٌ تُنْتَظَرُ . قَالَ : نَعَمْ .
وَرَبِّ الْحَرَمِ عِلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ . وَنَظَرَ إِلَيْكَ . يَكُونُ
مُخْفِضَ الرَّاسِ . مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ . مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِبَةٍ . أَوْ زُؤُلَ
مُصِيبَةٍ صَائِبَةٍ . مُتَفَتِّيًا يَمِينًا وَشِمَالًا . مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا . طَائِفًا
يَتَنَبَّأُ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ . وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرُ بَائِسٍ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْحَاوِرَةِ . وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمَشَاوِرَةِ . دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ . وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ . فَرَأَى أَبَا يَظْطَانَ . يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ . فَخَسَّ وَقَهَّرَ . وَتَوَقَّفَ وَتَفَكَّرَ . وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ . فَاشْتَارَ لِرُؤْيِيهِ الدَّيْكَ وَاسْتَمْعَلَ . وَانْتَفَضَ وَأَبْرَأَ . فَارْتَدَّ
الْجُرْذُ مِنْ شَيْخِ الدَّيْكَ . لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ . وَانْتَفَشَ وَأُزْزِيَ .
وَتَبَقَّضَ وَذَوَّى . وَانْتَفَتَّ يَمِينًا وَشِمَالًا . كَالطَّالِبِ لِلْفِرَارِ رَجَالًا .
وَالْقِطْرِ يَرِاقِبُ أَحْوَالَهُ . وَتَمَيِّزُ حَرَكَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ . فَيَتَحَقَّقُ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُتَقَبِّحِ . وَهُمْ وَكَفْهَرُ . وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَأَزْبَارُ .

وَلَسِيَّ الْهُودَ وَالْأَيَّانَ . وَتَبَضَّ فِيهِ عِرْقُ الْمَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانَ .
فَوُتِبَ عَلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

الهدهد الغير المتروى

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْخَيْرِ . عَالَمٌ بَضْ عَيْدِهِ الصُّلْحَاءُ مِنْطَقِ
الطَّيْرِ . فَصَاحِبٌ مِنْهَا هَذُودًا . وَازْدَادَ مَا بَيْنَهُمَا تَوَدُّدًا . فَقَبِي بَضْ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُدُودِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُتَنَبِّتٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مُشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِلسَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّلَاجِ وَالْقَبَاءِ وَالْدِّيَابِجِ لَا تَتَعَدُّ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ فَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبَنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجُلَاهِقِ . فَقَالَ الْهُدُودُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ مَسْلُوكُ الْمَهَالِكِ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتُ عَلَى الْقُعُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَبِيحًا وَأُظُنُّهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَوْمٌ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَنْتَرَجُ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصِّحَاكِ إِلَيْهِ . وَأَتَجَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصُّمْعِ . وَأَسْخَرُ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأُنَبِّئُهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خَزَعِلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرُّجُلَ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَانْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُدُودَ فِي يَدِ الصَّبِيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْصُورَةٍ فِي يَدٍ طِفْلٍ يَهِينَهَا تُقَاسِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلُ يَلْعَبُ
فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَقْلٍ يَرْقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْفَكُّ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
فَنَادَاهُ وَقَالَ : يَا أَبَا عِبَادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
إِنَّكَ وَعَيْتَ . وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ . فَقَالَ : أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْهُدْهُدَ إِذَا
تَقَرَّ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ . وَلَا يُبْصِرُ شَجَرَةَ الْفَحِّ
وَلَا مَا وَرَ . وَنَاهِيكَ قِصَّةُ آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ . كَيْفَ خَذَلَ لَمَّا غَوِيَ
وَأَغْتَرَّ وَبَطَرَ . وَكَذَلِكَ غَيْرُهُ مِمَّنْ اشْتَهَرَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
أُغْتَرْتُ بِحِدَّةِ بَصْرِي . ذَهَلْتُ تَمَامًا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَتَقَطَّتْ حِدَّةُ
أُسْبُصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فَحٍّ أَغْتَرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَكَانٍ مَكِينٍ . مَأْوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ
غِيَاضٌ وَغُدرَانٌ تُضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَا وَخَيْرٍ . يُرْجَى
الْأَوْقَاتِ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَالْغُدرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مُنْقَارِهِ
سَمَكَةٌ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ . تَعَسَّرَ عَلَيْهِ سَبَابُ الْعِذَاءِ .
وَأَرْتَجَّ لِقَوْتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابَ الْعِشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
وَالْمَلُكُوتِ . يَطْلُبُ مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوْتِ . فَلَمْ يَفْتَحْ عَلَيْهِ شَيْءٌ
مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْخُوتِ . وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيَالٍ . فَحَاضَ يَوْمًا فِي الرَّقْرَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَرْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَفَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ أُلْتَقَفَهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَقْتَالِهَا . قَصَدَ إِلَى ابْتِلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقٌ نَفْسِهَا . قَبْلَ
اِسْتِقْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَتَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تَكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْعُصْفُورُ وَدَسَمُهُ . اُسْمَعْ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ عَمَرَنَا
فِي صَوْنِهِ أَتَقْضَى . لَا تَعْجَلْ فِي ابْتِلَاعِي . وَلَا تُسْرِعْ فِي صَيَاغِي . فَنِي
بَقَائِي فَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
السَّمَكُ فَالْكُلُّ عَيْدُهُ وَرَعِيَّتُهُ . وَوَأَجِبْ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنَّ أَبِي نَذَرَ النَّذْرَ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي ابْتِلَاعِي كَبِيرُ فَائِدَةٍ . وَلَا أَسَدُ
لَكَ رَمَقًا . وَلَا أَشْغَلُ لَكَ مَعْدَةً فَتَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَقْفِرَنِي فِيمَنْ
أُحِبُّ وَلَا أَسْتَغْنَى . فَالْأَوَّلَى أَنْ أَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنِكَ .
فَأَكُونَ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَعْلَاقِ الْمَحَبَّةِ وَالْمُرَافَقَةِ .
وَيَحْمِلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْمِنَّةَ التَّامَّةَ وَالْفَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعَاهِدُكَ إِنْ
أَعْتَقْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَقْتَنِي . أَنْ أَتَكَفَّلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ سِمَانٍ وَدِكَاكٍ . نَاتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَدٍ تَحْمِلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا الْحُجُونُ . أَغْرَاهُ
الطَّمَعُ . فَمَا ابْتَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعِيدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَبَجَرِدَ مَا فَتَحَ فَأُهِلَ بِالْمُزْمَةِ . اُتْلُصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَغَاصَتْ
فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فِكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
لِتَتَأَمَّلَ عُمِّي أَمْرَكَ قَبْلَ الشُّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
مَبَادِيهِ . فَقَدْ قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَعْضِ الْقُرَى لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخُلُقِ وَدِيكٌ .
مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَمَضَى عَلَيْهِ
مِنَ الْعُمُرِ سُنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى فُنُونٍ . وَقَلَسَى
حُلُوهَ وَمُرَّهُ . وَعَانَى حرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِلثَّعَالِبِ شَبَاكَ مَصَايِدَ .
وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَاتِ مَكَايِدَ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِيهِ
نَوَائِبَ وَشِدَائِدَ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَثَعَالِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
كُتُبِ حَيَاهَا طَلَايِعَ كِتَابٍ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِقِهَا عَجَائِبَ غَرَائِبَ .
فَاتَّقَى لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَقَفَ عَلَى بَعْضِ الْجُدْرَانِ . فَنَظَرَ
فِي غُطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خِيَالَ تَاجِهِ الْهَقِيقِيَّ .
وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيقِيَّ . وَنَقَضَ بُرَائِلَهُ الْمُنْشَى . وَسَرَّ أَوِيلَهُ الْمُنْقَشَ .
وَالثُّوبَ الَّذِي رَفَعَهُ نَقَّاشُ الْقُدْرَةِ مِنَ الْمُقَطَّعِ الْمُبْرَقَشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَأَظْرَبَهُ حِسَّهُ فَصَارَ يَتِيهِ وَيَتَجَنَّبُ . وَيَقْصِفُ
وَيَنْخَطِرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّيُّ سُوَيْعَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الصَّيْعَةِ . فَصَعِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدِ انْتَصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتُهُ بِالْأَذَانِ . فَأَنْسَى
صَوْتُهُ الْكُتَّانِي وَالْذَّهَّانَ . فَسَمِعَهُ ثَعْلَبٌ . فَقَالَ : مَطْلَبٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَفَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَسَ اللَّهُ بِدَنِّكَ وَرُوحِكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَيَاةِ غُبُوفَكَ وَصُبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَجِيتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصُّبْحِ فِي الْأَذَانِ . فَإِنَّ لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَائِبَ الْقَوْتِ . وَوَصَائِبَ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِاسْتِمَاعِ عَايِكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدِي مِنَ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبَشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ . وَأَتَجَمُّعُ مِنَ الْوَلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَتَّفِقْ مِثْلُهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَقَعُ نَظِيرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَى اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَزْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرَ مُنَادِيًا فَنَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلُ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَّاتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكُ فِيهَا الْوَحُوشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالضَّبَاعُ . وَالْأَرْوَى وَالنِّعَامُ . وَالصَّقْرُ وَالْحِمَامُ . وَالضَّبُّ
وَالنُّونُ . وَالذَّبَابُ وَأَبُوقَاصُونَ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسْعَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمُصَادَقَةُ . وَحَسَنُ

الْمُنَاشِرَةِ وَالْمُرَاقِقَةِ . فَتَمَحَّى مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَافَقَةِ . فَيَطِيرُ الْقَطَاعُ مَعَ الْعُقَابِ . وَيَبِيتُ الْعَصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَرْعَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرَبِ . وَيَتَأَخَى الدِّيكُ وَالثَّعْلُبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنُ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَآخِرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدْ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يُمَثِّلَ هَذَا الْمُرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَاحْتِلَاقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمُصَادَقَةُ . وَتَنْتَفِخُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَاقِقَةِ . وَلَا يَفِرُّ أَحَدٌ مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيَبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّعْلُبُ يَقْرُرُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالِدِّيكُ يَتَلَقَّى إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْجَبَالِ . فَقَالَ الثَّعْلُبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَحِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَنْفَقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزْتَ بِهَا مَرَامِيسُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَأَاكَ
 لَا تَلْتَفِتُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرِ بِهَذَا اللَّطْفِ الْعَامِ . وَلَا تَلْتَفِتُ
 إِلَيَّ . وَلَا تَعُولُ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفُ عَلَى بُعْدِ شَيْءٍ . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطْلَعُنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا ثَائِرًا . وَنَفْعًا إِلَى الْعَنَانِ قَافِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْخَصَنِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . بِاللَّهِ يَا أَبَا بَنِيَّ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَّانَ . فَقَالَ : حَيَّانُ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانُ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أُخْلِلُ تَلْحَمَهُ . وَلَا أَرْيَحُ تَسْبِقُهُ . فَرَجَعَتْ قَوَائِمُ الثَّغْلَبِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمُنْذِرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحَقِّقَ
رُؤْيَيْهِ . وَاتَّبِعَنَّ مَا هَيْتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحُصَيْنِ . يَسْبِقُ طَرْفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادُ يَا أَبَا التَّجَمِّ . يُخْلِفُ التَّجَمُّ فِي الرَّجَمِ . فَقَالَ : أَخَذَنِي فُؤَادِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ التَّمَادِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ التَّلَاجُ الْعَقِيقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَمًّا فَهُوَ وَاللَّهِ السَّلَوقِي

فَقَالَ الدَّيْكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُلْتَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالْصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَّانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثْ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبِلَ يَدَيْكَ .
وَتُعْقِدَ بَيْنَنَا عَقْدَ الْمَصَادَقَةِ . وَيَصِيرَ رَفِيقَنَا وَنَصِيرَ رِفَاقَةٍ . فَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . فَدَعَّ عَنْكَ الْحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ الْمَلِكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَتْلَفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخَلَّاصِ جَانِبًا

للجمل واللمح

٩١ كَانَ جَمَّالٌ فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعِيشُ عَلَيْهِ . وَتَهَوَّتْ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَجَدَّ فِي تَقْيِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمُلَازِمَتِهِ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالَ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَنَالَ نَشَاطَهُ وَحَالَ . وَالْجَمَالَ لَا يَرْقُ لَهُ بِحَالِ .
وَيَجِدُّ فِي كَدِّهِ بِالْإِشْتِقَالِ . فَنَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْعَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْعَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الضِّيقِ . وَدَعَاهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ اسْتِيقَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُرْزُ هُزَالَهُ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غَدَائِهِ وَنَكَالِهِ . وَأَنَّ الْفُلْحَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَامَهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَبَهُ الْحِيلَةُ . وَأَضَلَّ إِلَى الْخِلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ عَصْرِ هَذَا الدَّمَلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَقَدْ فُزْتُ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَهَرَ وَجْهُ الْخِلَاصِ .
مِنْ شَرِكِ هَذَا الْإِقْتِنَاصِ . وَالنَّجَاةُ مِنَ الْإِزْتِهَاصِ وَالْإِزْتِصَاصِ .
تَحْتَ حِمْلِ كَالرَّصَاصِ . فَهَلْ يَعْزُضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَّاحَةِ مَخَاضَةٍ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَعَدِيدٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرُكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَتَّصِلْ مِنْ
حِمْلِكَ وَتَقَرَّغْ . وَاسْتَمِرَّ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْفُلْحَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكُرَّرَ هَذِهِ الْحُرْكَةَ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فَإِمَّا أَنَّهُمْ يَغْيِرُونَ
حِمْلَكَ أَوْ يُجَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرْجِحُ بِذَوْبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْعَفُونَهُ . فَحَمَلَ
الْجَمَلَ لِلْأَرْبِ الْمِنَّةَ . وَشَفَّ بِدُرِّ هَذِهِ الْقَلِيدَةِ أُذُنَهُ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمَلَ الْمَهُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ لِلْوُرُودِ . وَوَصَلَ الْمَخَاضَةَ

بَرَكَ . فَضْرَبُوهُ وَمَا أَحْتَرَك . وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ . حَتَّى أَذَابَ مِنْ
الْجَمَلِ نِصْفَهُ . ثُمَّ نَهَضَ أَتَهَاضَةً . وَخَرَجَ مِنَ الْخَاضَةِ . وَلَا رَمَ هَذِهِ
الْعَادَةِ . إِلَى أَنْ أَفْقَرَ صَاحِبَهُ وَأَبَادَهُ . فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ .
فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَاهِيَةِ وَيْلَةٍ . وَعَمَدَ إِلَى عَيْنٍ مَنُوشٍ . وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ
شَكْلَ الثُّمُوشِ . وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِمْلًا . وَبَالَغَ فِيهِ تَعْيَةً وَثِقَلًا . وَسَلَّطَ
عَلَيْهِ الظَّمَاءَ . ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءُ بَرَكَ . وَتَغَافَلَ
عَنْهُ صَاحِبُهُ وَتَرَكَ . فَتَشَرَّبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَمْلَأُ الْبِرْكَ . ثُمَّ أَرَادَ
النُّهُوضَ . فَنَاءَ بِهِ الرُّبُوضُ . فَقَامَسَى مِنَ الْمَشَاقِّ . مَا لَا يُطَاقُ . وَرَجَعَ
هَذَا الْفَكْرُ الْوَيْلُ . عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضْعَافِ التَّثْقِيلِ . فَسَاءَ
مَصِيرُهُ . وَكَانَ فِي تَدْبِيرِهِ تَدْمِيرُهُ . وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ .
وَأَمْثَالُ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ هَذَا
الْمَثَلَ عَنْ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ . أَنَّ الْعَدُوَّ الْغَدَارَ . وَالْحُسُودَ
الْمَكَارَ . يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي . وَيَفْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
كَمَا هِيَ . وَيَبْذُلُ فِي ذَلِكَ جِدَّهُ وَجَهْدَهُ . وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تَصِلُ إِلَيْهِ
مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ . فَتَارَةً تُدْرِكُ مَكَائِدَهُ . وَتُعْرِفُ مَصَائِدَهُ . وَتَارَةً
يُنْقَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا . فَلَا يَشْعُرُ الْخُصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا . وَعَلَى كُلِّ
حَالٍ . لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون بحجته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيْتِ رَجُلٍ مَسْكِينٍ . يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ . فَقِي

بَعْضُ السَّيِّئِينَ قَدِيمَ قَرْيَةٍ مَنِينٍ . وَسَكَنَ فِي بُسْتَانٍ كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ
الْجَنَانِ . فِيهِ فَاكِهِةٌ وَمُخْلٌ وَرُمَانٌ . فَفِي بَعْضِ الْأَعْوَامِ أَقْبَلَتْ أُلُفْوَاكُهُ
بِالْإِنْعَامِ . وَنَثَرَتْ الثَّمَارَ مَلَايِسُ الْأَشْجَارِ مِنَ الْأَذْيَالِ وَالْأَكْصَامِ .
فَأَلْجَأَتِ الضَّرُورَةُ ذَلِكَ الْإِنْسَانَ أَنْ خَرَجَ مِنَ الْبُسْتَانِ . ثُمَّ رَجَعَ فِي
الْحَالِ فَرَأَى فِيهِ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ . أَحَدُهُمْ جُنْدِيٌّ وَالْآخَرُ شَرِيفٌ .
وَالثَّلَاثُ قَفِيَّةٌ وَالرَّابِعُ تَاجِرٌ ظَرِيفٌ . قَدْ أَكَلُوا وَسَقَوْا . وَنَامُوا
وَأَتَفَقُوا . وَتَصَرَّفُوا فِي ذَلِكَ تَصَرَّفَ الْمَلَاكِ . وَأَفْسَدُوا فَسَادًا فَاحِشًا
خَادِشًا . وَمَارِشًا وَنَاوِشًا وَنَاكِشًا . فَأَضَرَّ ذَلِكَ بِحَالِهِ . وَرَأَى الْعَجَزَ فِي
أَفْعَالِهِ . إِذْ هُوَ وَحِيدٌ . وَهُمْ أَرْبَعَةٌ وَكُلُّ عُنِيدٍ . فَسَارَعَ إِلَى التَّلَاخِيذِ .
وَعَزَمَ عَلَى التَّنْخِيذِ . فَابْتَدَأَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبَشَاشَةِ . وَالْإِكْرَامِ وَالْمَشَاشَةِ .
وَأَحْضَرَ لَهُمْ مِنْ أَطْيَابِ الْفَاكِهِةِ . وَطَائِبِهِمْ بِالْمُفَاكِهِةِ . وَسَاحَ
بِالْمَازَحَةِ . وَمَازَحَ بِالْمُسَاحَحَةِ . إِلَى أَنْ أَطْمَأَنَّنُوا وَاسْتَكَانُوا وَاسْتَكْنَوْا .
وَدَخَلُوا فِي اللَّعِبِ . وَلَا عُبُوهُ بِمَا يَجِبُ . فَقَالَ فِي أَثْنَاءِ الْكَلَامِ : أَيُّهَا
السَّادَةُ الْكِرَامُ لَقَدْ خُرْتُمْ أَطْرَافَ الْمَعَارِفِ وَالْطَّرَفِ . فَأَيُّ شَيْءٍ
تُعَاوَنُونَ مِنَ الْحِرْفِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا جُنْدِيٌّ . وَقَالَ الْآخَرُ : أَنَا
شَيْخُ الْقُضَاةِ جَدِي . وَقَالَ الثَّلَاثُ : أَنَا قَفِيَّةٌ . وَقَالَ الرَّابِعُ : أَنَا تَاجِرٌ بَيْتِي .
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَسْتُ بِنَبِيٍّ . وَلَكِنْ تَاجِرٌ سَفِيهٌ . وَقَبِيحُ الشَّكْلِ كَرِيهٌ .
أَمَّا الْجُنْدِيُّ فَإِنَّهُ مَالِكٌ رِقَابِنَا . وَحَارِسُ حِجَابِنَا . يُحَفَظُنَا بِصَوْلَتِهِ .
وَيَصُونُ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَوْلَادَنَا بِسَيْفِ دَوْلَتِهِ . وَيَجْعَلُ نَفْسَهُ لَنَا

وَقَايَةً . وَيُنْكِي فِي أَعْدَانَا أَشَدَّ نِكَايَةً . فَلَوْ مَدَّ يَدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرَزَقَهُ .
فَهُوَ بَعْضُ اسْتِحْقَافِهِ وَدُونِ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَمِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِأَقْدَامِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خَدَائِمِهِمْ . فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا . وَالْإِنَّةُ
أَلْوَصِلَةُ الْإِنْسَانِ . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَايَهُمْ . وَشَرَّ جَانٍ تَابِعَهُمْ . بِأَيِّ طَرِيقٍ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَجَلِي وَرُمَانِي . هَلْ بَايَعْتَنِي بِمُسَاحَقَةٍ .
وَتَرَكْتَ لِي الْمُرَاجَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دَيْنٌ . أَوْ عَامِلَتْنِي نَسِيَةً دُونَ عَيْنٍ .
أَلَا لَكَ عَلَى جَمِيلَةٍ . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَقْضِي تَنَاوَلَ مَالِي .
وَالْهُجُومَ عَلَى مُلْكِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَمْتَرِضْ مِنْ رُفْقَانِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ . وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَأَوْثَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَرَكَهُ مُغْرَمًا . ثُمَّ مَكَثَ سَاعَةً . وَهُوَ عَلَى
الْخَلَاعةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . وَعَازَمَ الْجُنْدِيَّ وَالشَّرِيفَ عَلَى الْفَقِيهِ الطَّرِيفِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْفَقِيهُ . وَالْقَاضِلُ النَّبِيُّ . أَنْتَ مُقْنِي الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالِمُ بَمِنْهَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارُ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتُكَ الْفَارِقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْدُخُولِ فِي
هَذَا . أَفَنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمْ النُّعْمَانُ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكٌ . فَجَبَّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بِالْكَ تَعَوُّثُ
وَتَعَبْتُ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَتَبَ عَلَى الْأَجْنَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الجملاء والأجلاف . إذا ارتكبت مثلك هذا الخطور . وتماطى العلماء
والفنون أفتج الأور . ثم مد يده إلى جلايبه . وأوثقه بتلابيه .
فأحكمه وثاقاً . وآلمه رباقاً . فاستجد بصاحبه إلى جانبيه فما أجداه
ولا رقداه . ثم جلس يلاهي . الجندي الساهي . وغامر على
الشريف . ذي السب الطريف . ثم قال : أيها السيد الأصيل
النجيب الجيد الحبيب . لا تعب على كلامي . ولا تستقل ملاهي .
أما الأمير فإنه رجل كبير . ذو قدر خطير . له الجميلة الثامة .
والفضيلة اللامة . وأنت يا ذا السب الطاهر . والأصل الباهر .
والفضل الزاهر سلفك الطيب أذن لك في الدخول إلى ما لا يحل
لك . وإذا كنت يا طاهر الأسلاف لا تتبع سنة آبائك الأشراف .
من الزهد والعفاف . فلا عتب على الأوباش والأطراف . ثم وثب
إليه وكثف يديه . ولم يعطف الجندي عليه . ولم يبق إلا الجندي
وهو وحيد . فأنصف منه البستاني كما يريد . وأوثقه رباطاً . وزاد
لنفسه احتياطاً . ثم أوجعهم ضرباً وأشبعهم لغناً وسباً . وجمع عليهم
الحيران . واستعان بالجلاورة وأصحاب الديوان . وحمّلهم برباطهم
وعملتهم تحت أباطهم إلى باب الولي . وأخذ منهم ثمن ما أخذوه من
رخيص وغالي . وإنما أوردت ما جرى لتعلموا أيها الوزراء أن
التفخيد بين الأعداء بالتأخيد . أمر من السهام في تنفيذ الأحكام
وأحكام التنفيذ

(فاكهة الخلفاء لابن عرشاه)

الباب السابع في الفضائل والرفائل

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الصَّبْرُ
جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ وَسَبَبُ دَرْكِ الْبُخِّ فِي الْحَوَائِجِ . فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًا . وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَقَبَهُ .
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يَغْنَمْهُ وَلَنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنْ الصَّبْرِ . جَاءَ فِي الْمُبْهَجِ :
الصَّبْرُ أَحْمَى بِذِي الْحُجِّ . وَقَالَ حَكِيمٌ : تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعِ النَّصْرَ
(لِلْمَقْدِسِيِّ)

٩٤ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا اسْتَمَلْتَ عَلَى أَلْيَسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِيَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَأَطْمَأَنَّتِ وَأَرَسْتَ فِي مَكَامِنِهَا الْخُطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لَانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحِيلَتِهِ الْآرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُضُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْلطِيفُ الْمُسْتَحِيبُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ :

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسِحَالَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَلْفَتِي الْحَادِقُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَزَاءُ

إِنْ أَلَّتْ مُلَّةٌ بِي فَأَيُّ فِي الْمَلَمَاتِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ
حَازٍ فِي الْبَلَاءِ عِلْمًا بَأَن لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَالْبَلَاءُ
وَأَشَدُّ أَعْرَابِي :

وَإِنِّي لَا أُغْضِي مُقَلَّتِي عَلَى الْقَدَى
وَإِنِّي لَا دَعُوَ اللَّهَ وَالْأَمْرُ ضَيِّقٌ
وَكَمْ مِنْ قَتَى صَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
سُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَذْلَةً
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقُلْ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ
قَالَ آخَرُ :

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ مَنَيْتَ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٌ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يَكْشِفُ النَّجْمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِيُّ :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَتَّبِعْ

وَارْجُ إِذَا أُشْتَدَّ هَمُّ نَازِلَةٍ فَأَخِرُ أَلْهَمٍ أَوَّلُ الْفَرْجِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ فَيَا أَلَاؤَاءَ قَدْ يُحْمَدُ الصَّبْرُ
وَإِنَّ الَّذِي أَبْلَى هُوَ أَلْعُونُ فَأَتَدَبُّ
وَتَقُّ بِالَّذِي أُعْطِيَ وَلَا تَكُ جَارِعًا
فَلَا نَعَمْ تَتَّقِي وَلَا نَقَمٌ وَلَا
تَقْلُبُ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَدَّتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَسَّنُّ وَإِنْ طَالَتْ مَطَالِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدَرِ فَضْلِ الْمَرْءِ تَأْتِي خُطُوبُهُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّقِيهِ أَصْطَبَارُهُ
قَالَ الْمُرَارِبُ سَعِيدٌ :

إِذَا شِئْتَ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ
وَلِتَحِلِّمْ خَيْرٌ فَاعْلَمْ أَنَّ مَغَبَّةَ
فَالْحِلْمُ سُدْلًا بِالتَّسَرُّعِ وَالنَّشَمِ
مِنْ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تُشَسَّ مِنْ ظُلَمٍ

القناعة

٩٨ إِعْلَمْ أَنَّ مِمَّا يَتَحَقَّقُهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَى أَنَّ الدُّنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَتَحُلُّ الْهُمُومِ وَالنُّعُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَخْفَّ الْخُلُقِ

بَلَاءَ وَالْمَا الْفُقَرَاءَ . وَأَعْظَمَ النَّاسَ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكُذَبَاءُ . وَيُقَالُ : لِكُلِّ شَيْءٍ قَامَةٌ مِنْ أَلَمٍ . وَقِيلَ :

لَقَدْ فَنَعَتْ هَيْتِي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّتَبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَهَلْتُ طِيبَ طَعْمِ الْعُلَى وَلَكِنَّهَا تَوَثَّرُ الْعَافِيَةُ
وَطَالَ مَا رَضِيتُ الْمُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ . بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَمًا
فَارْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَعَدَّ

طُورَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَحَذِ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَّةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ لَطْفِهِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ

بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافْرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ

رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثِ كَانَ
يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ : امْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَطْرِينُ

فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَنْعَبَهُمْ حَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا

(الاعلام لقطب الدين النهرولي)

٩٩ وَلِلَّهِ مِنْ قَال :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كَلَمَّا كَثُرَتْ لَدَيْهِ

إِذَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ

قَالَ آخَرُ :

أَفَادَنِي الْقَنَاعَةُ كُلَّ عَزٍّ وَهَلْ عَزُّ أَعَزُّ مِنَ الْقَنَاعَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ أَبُو الْقَتَاهِيَةِ:

غَنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ قَافَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَاكَ الْغِنَى فَقَرَأَ
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ أَقْعُ بِالَّذِي أُوتِيَتْهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا

العدل

١٠٠ يُحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَحْجِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ . وَيَبْعِدُ الْحُجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُيُوتَ . لِيَجِيَّ كُلُّ مَنْ لَهُ ظَلَامَةٌ وَيَقِفَ عَلَى جَانِبِ الْبِسَاطِ
وَيُخَاطِبُهُ وَيَعُودَ مَقْضِي الْحَاجَةَ . وَكَانَ يَهْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحَكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَقْبِضُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدِهِ . وَيُوجِّهُ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَذَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَجَنَّفْتُ أَوْ لَآئِي عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَاعْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ تَقِيَّ
النِّتَّةَ جَمِيلَ الطَّوِيلَةِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ فَارِسٍ مُّعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُقْبِعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةٍ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
قَالَ شَاعِرٌ :

الْعَدْلُ رُوحٌ بِهِ تَحْيَا الْبِلَادُ كَمَا دَمَارُهَا أَبَدًا بِالْجَوْرِ يَنْجُمُ
الْجَوْرُ شَيْنٌ بِهِ التَّعْسِيرُ مُنْتَمِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْنِيدُ يَنْتَضِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ قَبْلَ أَنْ يَعْدِلَ . اُسْتَعَاثَ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكَوْا إِلَيْهَا . فَقَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . فَقَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً وَوَقَفَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا مِنْهَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَاسْرُتُمْ . وَقَدَرْتُمْ فَهَرُتُمْ . وَخَوَلْتُمْ
فَعَسَفْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَقَطَعْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِهَامَ
الْأَسْحَارِ نَافَذَةٌ لَا سِيَّامٍ مِنْ قُلُوبٍ أَجَعْتُمُوهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَيْتُمُوهَا .
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلَمُوا
فَإِنَّا مِنْكُمْ مُتَظَلِّمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ

(لبهاء الدين)

١٠٢ أَخْبَرَ النَّعَالِيُّ قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى صَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نُكُوصِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةُ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْفَاقَ عَلَى
نِفَاقٍ . وَلَا وَفَاءَ لِذِي مَيْنٍ وَأَخْتِلَاقٍ . وَأَحْرِ بَيْنَ تَعْدَى الْحَقِّ فِي

مَسَرَّتْكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلَ فِي مَسَاءِكَ إِذَا غَضِبَ . وَكَانَ
الْمُتَّبِعِي أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْفَعُ

الكرم

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَغَافِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ . وَانْكَسِبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا . وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تُجْلَوْهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فِتْنَةً نِقْمًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكَرَامُ وَوَلَّوْا وَانْقَضَوْا وَمَضَوْا وَمَاتَ فِي إِرْهِمِ تِلْكَ الْكَرَامَاتُ
وَخَلَقُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفَهٍ لَوْ عَايُوا طَيْفَ ضَيْفٍ فِي الْكَرَى مَا تَوَا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلَمْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحْبِسُ الْمَالَ إِلَّا زَيْتَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُعَيِّرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتُ فِيَّ عَلَى تَلُومِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلُهُ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُخْلَ لَا يُخْلِدُ أَلْقَى وَلَا يُهْلِكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ فَاعِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُنْفِي الْبُخْلُ بِجَمْعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْخَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْقَرَى مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَعُمُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ طَوَّلَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرٍ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يُسْجُ دَائِمًا وَمِثْلُكَ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَاسِجُهُ

الوفاء

١٠٥ يُغَيِّبُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلَيْكُنْ ثَمَرُهَا سَلَامًا مِنْ جَوَائِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامُ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

إِذَا قُلْتُ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتَمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْحَرِّ وَاجِبٌ
وَأَلَّا فَعُلْ لَا تَسْتَرْحِ وَتَرْحُ بِهَا لِئَلَّا يَقُولَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَلَقَدْ وَعَدْتَ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَعْدٍ لِأَخِيرٍ فِي وَعْدٍ يَغِيرُ تَمَامٌ
أَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَالْمَطْلُ يُذْهِبُ بَهْجَةَ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَجْمَعَ الْأَقَاتُ فَالْجُلُ شَرُّهَا وَشَرُّ مِنَ الْجُلِ الْمَوَاعِيدُ وَالْمَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلٌ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَثَنَى بِالْإِسْتِشَارَةِ فَحَقِيقٌ أَنْ لَا يَخِيبَ
رَأْيُهُ . وَقِيلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ السَّيِّدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِمَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَهُوَ كَمَنْ بَذَرَ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مِنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطَبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ فِطْرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيهي)

وَمَا يُعْرِفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ جِدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبِدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ أَحْمَلِ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلْيَا كُلَّ مَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضِعْفٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَعِينُ عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْقَوَادِمَ مِنْ رِيْسِ الْجَنَاحِ
تَسْتَعِينُ بِالْخَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِينَ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً
مَحْزَمٌ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةٍ حَازِمٍ
فَرِيْسُ الْخَوَافِي تَابِعٌ لِلْقَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَاكَ الْفُلَّ اخْتِمَهَا
وَمَا خَيْرُ كَفِّ أَمْسَاكَ الْفُلَّ اخْتِمَهَا

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: قُلْتُ لِبَشَّارٍ: رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَّعِبُونَ مِنْ
 أُبَيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ. فَقَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ. صَوَابٌ يَفُوزُ بِثَمَرَتِهِ. أَوْ خَطَأٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ.
 قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ. وَقَالَ
 الْجَاحِظُ: الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْعُقُولِ وَرَأْيُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ التَّجَاحِ. وَاسْتِشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَخَزَمِ
 التَّدْبِيرِ. وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لِأَنَّ أَخِيَّ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لَا يَنْصُرُ الْمُقَدَّسِي)

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لَا تَحْقِرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَافِقٌ حُكْمَ الصَّوَابِ إِذَا آتَى مِنْ نَاقِصٍ
 قَالِدٌ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي مَا حَاطَ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْفَانِصِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَاجَادَ:

شَاوِرُ سِوَاكَ إِذَا نَابَتْكَ نَابَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تُنْظَرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَاىَ وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا:

خَصَائِصُ مَنْ تُشَاوِرُهُ ثَلَاثُ فَخِذُ مِنْهَا جَمِيعًا بِالْوَثِيقَةِ
 وَدَادُ خَالِصُ وَوُفُورُ عَقْلِ وَمَعْرِفَةُ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالزَّمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَيِّ:

فَمَا كُلُّ ذِي نُضْحٍ مُؤْتِيكَ نُضْحَهُ وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نُضْحَهُ بَلِيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ بَنِيصِبٍ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَا أَتَمَّ لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتَكُ لِلِسِّرِّ
مِنَ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُفَنِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . بَاغٍ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَدَنَّيْ نَعَمَ اللَّهُ نَقَمًا وَمَزِيدُهُ غِبْرًا . وَعَدْلُ قَضَائِهِ حِفَا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدِي لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَشَعُهُ . وَلَا يَنْفَعُهُ
عَيْشُهُ . مُحْتَرِّقٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسْتَخْطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْمَنُ غَوَائِلُهُ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَلْتَهُ قَطَعْتَ .
وَإِنْ صَرَمْتَهُ سَبَقَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ فَقَالَ : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُجَمَ الْهَلَكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمِرْصَادِ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْعَرَ قَلْبَهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُفَدَرْ لَهُ . وَأَغَارَهُ الْكَافُ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنِئَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضَعِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الْعَيْنَ
وَيَكْثُرُ أَلْهَمٌ . وَلَا يَبِي الْعَتَاهِيَّةُ :

أَيَا رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَقْتَهُمْ ظَلَمُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخِيهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْغِي مِنْهُمْ مَنَعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بِذِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَإِنْ طَرَقْتَنِي نِعْمَةً فَرَحُوا بِهَا وَإِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُونِي
 سَأَمْنُ قَلْبِي أَنْ يَخِنَ إِلَيْهِمْ وَأَحْبَبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
 كَتَبَ ابْنُ بَشَرَ الْمُرُوزِي إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :
 كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ رُجِيَ إِمَاتُهَا إِلَّا عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
 فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةً عَقِدْتَ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالِبَ الْعَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ رَغْدًا بَلَا قَتَرٍ صَفْوًا بَلَا رَنَقٍ
 خَلِّصْ قَوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ فَالْغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
 (لابن عبد ربّه)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ فَتَوَقَّهِ وَتَوَقَّ غِرَّةَ مَنْ حَسَدَ
 إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوَدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُجْتَهِدُ
 وَلِبَعْضِ الْأُدْبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :
 لَا يُخِزَنَّكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَاكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
 فَإِنَّهُ فِي رَخَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَلْقَى بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
 لِكَلَامٍ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمُصَلِّحَةُ فِيهِ . وَمَتَى اسْتَوَى الْكَلَامُ وَتَرَكَهُ
 فِي الْمُصَلِّحَةِ فَالْسُّنَةُ الْإِمْسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٌ أَوْ مَكْرُوهٌ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَالِبٌ فِي الْعَادَةِ . وَالسَّلَامَةُ لَا يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ : بَلَّغْنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي الصَّمْتِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عَزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَعَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ اعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صَحِيفَتَكَ . لَا تَعْدَتْ صَفِيحَتَكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحَمَمْتَ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ : الْكَلِمَةُ أَسِيرَةٌ فِي وَثَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَثَاقِهَا . يَقُولُ اللِّسَانُ كُلُّ صَاحٍ وَكُلُّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقْتُلَنَّ بِخَيْرٍ إِنْ تَرَكْنَاهَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :
 إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ كَثِيرُهُ مُمَقُوتٌ
 مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثَرٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعَابُ صَمُوتُ
 إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتٌ
 ١١٠ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَلَغْتَ حَاجَتَكَ
 فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتَ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَكَ
 أَوْعَلِيكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَمْتَ مِنْهُ
 نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُثْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
 الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذُ مِنَ وَخْزِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
 الصَّبْرِ . وَآخَرُهُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْقُلُوبَ مَزَارِعَ فَارْزَعْ فِيهَا طَيِّبَ

الْكَلَامِ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ نَبَتَ بَعْضُهُ . وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْثَقَ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْتَانُ أَمَامُهُ وَالشَّقَاتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَاللَّهْمَا مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَتْ
 اللَّهَ وَلَا تُطْلَقُ هَذَا الْحَبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدَبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (للشبراوي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَحْفَظُ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِزُ مِنْ لَفْظِهِ فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطِبُ
 وَزِينَ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقَتْ وَلَا تَكُنْ ثَرَاةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعْدُونَ :

سَجَنُ اللِّسَانِ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا أُسْتُصَالُ
 إِنْ اللِّسَانُ إِذَا حَلَّتْ عَقَالُهُ أَلْقَاكَ فِي شَعَاءٍ لَيْسَ تُقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لَيْوَنٍ الْحِجِّيُّ :

زَرَهُ لِسَانُكَ عَنْ قَوْلِ تَعَابٍ بِهِ وَارْعَبْ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَنْعِيكَ وَأَطْرِحِ الْفُضُولَ تَحِيَّ قَرِيرَ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كتمان السر

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُسَكُّ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يُكْتَمُ سِرُّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسِ شَرُّهُ . وَمَنْ حَكَمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَقَدْ أَتَمَّ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتَبْدَادِ بِالسَّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ لِسَبَبِ
الْمُشَارَكَةِ (للشبراوي)

قَالَ الْفَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْكَارِمِ الْمِصْرِيُّ الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمَسْرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ
وَذَاكَ أَنْ لِسَانِي لَيْسَ يَعْلَمُهُ سَمْعِي بِسَرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ نَاجِيَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ): إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ الْعَجَمِ اسْتَشَارَ وَزِيرِيهِ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا: لَا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
السَّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ عَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءُ السَّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءُهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السَّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ آخَرِي
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةً وَرَهْبَةً . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَعَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَاقِبَهُمَا عَاقِبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبٍ وَاحِدٍ . وَإِنْ اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجُنَايَةِ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حِجَّةَ مَعَهُ

الغنية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ: قَدْ اسْتَدَلْتُ
عَلَى كَثْرَةِ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكُ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ مَحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لأبن عبد ربّه)

قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ الدَّقِيقُ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَّى مَوَدَّتَهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عِلْمًا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتَ السِّرَّ عَمَّنْ أَوَدَّهُ تَوَهَّمَنَّ أَنْ أُلَوِّدَ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهَيَّنَ هَمَّازٍ غِيَابِ مَشَاءٍ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالنَّمَامِ خِسَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سَقُوطُهُ وَضَعْتُهُ (وَالْهَمَّازُ
الْمُغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُكُمْ بِسِرَارِكُمْ . قَالُوا : بَلَى . قَالَ : سِرَارُكُمْ الْمَشَاوَنَ بِالنَّمِيمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاعُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَلْعُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلُّ شَغَازٍ . مَلْعُونُ كُلُّ قَتَّاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ نَمَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ (وَالشَّغَازُ الْمُحَرِّشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعِدَاةَ . وَاقْتَتَاتُ النَّمَامِ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ) .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَلُصُوصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السَّعَاةُ
وَالنَّمَامُونَ . إِذَا سَرَقَ اللَّصُوصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّائِرِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَلِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تَقَطَّعَ الشَّجَرَةُ قَتَبَتْ

وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ. وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ. قَالَ صَالِحُ
ابْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

قُلْ الَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أُمِّ عَلَى غَشٍّ يَسَاجِينِي
إِنِّي لَأَكْثَرُ بِمَا سَتَمَنِي عَجَبًا يَدْ تَشْجُ وَأُخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَمَتَدَخُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَا شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفِ لِسَانَكَ عَنْ شَتِيٍّ وَتَرَيْنِي
١١٤ وَقَالَ الْمُأْمُونُ : النِّمْمَةُ لَا تَقْرُبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَسَتْهَا . وَلَا
عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّحَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بَدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَشَدُّ بَعْضُهُمْ
مَنْ تَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تُؤْمِنْ عَقَارِبُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تُؤْمِنْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَذْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
الْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَنْفُضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(اللابسيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَمِيْدَةَ : الْكُذْبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَحَوَاطِرُ الزُّوْرِ وَتَسْوِيلُ أَصْغَاتِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاحْتِلَافُ
الْبُنْيَةِ . وَعَنْ خَمُولِ الذِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِي لِأَنَّهُ وَسَمِعَهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْنِهِ وَيَتَرَضُّ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَلَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مُتَضَادَّةٌ . إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ . وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ . فَهُوَ الْجَانِي
عَلَى نَفْسِهِ بِفَعَالِهِ . وَالذَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ . فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ
إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَا بَنَ عَبْدَ رَبِّهِ)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكُذُوبِ وَإِفْكِهِ فَلَرُبَّمَا مَرَجَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكُذُوبُ تَفَكُّهُمَا وَبَكَى مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَتَ الْكُذُوبُ تَخَلُّفًا وَشَكَاهُ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرٌ بِكَلَامِهِ وَبَصَمَتِهِ وَبُكَاهِهِ وَبَصَحَّكَ

المزاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِابْنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتْ الْحُكَمَاةُ
تَكْرَهُ الْمَزَاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ . فَقَالَ : الْمَزَاحُ مِنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا
عَشْرَةُ أَبْوَابٍ . الْمَزَاحُ أَوَّلُهُ فَرَحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ . الْمَزَاحُ نَقَائِضُ السُّفَهَاءِ
كَالسُّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ . وَالْمَزَاحُ يُوغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ . وَيُنْفِرُ
الرَّفِيقَ . وَالْمَزَاحُ يُبْدِي السَّرَائِرَ . لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ . وَالْمَزَاحُ يُسْقِطُ
الْمُرُوءَةَ . وَيُبْدِي الْخَفَى . لَمْ يُجِرَّ الْمَزَاحُ خَيْرًا . وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا .
أَلْغَابُ الْمَزَاحِ وَاتِّرٌ . وَالْمَغْلُوبُ بِهِ ثَائِرٌ . وَالْمَزَاحُ يُجْلِبُ الشَّتْمَ صَغِيرُهُ .
وَالْحَرْبُ كَبِيرُهُ . وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ فُذْرَةٍ . فَقَالَ الْحُجَّاجُ :
حَسْبُكَ الْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ فُذْرَةٍ . وَذَكَرَ الْمَزَاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ
صَفْوَانَ فَقَالَ : يُشَقُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ . وَيُفَرِّغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرجل . وبيّنه مثل الجندي . ثم يقول : إنما كنت أزعج . أخذ هذا المعنى محمود بن الحسن الوراق فقال :

تَلَقَى الْقَتَى يَلْقَى أَخَاهُ وَخِدْنَهُ فِي لَحْنِ مَنْطِقِهِ بِمَا لَا يُغْفَرُ
وَيَقُولُ كُنْتُ مُمَازِحًا وَمُلَاعِبًا هَيْهَاتَ نَارِكَ فِي الْحَشَى تَتَسَعَّرُ
أَوْ مَا عَلِمْتُ وَكَانَ جَهْلُكَ غَالِبًا أَنَّ الْمُزَاحَ هُوَ السَّبَابُ الْأَصْغَرُ
(للقيرواني)

الصدقة وخالوص المودة

١١٧ (قِيلَ فِي الْمُبْهَجِ) : الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ تَأْنِي النَّفْسِ وَتَأْلُثِ
الْعَيْنَيْنِ . (وَمِنْهُ) الصَّدِيقُ الصَّدُوقُ . كَالشَّقِيقِ الشَّقُوقِ . (وَمِنْهُ)
الصَّدِيقُ عَمْدَةُ الصَّدِيقِ وَعِدَّتُهُ . وَنَصْرَتُهُ وَعَقْدَتُهُ . وَرَبِيعُهُ وَزَهْرَتُهُ .
وَمُشْتَرِيهِ وَزَهْرَتُهُ . وَمِنْهُ لِقَاءُ الْخَلِيلِ شِفَاءُ الْغَلِيلِ . وَلَيْسَ لِلصَّدِيقِ
إِذَا حَضَرَ عَدِيلٌ . وَلَا عَنْهُ إِذَا غَابَ بَدِيلٌ . وَمِثْلُ الصَّدِيقَيْنِ كَالْيَدِ
تَسْتَمِينُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ . (وَمِنْهُ) لِقَاءُ الصَّدِيقِ رُوحُ الْحَيَاةِ .
وَفِرَاقُهُ سَمُ الْمَمَاتِ . (وَمِنْهُ) لَا تَسْأَلْ مَرَارَةَ الْأَوْقَاتِ . إِلَّا بِحُلَاوَةِ
الْإِخْوَانِ الثَّقَاتِ . فَاسْتَرَوْحَ مِنْ نِعْمَةِ الزَّمَانِ بِمَوَاسَةِ الْخَلَّانِ . (وَمِنْهُ)
الْحَاجَةُ إِلَى الْأَخِ الْمُعِينِ . كَالْحَاجَةِ إِلَى الْمَاءِ الْمُعِينِ . وَلِبَعْضِهِمْ فِي
مَعْنَى هَذَا الْبَابِ :

مَا ضَاعَ مَنْ كَانَ لَهُ صَاحِبٌ يَقْدِرُ أَنْ يُصْلِحَ مِنْ شَأْنِهِ
فَإِنَّمَا الدُّنْيَا يَسْكُنُهَا وَإِنَّمَا الْمَرْءُ يَأْخُذُ بِهَا

١١٨ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

ذُو الْوَدِّ مِنِّي وَذُو الْفَرْبِ بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدْبِي
أَرَوَّاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مُلَاطَفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَنَبَّيَ شَمَائِلُهَا
لَمْ تَلْسَ غِيْبًا وَلَمْ تَمَلَّ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوَصِّلِيُّ :

لَا تَتَسَبَّوْنِي يَا ثِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْشِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَحُلْ
غَدَرُ فَلَيْسَ الْغَدْرُ مِنْ شَيْئِي
وَبِالْمَسْرَاتِ الَّتِي وَلَّتْ
وَعُقْدَةُ الْمِشَاقِ مَا حُلَّتْ

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَلَوِيَّةِ الْمُجُنُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيَغْنِي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَالِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَشَتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرْوِقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرَتْ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمَغْنِّينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظَرُّهُ الْمُأْمُونُ . وَقَالَ : أَدْنِ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمُأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ الْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمِرِّ وَالْشَّرِيكُ فِي الْمُرِّ أَنَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سِرَّكَ فِي الْحَيِّ وَإِنْ غَيْبْتَ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعْشَرٍ إِذَا غَيْبْتَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِيئُكَ شَيْئًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرِّ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى لِلْأَنَامِ وَدًّا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ أَوْدَادٍ زُورًا وَمِينًا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقِ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ
فَعِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ لَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرْتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَلَا قَدْرُهُ فَجَاءَ مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّعَالَى وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ الْحَالِ
مَالِي رَأْيُكَ لَا تَدُوْ مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَ فِقْلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسَكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَاكَ مِنْ النَّثَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطٍ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فَمِثْلُ ذَا ثِكْلِكَ أُمُّكَ تَبْنِي رَبَّ الْعَالِي
 ١٢٢ قَالَ الْعَزَّيُّ وَالْشَّدِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُكْرَهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يَسَرٍ
 مُتَصَبِّحٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبِشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيَلْحِي الْعَدْرَ مُجْتَهِدًا وَذَا الْعَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَارْفَضْ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَقْلِي الْمَقْلَ وَيَشْقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مَنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْيُسْرِ
 لَا تَخْلُطَنَّهُمْ بغيرهم مَنْ يَخْلُطُ الْعِقْيَانَ بِالصُّقْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ الْمَنُوفِيُّ :

أَتَرَعُمُ أَنْتَ الْخِدْنَ الْمُنْفَدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَائِي حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقَ مَنْ أَصَادِقُهُ مُحَقًّا
 وَجَانِبَ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبَقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَبِرْضِكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّائِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَدْنَى إِذَا لَمْ أَرَأْ عَضَلًا
 ١٢٣ قَالَ الْعِتَابِيُّ : الْإِخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ . قَرَعُ بَائِنٍ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرْعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَاطِنُ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِخَاءُ بَنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ أَنْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاءُ أَصْلِهِ الْكُرَمُ وَأَعْيَانُهُ الثَّقَوَى . وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَهُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربه)
١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ :

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْضِهِ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَّيْهِ ظُلْمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي يَثْقِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرَسُ
سَتَرَ الْبُغْضَ بِالْقَاطِظِ الْهَوَى وَادَّعَى الْوَدَّ بَغْضٍ وَدَلَسَ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَالَ لِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَالَ شَرًّا وَدَحَسَ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى مَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَرُ أَتَقَطَّ مَنْ كَانَ نَفْسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْعَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نِيَطْتُ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْحَوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُمْدِي
إِحْوَلَ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُ مِنْ طَرْفِي وَيَزِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَالٌ تَرُقُّهَا
وَتَحْرُسُهَا مَعْرَضَةٌ لِلْآفَاتِ قَرُضٌ الْإِيَّ بِالْجُدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَذَرَّ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

تَسْتَكْثِرُ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالتَّقْصِيرِ • (وَلِخَمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرَّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَقَا فَأَقِلَّهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْكَ كَمَا دَتَهُ
فَالصَّفْحُ عَنْ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ :

أَوَاصِلُ مَنْ هَوَيْتُ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ الْمُنَالِ
وَأَحْفَظُ سِرَّهُ وَالْقَيْبَ مِنْهُ وَأَرْعَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاءٍ لَا يَحُولُ بِهِ اتِّكَاثُ وُودٍ لَا تُخَوِّنُهُ أَلْيَالِي
وَأَوْرُهُ عَلَى عُسْرِ وَيُسْرٍ وَيَنْقِذُ حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نُبُوَّةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِالْجَافِ وَلَا الْقَدْرُ الْمَذْمُومُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٍ تَحْذِيهِمْ دُرُوعًا فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادِي
وَخَلَّتْهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فُسَادِ

١٢٧ وَأَلْشَدَّ عَلَيَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَصْنَبُ لَنَا السُّوءَ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيماً حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاهُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُعْتَصِمُ صَاحِبُ الْمَرْيَةِ إِلَى ابْنِ عَمَّارٍ :

وَرَهَدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُرِنِي إِلَّا يَامُ خَلًّا تُسْرِنِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَاءَنِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلِمَّةٍ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَائِبِ

المطل في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : تَحْنُ إِلَى الْفِطْلِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِثْمَاكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْفَقَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَكْبَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْعِتَابِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَتَرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبَلَّهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ إَعْلَمَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِعْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّدَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ النَّصِيحِ وَقَبُولِ النَّذِيرِ .
وَتَسْلُبُ الرِّيَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكَبَرُ يُكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّأَلُّفِ .
وَلَمْ تَرَلِ الْحُكَمَاءَ تَتَحَامَى الْكِبَرُ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرَ أَفْلَاطُونُ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلُكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَحْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا ضَاعَ اُفْتَخَارُكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتَبِرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تَيْجَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعُلَيَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ مُرْتَفِعًا إِلَى الْعُلُوِّ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِتَّضَعَ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَأَكْظِمِ الْفَيْظَ وَلَا تُبْدِ الصَّخْرَ
وَأَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَلْفَتَى أَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
إِحْمِلِ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْبَشَرِ

الباب الثامن في الزكاء والادب

في العقل وماهيته

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِي بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَعَلَ نُورَهُ فِي الْقَلْبِ يُدْرِكُ بِهِ الْمُعْشُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْخُشُوسَاتِ بِالْمُشَاهَدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَهُ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمُشْتَرِكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيَعْبُرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَعَاشِ. وَالْوَجْهُ الثَّانِي الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهُدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهُدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكثير المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوٍّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلًّا يَفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

في شرف العقل

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حَلِيَّةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ قُتِيَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدَلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مَطِيَّةٌ سَوْءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ مِنْ أَجْهَلِ صُحْبَةِ الْجَهْلَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مِنْ صَاحِبِ الْعِلْمَاءِ
 وَقَرَّ . وَمِنْ عَاشِرِ السُّفَهَاءِ حَقَرَّ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرَتُهُ الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرَتُهُ السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرَتُهَا الْعِفَّةُ . الْعَقْلُ
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالثَّقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يُطَلِّبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يُطَلِّبُ الْكَمَالَ . لَمْ يُدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَقْلُهُ . وَعَزِيذٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكَى الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : قَلِمٌ يَلْبَثُ قَلِيلًا أَنْ أَقْبَلَ كُتُوبِي
 أَفْقَ يَزِينُهَا هِدَايَاً وَوَقَارَهَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهَا وَقَارَهَا بِخَطْوِهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي مَجْلِسِهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبُو بَابٍ مِنَ النَّحْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّهُ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرِيَّ أَفْقٍ وَقَرِيَّ بِشَامَةٍ يَزِينُهُمَا عِرْقُ كَوِيمٍ وَمُخْتَدُ
 سَلِيلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَازِرِي مَوَارِيثَ مَا أَبَقَ النَّبِيُّ الْمُوَيْدُ
 يَسْدَانِ أُنْفَاقَ النِّفَاقِ بِشِيَةِ يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مَهْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَبْنَاءِ الْخِلَافَةِ

وَأَعْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَرْزُلَالِيَّةٌ آدَبٌ مِنْهُمَا السَّنَاءُ. وَلَا أَحْسَنَ الْفَاعِلَاتِ.
وَلَا أَشَدَّ اقْتِدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظَا وَرَوِيَا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَعِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الصَّلَالِ ذُلًّا
وَقَعًّا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَائِي. ثُمَّ ضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ.
فَلَمْ يَبْسُطْهُمَا حَتَّى رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَحْدَرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهَا
بِالْخُرُوجِ. (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَنَّا أَكْفَاءُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهَدْيِ لِمَنْ أَسْتَهْدَى أَدَلًّا
وَقَدَّرُ كُلِّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسَبَتَنَا جُودٌ وَعِلْيَاءُ
فَقَرُّ يَعْلَمُ تَعَشُّ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ اِعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ. وَفَخْرٌ لَهُ فِي جَمِيعِ الْأَرْمَانِ.
وَهُوَ الْغَزْلُ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ. وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ. وَقَدَرُهُ
عَظِيمٌ. وَفَضْلُهُ جَسِيمٌ. وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَقْلُ وَالْحُمُودُ مِنْ عَقْلًا وَأَفْجَحَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلًا
فَلَيْسَ يَصْلُحُ نَطْقُ الْمَرْءِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُلِّا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ. وَأَدْبَرَتْ

عَنِ الْعَالَمِ بِالْإِسْتِحْقَاقِ . فَإِنْ أَتَاكَ مِنْهَا مُلَمَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مِنْ
أَمْكِنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِأَدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَأَلْغَرِيبِ الَّذِي يَمُنُّ إِلَى الثَّقَلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّسِيبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةَ

لَا تَيَأْسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْتَقِيَ إِلَى أُنْفَلَكٍ
فَيْنَمَا الذَّهَبُ الْإِبْرِيذُ مُخْتَلِطٌ بِالْثَرِبِ إِذْ صَارَ إِكْلِيلًا عَلَى الْمُلْكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَقَّاهَا بَغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا بِمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ حَلَّهَا بَغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُبَهُ مِنْهَا . فَيَنْخَطُ إِلَى رُبَّتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَظْهَرَ عِيوبُهُ .
وَتَكَثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَا دَحَهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ أَدَّتْ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ الْفَتَى عَارٌ عَلَيْهِ لِدَايَتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْإِيَّامِ

(للسهراروي)

١٣٦ سَيَّلَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَاطُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجٌ مَا بَطَنَ . وَمِلَاكٌ مَا عَلَنَ . وَسَائِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضْرَاءُ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ
يَزِينُ الْقَتَى فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ
وَشَيْنُ الْقَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ
فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
وَإِنْ كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَإِنْ كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّ بِهَا
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
قِيلَ : إِنْ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجِدُّهُمُ أَذْكَى مِنَ الْبَصَرَاءِ . فَقَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كَفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا
فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ
وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَشْهُورٌ
(لَاِبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَلْعِلْمُ حَايِلٌ وَالْحِلْمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَفْقُ وَالِدُهُ . وَالْبِرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لِيُقَالُ ذَرَّةٌ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَلْفَ عَامٍ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لابي نصر المقدسي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ قَالَهُ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَخِي بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

يَا لِعِلْمٍ تَحْيَا نَفْسُ قَطْمًا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا أَلْفَرَقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالزَّيْنِ
الْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا وَإِنْ أَسْتَعْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

الْعِلْمُ مُبْلِغُ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسْهُ بِالْمُوبِقَاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلْفٍ
الْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْغِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعُلَمَاءِ مَا أَمَكَنَ وَلَا يَمُدَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنْ الْجَهْلَةِ أَنْ تُعْظَمَ جَاهِلًا لِصِقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَفْسِهِ
وَأَعْلَمَ أَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَتِينَ بِنَبْشِهِ
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكِّهِ لَا مِنْ مَلَاةِ نَفْسِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ التَّعَلُّمَ قَوْمٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَمْسَ الْأَضْحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ
أَمَّا . وَالْعِلْمُ حَافِظٌ وَأَمَّا الْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالنَّفَقَةِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سَلَامَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمُلْكِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطِيَ الْمُلْكَ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْمَلُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَمِنْهُ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنَ الْعَمَى وَعَمُّ عَلَى الدِّينِ الَّذِي أَمْرُهُ غَمٌّ
فَحَاطِرُ رَوَاةِ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خِيَارِهِمْ قَصَبُهُمْ زَيْنٌ وَخُلُطَتُهُمْ غَمٌّ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجْمٌ هَدَى إِنْ غَابَ تَجَمُّ بِدَائِجِهِمْ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا أَتَّصَحَّ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَا رَسَمٌ
١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمُرءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكِيعًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مِثْلُ
لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ رَطَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْهَدْ وَلَا تَكْسَلْ وَلَا تَكُ غَافِلًا فَتَدَامَةَ الْعَمَى لِمَنْ يَتَكَاَسَلُ

قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا طَمَعًا
وَالْعِلْمُ أَجْمَلُ تَوْبٍ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرْعَا

قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورٌ
وَإِنَّ أَمْرًا لَمْ يَحْيَ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الْشُّورِ نُشُورٌ

قِيلَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدٍّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ قَاضِلٌ وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
يُسَاقِ بِبَعْضِ النَّاسِ بَعْضُ أَجْهَدِهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِاسِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لِدِي الْعِلْمِ وَالْحُجَى فَمَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَجَاهِلٍ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءُ غَيْرُهُ يَعْدُ كَشَوْلٍ بَيْنَ زَهْرِ الْخُمَائِلِ

وَقِيلَ أَيْضًا :

الْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ لَكِنَّ ذَا يَصْبُ الْإِنْسَانُ لِلتَّرَبِّ
إِغْنَمْ حَتَّى ثَمَرَةٍ تَحْطُ بِنَيْلِ مُنَى وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

١٤٣ قَالَ أَلْمَاهِيَا بَاذِي مُغْرِيَا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيًا وَطَلَابُ الْمَالِ هَمَّتْهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعُقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ يَا أَلِيمَ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْنُونٍ
أَلِيمَ يُجِدِّي وَيَبْقَى لَفَقَى أَبَدًا وَالْمَالُ يَفْنَى وَإِنْ أَجْدَى إِلَى حِينٍ
هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبُعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْتَرَنَ عَالِمًا وَإِنْ خَلَقْتَ أَتَوَّابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بَعِينَ ذِي خَطَرٍ مَهْذَبَ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
فَالْمِسْكُ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَتِّنًا يَفْهَرُ عَطَّارِهِ وَسَاحِقِهِ
حَتَّى تَرَاهُ يِعَارِضِي مَلِكٍ وَمَوْضِعَ التَّاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

أَلِيمَ زَيْنٌ وَتَشْرِيفُ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتُ فَنُونَ أَلِيمَ وَالْأَدَبَا
كَمْ سَيِّدٌ بَطَلٌ آبَاؤُهُ نُجُبٌ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنُبَا
وَمُفَرِّقٌ خَامِلٌ إِلَّا بَاءَ ذِي أَدَبٍ نَالَ الْمُعَالِي بِالْأَدَابِ وَالرُّتَبَا
أَلِيمَ كَنْزٌ وَذَخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحْبَا
قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ شَخْصٌ ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
وَجَامِعُ أَلِيمَ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ أَلْفُوتَ وَالسَّلْبَا
يَا جَامِعَ أَلِيمَ نِعَمَ الذَّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِأَلِيمَ وَالْعُقْلَ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رَفْعُ أَلْفَقَى قَدْرًا بِمَا طَلَبِ
فَأَلِيمَ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهُو بِهِ شَرْقًا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِاللَّغَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رَبِّهِ وَيَخْفِضُ الْجَهْلُ أَشْرَافًا بِلَا أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَنْزٌ فَلَا تَفْنَى ذَخَائِرُهُ وَالرُّبُّ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّبِّ
 فَالْعِلْمُ فَاطِلٌ لِكَيْ يُجِدِيكَ جَوْهَرُهُ كَالْقَوْتِ لِلْحِسْمِ لَا تَطْلُبُ غَنَى الذَّهَبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ عَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعَلَّمَ مَا اسْتَطَعَتْ بَحِثْ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِلرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تَأَلُّهُ الْعَالِي
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
 إِرْكُنْ إِلَيْهِ وَثِقْ بِاللَّهِ وَأَعْنِ بِهِ وَكُنْ حَلِيمًا رَزِينُ الْعَمَلِ مُحْتَسِبًا
 وَكُنْ فَتًى مَسْكًا مُحْضَرُ التُّقَى وَرِعًا لِلدِّينِ مُنْعَسِمًا فِي الْعِلْمِ مُنْعَمَسِمًا
 فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَبِ ظَلَّ بِهَا رَيْنِسَ قَوْمٌ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا

وصف الكتاب

١٤٥ الْكِتَابُ نِعَمٌ الْآنِيسُ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمُ الْمَرْقَةُ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمُ الْقَرِينُ وَالْذَّخِيلُ . وَنِعَمُ الزَّائِرُ وَالنَّزِيلُ . وَعَاءُ الْمُلَى
 عِلْمًا وَظَرْفًا . وَإِنَاءُ الْمُلَى مَرْجًا وَجِدًا . وَحَبْدَا بِلِسْتَانٍ يُجْمَلُ فِي خُرْجِ
 وَرَوْضٍ يُقْبَلُ فِي حِجْرِ . هَلْ تَمَعَتْ لِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْثَاهَا كُلَّ حِينٍ

يَاوَانِ مُخْتَلِفَةٍ وَطَعُومِ مُتَبَايِنَةٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يُثَوِي .
 وَثَمَرٍ لَا يُقْنِي . وَمَنْ لَكَ بِجَلِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ وَخِلَافَهُ وَالْجُلُوسَ وَصَدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتِ وَيُزَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَبْ . وَإِنْ
 عَزَبَتْ لَمْ يَعْزَبْ . أَكْتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَنْمُ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى وَأَمْتَعُ مِنَ الضُّحَى . وَأَنْطَرُ مِنْ سَحَابٍ وَآئِلٍ
 وَأَعْيَامٍ بِأَقِلٍ . هَلْ سَمِعْتَ مُعَلِّمَ تَحَلَّى بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمَعَ أَوْصَافًا عَدِيدَةً .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلَمَى
 أَمْتَعَ . وَإِنْ أَبْكَى أَدْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ فَمَبْرَةٌ . وَإِنْ مَرَحَ فَزَرْهَةٌ . فَبُرَّ
 الْأَسْرَارِ وَخَزَنَ الْوَدَائِعِ . قَيْدُ الْعُلُومِ . وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ . وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِلَسُ لَا يَنَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْجِبُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ سَمِعْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنَ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ . مَعَ قَلَّةِ مَوْئِنَتِهِ وَخَفَةِ حِمْلِهِ . لَا يَزِدُّكَ شَيْئًا مِنْ
 دُنْيَاكَ . نَعَمْ الْمُدَّخِرُ وَالْعُدَّةُ . وَالْمُسْتَغْلُ وَالْحَرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِيكَ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّفَرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطْلْتَ النَّظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَشَحَذَ طِبَاعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتُهُ خَلَدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَعْنَهُ نَوَّهَ عَنْهُمْ
 بِأَنْيَمِكَ . يُعِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوفَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكُ فَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ صَاحِبٍ . وَأَعَزَّ بِهِ مِنْ مُوَافِقٍ (الكنز المذفون)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسَامِرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحِوَالِيَهُ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِثُهُمْ فَإِذَا قَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَنَا جُلَسَاءُ مَا نَمْلُ حَدِيثَهُمُ الْبَاءُ مَأْمُونُونَ غَيْبًا وَمَشْهَدًا
 يُفِيدُونَ تَنَا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمٌ مَاضٍ وَرَأْيَا وَتَأْدِيبًا وَمَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمَوْتُ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءُ فَلَسْتُ مُفْسِدًا
 فَعِلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمُكْنَفِيُّ مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَقْطَعُ بِمُطَالَعَتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَعَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى النَّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمَلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَّلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَفَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأُمُورِ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْوَزِيرُ قَالَ لِنَوَائِبِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصِّلُوا لَهُ كُتُبًا يَلْهُو بِهَا وَيَسْتَعْلِ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ أُمَمَالٍ وَيَعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رَدُّوْهَا
وَحَصُلُوْهَا كُتُبًا فِيهَا حِكَايَاتُ تَلْهِيهٍ وَأَشْعَارُ تُطْرِبُهُ (الفخري)

قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْحِفْظِ وَالْإِسْطِظْهَارِ :

عَلَيْكَ بِالْحِفْظِ حُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِلْكَتُبِ آفَاتٍ تُفْرِقُهَا
أَلْمَاءُ يُعْرِفُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْفَارُ يُخْرِقُهَا وَاللِّصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : أَلْبَانَ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيَقِلُ الْقُفُولِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَلِاحِظُ : أَلْبَانُ أَسْمُ جَامِعٍ لِكُلِّ مَا كَشَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَارُ الْفُرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّجُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنْ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقَلُّهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلُهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنُهُمْ بَلِيغَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهَمْتَهُ الْعَامَّةُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يَمَلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَلِّكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
أَلْبَانٍ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَشَأَتْ بِهِ وَكُنَّا بِبُصُورٍ عَنْكَ نَعْتَرِفُ

مَهْدِي الْعُذْرِي نَظُمُ بَعَثَ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ الدَّرُّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: الْبَلِيغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فَحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّمَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بَعَارَتُهُ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْأَحْتِرَازِ عَنِ الْإِيجَازِ الْخَلِّ. وَالْتِطْوِيلِ الْمُمِلِ.
 وَأَمَّا الْفَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْفَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّمْقِيدِ وَأَصْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ اللَّبَنُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرِّغْوَةُ. وَكَثُرَ الْبَلَاغُ لَا يَكَادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَعْمِلُونَهَا اسْتِعْمَالَ الشَّيْئَيْنِ الْمُرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَيَزَعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعَانِي وَالْفَصَاحَةَ فِي الْأَلْفَاطِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِيغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَيْبَتُهُ حَتَّى يَسْكَبَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظَّمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَصَرَ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي (اللابِشِي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيَوَانُ الْعَرَبِ وَمَعْدِنُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدَبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشُّعْرَاءُ لِلْكَلامِ أُمَرَاءُ. وَقَالَ بَعْضُ
 السَّالِفِ: الشَّعْرُ جَزَلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْمَجَالِسُ وَتُسَبِّحُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتُسَفِّى بِهِ السَّخَامُ. وَيُقَالُ: الْمُدْحُ مَهْرَةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاءُ
 الشُّعْرَاءِ مِنْ بَرٍّ الْوَالِدِينَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْصَفَ الشُّعْرَاءِ فَإِنَّ
 ظُلَامَتَهُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَنْتَنِي. وَهُمْ الْحَاكُمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ: الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ. وَالْعَذْبُ الزُّلَالُ. إِنْ مِنْ
الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرٌ. وَكَانَ يُقَالُ: الثَّرَى يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
الشَّرَرِ. وَالشَّعْرُ يَبْقَى بَقَاءَ النَّقْشِ فِي الْحَجَرِ. وَقِيلَ لِحَمْزَةٍ بَنِي يَمُصٍ:
مَنْ أَشَعَرُ النَّاسِ. قَالَ. مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ. وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ. وَإِذَا
مَدَحَ رَفَعَ. وَإِذَا هَجَا وَضَعَ. وَقَالَ دَعِيلٌ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدْحِ
الشُّعْرَاءِ: إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَجْتَرَاهُ النَّاسُ فَقَالُوا: كَذَّابٌ. إِلَّا
الشَّاعِرُ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسَنُ كَذِبُهُ. وَيُحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
عَيْبًا عَلَيْهِ. ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ: أَحْسَنْتَ. (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
السُّوْقَةَ إِذَا صَيَّرَ أَبْنَاهُ فِي الْكُتَّابِ أَمْرًا مُعَلِّمَهُ أَنْ يَعْلِمَهُ الشَّعْرَ. لِأَنَّهُ
تَوَصَّلَ بِهِ إِلَى الْمَجَالِسِ. وَتَضَرَّبَ فِيهِ الْأَمْثَالُ وَتَعَرَّفَ بِهِ مُحَاسِنُ الْأَخْلَاقِ
وَمَشَائِبُهَا فَتَذَمُّ وَتُحَمِّدُ وَتُهْجَى وَتَمْدَحُ. وَآيُ شَرَفٍ أَبْقَى مِنْ شَرَفٍ
يَبْقَى بِالشَّعْرِ. (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا أَلْفَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ. وَكَانَ
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلِكًا فَبَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ.
وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ. وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ. وَقَالَ: أَحْسَنُ مَا
مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ:
وَلَوْ لَا خِلَالُ سَنَاهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بُغَاةَ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمَسَاكِمُ
وَأَحْسَنُ مِنْهُ:

أَرَى الشَّعْرَ يُجَيِّدُ الْجُودَ وَالْبَاسَ بِالَّذِي تَبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطِرَاتُ
وَمَا أَلْجُدُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نَخِرَاتُ

١٥١ (فَصَلِّ لِأَيِّ بَكْرٍ أَخْوَارَ زَيْي جَامِعٍ يَمْدَحُ الشُّعْرَاءَ) مَا ظَنُّكَ
 يَقُومُ الْاِقْتِصَارُ مَحْمُودٌ إِلَّا مِنْهُمْ. وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ.
 إِذَا ذُكِرُوا ثَامُوا. وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا. وَإِذَا رُضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعَ.
 وَإِذَا غَضِبُوا. وَضَعُوا الرَّفِيعَ. وَإِذَا أَقْرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكِبَارِ. لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ. وَلَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِمْ بِالْعُقُوبَةِ يَدُ غَنِيهِمْ لَا يُصَادَرُ. وَفَقِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحْقَرُ. وَشَيْئُهُمْ يُوقَرُ. وَشَأْنُهُمْ لَا يُسْتَصْغَرُ. سَهْمُهُمْ تَنْفُذُ فِي
 الْأَعْرَاضِ. وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهَا بِحِجَلٍ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ. بَلْ مَا ظَنُّكَ يَقُومُ هُمْ صَيَارِقَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ. وَسِمَاسِرَةُ
 النُّقْصِ وَالْاِكْمَالِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمِ أَيْتُهُمْ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ. وَأَنْسَمُ
 صِنَاعَتِهِمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَزْلِ. بَلْ مَا ظَنُّكَ يَقُومُ هُمْ أَمْرَاءُ الْكَلَامِ.
 يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ. وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ. يَقْصِرُونَ مَمْدُودَهُ. وَيُخَفِّقُونَ
 ثَقِيلَهُ. وَلَمْ لَا أَقُولُ: مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَتَّبِعُهُمُ الْاَوْدُونُ. وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهِيمُونَ (لاي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ: مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا. فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَتَّبِعُ وَتَرْتَدُّ
 عِظَمًا. وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا. أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ بِنْدِهِ فَقَالَ لَمْ
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسَهَا قِيَمَةً. يَرْفَعُ الْاَحْسَابَ الْوَضِيعَةَ.

وَيُفِيدُ الرَّعَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُعْنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رَرِيَّةٍ . قَالِبُ سُوهِ حُلَّةٍ . وَتَرْتِيوُ بِهِ حَايَةَ . يُوَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْخُتْلَةَ . وَأَنْشَدَ الْأَصْمَعِيُّ :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلِطًا بِالتُّرْبِ تَقْطُرُ عَنْهُ زَهْرَةُ الْعُشْبِ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ إِلَّا بَنَاءَ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ .
لَا يَنْهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَبِالْجَهْلِ يُتْلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخَلْقِ خَيْرٌ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَذْرِكُ مِنْ فَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيَّ شَيْءٍ فَاتٍ مَنِ أَذْرَكَ
الْأَدَبَ . وَقَالَ ابْنُ عَالِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمْ الْأَكْثَرُونَ
وَأِنْ قُلُوا . وَحَلَّ الْأَنْسُ أَيْنَ حَلُّوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بَنِي الْأَدَبِ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَتَهَامُهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيَّةِ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُؤُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بَنِي عِزِّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ الْمَالِ وَشَيْكَ ذَهَابُهُ . جَدِيرٌ أَنْ يَقْطَاعَهُ
وَأَنْ يَقْلَابَهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خَوْلٍ وَذُبُورٍ وَذُبُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَاتِبٌ
وَاصِبٌ . لَا يَزُولُ زَوَالِ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ بِتَحَوُّلِ السُّلْطَانِ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَعَدَ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : حَلِيَّةُ الْأَدَبِ لَا
تُخْفَى . وَحُرْمَتُهُ لَا تُخْفَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

سُدَّتْ . قَالَ يَزْرَجُهُ : مَنْ كَثُرَ آدِبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِعَاءً وَبَعْدَ صَيْتِهِ وَإِنْ كَانَ خَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبُ الْغَرِيزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرَّوَايَةِ وَهُوَ الْفَرْعُ . وَلَا يَتَفَرَّغُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَنْمُو الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (الشريشي)

١٥٤ وَقَالَ حَبِيبٌ فَأَحْسَنَ :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُرَّةٌ لَوْ تَرَكْتَهُ عَلَى الْحِلْقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَقْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هِبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ آدِبِهِ
هُمَا كَمَالُ الْقَتْلِ فَإِنْ فَقِدَا فَقَدَهُ لِلْحَيَاةِ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ ظَاهِرًا تَبَيَّنَ تَأْدِبُ بَادِبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوُلْدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلَاحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعَدِّهِمْ عِنْدَ الْقَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلَاحِهِ وَيُخْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا أَفْخَرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَقْلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ .
وَبِالْإِلْهَامِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ . (الشبراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرِّصْ بَنِيكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَيْمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَإِنَّمَا مِثْلُ الْأَدَابِ تَجْمَعُهَا فِي عُقُوفَانِ الصَّبَا كَالنَّشْرِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَابِجِ وَالسُّرُرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَفَعَ الْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الأدب الظاهرة

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلْقِيَ بِالْأَدَابِ وَأَرْسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ يَمِينَهُ وَيَشْرَبَ يَمِينَهُ . وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمَ شَفَتَيْكَ وَلَا تَلْتَفِتْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمَنَّ بِسِكِّينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنَازِلًا . وَلَا تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يُرَضَّ عَنِ الْبُطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَمِثُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقُلُوبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ . قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نِهْمًا شَرِيهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الْإِحْقَارِ (للأبشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا آدَبُ الْمُضَيَّفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ أَضْيَافَهُ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ الْغَنَى
وَبَسْطَ الْوَجْهَ فَقَدْ قِيلَ: أَلْبَسَاشَةُ فِي الْوَجْهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهَا وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَمَّنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدْيَوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِآيَاتٍ فَقَالَ:

إِذَا الْمَرْءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمْتَهُ لَدَيْكَ الْمَسَالِكَ
فَكُنْ بَاسِمًا فِي وَجْهِهِ مُتَمَلِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكٌ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْجُلْ بِمَا هُوَ هَالِكٌ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَالَفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمَرُو وَمَالِكٌ
بَسَاشَةُ وَجْهِ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ بَيْنَ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكٌ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ عِنْدَ الْمَوَاكِلَةِ. وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَا سَرَّني شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ الْتَزَلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خَلَّتْني ضَيْقًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبَّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحِبٌ لِمَنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا نَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ زُرُولِهِ وَنُشِيعُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ ضَاحِكٍ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفُوسُهُمْ . وَلَا
 يَنَامُ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْشُرُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَمَّلُ
 عِنْدَ وِدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَنَ . وَلَا يَنْضَبَ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يَنْقُصَ عَيْشَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَعْتَسِرُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَكَدًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحُضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِمُ السُّرُورُ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرُ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَايِسَهُمْ بِلَذِيذِ الْحَادِثَةِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَفِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرَ مَنْ يَخْضَرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . فَقَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةٌ تُضَيِّعُ سِرَاجَ لَا يُضِيئُ
 وَرَسُولٌ بَطِيءٌ . وَمَا بَدَأَ يَنْتَظَرُ لَهَا مِنْ يَجِي . وَمِنْ أَسَنَةِ أَنْ يُشَيِّعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيحي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرُّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكِبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا الْقُوتُ . وَالذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرُ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلُ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسْأَلُ مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ طُولَ عُمُرِهِ . وَلَا يَتَبَرَّمُ مَنْ طَلَبَ الْحَوَائِجَ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

الباب التاسع في رسلها لف

الحداد والامير

١٦ حكى القاضي أبو عبد الله الأمدى النابى قال : دخلت
على الأمير سعيد بن مظفر أيام ولايته لشغل فوجدته يقطر دهنًا
على خنصره . فسأله عن سببه فذكر ضيق خاطمه وأنه ورم بسببه .
فقلت له : أراي قطع حلقة قبل أن يتفاقم الأمر . فقال : من يصلح
لذلك . فاستدعيت ظافرًا الحداد الشاعر فقطع الحلقة وأنشد بديها :
قصر عن أوصافك العالم وكثر النائر والنائم
من يكن البحر له راحة يضيق عن خنصره الخاتم
فاستحسنه الأمير ووهب له الحلقة . وكانت من ذهب
وكان بين يدي الأمير غزال مستأنس وقد ربض وجعل رأسه في
حجره . فقال ظافر بديها :

عجبت لجرأة هذا الغزال وأمر تحطى له واعتمد
وأنجب به إذ بدا جاثما وكيف أطمان وأنت أسد
فزاد الأمير والحاضرون في الاستحسان (بدائع البداهة للزدي)
١٦١ قال بعض الشعراء يصف الفهير والغني :

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاه أنواع الكلام فقالا

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا
إِنَّ الْغَنِيِّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا
وَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً
وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا
لَوْجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُخَالَا
قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالًا
وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالًا

الحجاج والفتية

١٦٢ أمر الحجاج صاحب حرسه أن يطوف بالليل فمن رآه بعد
العشاء سكران ضرب عنقه. فطاف ليلة من الليالي فوجد ثلاثة فتيان
يتمايلون وعليهم أمارات السكر. فأحاطت بهم العلمان. وقال لهم
صاحب الحرس: من أنتم حتى خالفتكم أمر أمير المؤمنين وخرجتم
في مثل هذا الوقت. فقال أحدهم:

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْرُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِمَائِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ. فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا • وَقُعُودٌ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ: لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ. ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ:

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبِدِيَّةِ :
 أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّفُوفَ بِعِزِّهِ وَقَوْمَهَا بِالسِّيفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
 وَرَكْبَاهُ لَا يَفْهَمُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَّتْ
 فَأَمْسَكَ عَنِ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَاحْتَفَظَ عَلَيْهِمْ .
 فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
 حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حِجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قَوَّالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
 حَائِكٍ . فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ : عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
 قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا فَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو العلاء وكتاب الفصوص

١٦٣ أَلْفَ أَبُو الْعَلَاءِ صَاعِدُ كُتُبًا مِنْهَا كِتَابُ الْفُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
 لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عَجَائِبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِغَلَامٍ
 لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَخَانَتْ الْغَلَامَ رِجْلُهُ
 فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
 الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ :
 قَدْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ كِتَابُ الْفُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يَغُوصُ
 فَصَحَّحَ الْمَنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَرُغْ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَهُ .
 وَقَالَ مُرْتَجِلًا نَحِيْبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوجَدُ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ الْفُصُوصُ
 (كِتَابُ الْمَحَبِّ لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمَرَاكَشِيِّ)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بَعُوضَهَا:
لَكَ مَنَزَلٌ كَمَاتَ سِتَارُهُ لَنَا
لِلَّهِوْ لَكِنْ تَحْتَ ذَاكَ حَدِيثُ
غَنَى الذُّبَابِ وَظَلَّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ
فِيهِ الْبَعُوضُ وَيَرْقُصُ الْبَرْغُوثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

لَيْلُ الْبَرَاغِيثِ وَالْبَعُوضِ
لَيْلٌ طَوِيلٌ بِلَا غَمُوضٍ
فَذَاكَ يَنْزُو بِغَيْرِ رَقْصٍ
وَذَا يُغْنِي بِلَا عَرُوضٍ

فتى فضيح

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ عَلَى الْمُأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَغْصَانِ
دَوْحَتِكَ. أَقْتَاذُنِي فِي الْكَلَامِ. قَالَ: نَعَمْ. فَحَمَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ: أَمْتَعْنَا اللَّهُ بِحَيَاةٍ دِينَنَا وَدُنْيَانَا. وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا.
يَهْمَانَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. وَسَأَلَهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا. وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا. وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا. هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ. الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَفَضْلِكَ. الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ. ثُمَّ سَأَلَ حَوَاجَتَهُ فَقَضَاهَا
(للشريشي)

علي بن الجهم

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ. وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ. فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الشَّاذِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ :

لَمْ يَصِلُوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةً إِلَّا اثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَحْمُولًا

نَصَبُوا بِمَجْدِ اللَّهِ مِلَّ غَيْرِهِمْ شَرْقًا وَمِلَّ صُدُورِهِمْ تَجِيلًا

مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نُكُولًا

هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْثُ فَارِقَ غِيْلِهِ فَرَأَيْتُهُ فِي مَحْمَلٍ مَحْمُولًا

مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ زُرْتُ لِبَاسَهُ كَالسِّيفِ أَفْضَلُ مَا يَرَى مَسْلُوكًا

وَقَالَ فِي الْجَبَسِ :

قَالُوا حَبِستَ فَقُلْتَ لَيْسَ بِضَائِرٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُعَمَدُ

أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْثَ يَأْلَفُ غِيْلَهُ كَبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ

فَأَشْمُسُ لَوْلَا أَنَّهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ نَظْرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ

وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا مَحْجُوبَةٌ لَا نَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُتْرَهَا الْأَزْنَدُ

وَالْجَبَسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لَدَنِيَّةٌ شَمَاءَ نَعَمْ لِلْمَنْزِلِ الْمُتَوَرَّدُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قَحَطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَقَدَ عَلَيْهِ رُؤْسُ

الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةً يُسَمَّى دِرْوَاسَ

ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَأَسْتَصَفَرَهُ هِشَامُ

وَقَالَ لِحَاجِيهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .

فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُخِلْ بِكَ وَلَا انْتَهَصَكَ

وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرٍ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

كَشَرُ وَالسُّكُوتَ طَيُّ لَا يُعْرِفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أَنْشُرْ لَا أُمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابَتْنا سِنُونُ ثَلَاثَ . فَسَنَةُ أَكَلَتْ
 الْحَمَّ . وَسَنَةُ أَذَابَتْ الشَّحْمَ . وَسَنَةُ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَّقُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَكُمْ فَلَا تَحْسُبُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنْ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 الْغُلَامُ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُذْرًا . وَأَمَرَ لَهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ فَرَفَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ مِائَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَارَةِ الْعَرَبِ فَأَلِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (للشريشي)

الشاعر التروني

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِهَيْصِيدَةٍ
 بَدِيعَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدِّ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيعَةٌ فِي النِّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدِّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَدُوحُ لِلْبُؤَابِئِ سِرًّا : لَا تَمَكِّنُوهُ مِنْ الْخُرُوجِ . فَوَقَفَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِيزِ حَارًّا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِهَيْصِيدَةٍ . قَالَ : فَمَا أَجَاذَكَ

عَلَيْهَا . قَالَ : هَذَا الْمُدَّ الشَّعِيرُ . فَقَالَ لَهُ : هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ :
نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ . فَأَنشَدَ بَدِيحًا :
يَقُولُونَ لِي أَرْخَصْتَ شَعْرَكَ فِي الْوَرَى فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ عُدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أُجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرِ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَلَصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمُدُّوحُ هَذَانِ الْيَتَانِ أُعْجِبَ بِهِمَا . وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ . فَرَسَمَ لَهُ بِجَارِزَةٍ سَنِيَّةٍ

المنصور وابن هبيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمَنْصُورُ ابْنَ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ :
بَارِزْنِي . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْهَرَنَ امْتِنَاعَكَ
وَلَا عَيْتَكَ بِهِ . فَقَالَ الْمَنْصُورُ : مَثَلُنَا مَا قِيلَ : إِنَّ خَنْزِيرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ : قَاتِلْنِي . فَقَالَ الْأَسَدُ : لَسْتُ بِكُفْؤِي . فَإِنِّي إِن
قَاتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ . وَإِن قَاتَلْتَنِي لِحَقْنِي وَصَمُّ عَظِيمٌ . فَقَالَ لِأَخِي
السَّامِعِ نِكُولَكَ . فَقَالَ الْأَسَدُ : احْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ السَّطْحِ بِدَمِكَ . فَحَمَلَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقَّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْفِرَاقِ :

مَا الدَّارُ قَدْ غَبَيْتُمْ يَاسَادِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْغَبْتُمْ لَنَا جَارُ
غَبَيْتُمْ فَأَوْحَشْتُمُ الدُّنْيَا بَعْدَكُمْ وَأَظْلَمْتَ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَفْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَغْرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
تَرَى تَعُودُ لِيَالِنَا الَّتِي سَلَفَتْ كَمَا عَيْهَدْنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرُهُدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهِذِهِ الْأَنْبِيَاءُ :
 أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ جَرَادًا كَانَ فِي فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهُدْيَةَ مِنْ مِقْدَارِ مُهْدِيهَا
 لَوْ أَنَّ يَهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تُهْدِي إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَارَهُ
 (طرائف اللطائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَغْرِيدِ الْبَلْبَلِ :
 أَيُّهَا الْبَلْبَلُ الْمَغْرِدُ فِي التَّخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَقْنَانِ مُخَلَّةٍ وَرَشَانَا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمَغْرِدُ شَجْوًا رَبِّ صَوْتٍ يُهَيِّجُ الْأَخْرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّى إِلَى صَغَائِرِ الشُّرُودِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضِّ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُظْفَهِمَا عَقْلًا قَوْمٌ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثْثٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ
 ١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّخَايَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :

الْمَوْتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ الْبَابِ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

الدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا يُرْضِي الْإِلَهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ
 فَاجَارَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَأَنْظِرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلَيَّ يَقُولِهِ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ عَمِلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ غَفَّارٌ
١٧٥. قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
خَنَّتْ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَّ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦. قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُودَعًا :

لَا وَدَعْنَكَ ثُمَّ تَدْمَعُ مُفْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فِرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلُ شَاغِلٍ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فِرْقَةُ الْأَخْوَانِ
١٧٧. قَالَ شَمْسُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
فَقِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨. حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أُبَيْنَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ. فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّهَ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ. فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِعَجْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجِدًّا وَشَيْمًا مُرْصِيَةً وَجَدًّا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَيْئًا لَا مَحْمُودَةً وَقَدَّا

قَالَ: قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: أَمْتَعَنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقَدْ عَوَّضْتُ
مِنَ الْحُزْنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِيَّ قَالَ: عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:
لَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
فَإِنْ يَكُنْ ذَا وَذَانِي الْقَدَرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
فَضَحِكَ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ. وَمَا جَالَ
بِفِكْرِي وَلَا أَحْضَرَتْهُ بَعْدَ انْقِضَائِهِ عَلَى ذِكْرِي (الآغاخي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ:
قَامَتْ تُسَجِّعُنِي هِنْدُ فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ
لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي الْمَوْتَ عِنْدِي مِنْ لَهْ أَدَبِ
لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهَا وَتَبَوُّوا
وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُجْبِينِي مِنْهُمْ وَلَا السَّلْبُ
١٨١ قَالَ مُحَمَّدُ الدُّرَّاقُ فِي هَذَا الْأَمْنِيِّ:

أَيُّهَا الْفَارِسُ الْمُشِيخُ الْمُغِيرُ إِنَّ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْحَيْلِ إِذَا تَوَّرَ الْعِبَارُ مَثِيرُ
وَأَسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ بِقَوْمٍ فَتِيلُ وَهَارِبُ وَأَسِيرُ
حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الدُّعْرِ وَيَعْلُو الصِّيَاحُ وَالْتِكْمِيرُ
أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدُ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ تَحْرِيرُ

١٨٢ مَثَلُ دُعِيلُ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أَمْرَاءِ الرِّقَّةِ فَقَالَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ:
مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ حُجْرَلٍ
إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبٌ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنَّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمُلْ
وَلَا أَتُ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلْ
فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ مُخْرِهِمْ وَإِنْ لَمْ أُسْأَلْ
قَالَ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (لَابِنْ عَبْدِ رَبِّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَحْمِي خَيْبًا:
رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَحْمِي خَيْبًا وَكُلُّ مِنْهُمَا بِالظُّلَمِ يَسْعَى
قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فَسَادٍ كَعَقْرَبٍ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

ابو عبادة البحتري عند المتوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْبُحْتَرِيُّ الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدْخَلَهُ فِي
نُدْمَانِهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا، وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ. فَأَدَمْتُ النَّظَرَ
إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَضَرْفِ طَرْفِي عَنْهُمَا. وَرَأَى الْمُتَوَكِّلُ فَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ
فِي يَدَيْهِ الْيُمْنَى. فَقَبِلْتُ الْأَرْضَ وَجَعَلْتُ أَفْكِرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَعْمًا فِي
الْأُخْرَى. فَعِنِّي أَنْ قُلْتُ:

بَسْرٌ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَهْهِ الْبُحَارِ
خَلِيفَةُ يُحَيِّي وَيُخَشِّي كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هُذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهُ الْيَسَارُ
فَرَمَى بِالْذُّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَارُ (للاردي)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ بَيْنَ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤْلِي النَّدَى وَتَلَا فِ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَأَلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَغْنِمْ دُعَائِي وَالنَّشَاءَ الْوَافِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ . وَأَنَا الْعَائِدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الرَّازِيِّ فِي مَجْلِسٍ دَرَسَهُ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَقْرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي حُجْرِهِ كَأَمْسْتَحِيرَةٍ
بِهِ فَأَلْشَدَّ شَرَفُ الدِّينِ بْنِ عُنَيْنٍ أَبْيَاتًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . مِنْهَا :
جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْعُغُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَاسِنَكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ
(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بَغْدَادَ فِي حَرَّاقَتِهِ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنُ صَفِيٍّ الْحُلُوقِي الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَدْنَيْتُ مِنَ الشَّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَبْيَاتًا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ .
عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَأَعْرِقَتْ كَيْفَ لَا تَعْرِقُ
وَبَحْرَانِ مِنْ قَوْقَهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطِيقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ (لَا بَنَ خَلْكَانَ)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجتمع جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك. فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ. وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقْلُ كُلُّكُمْ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَلَبَ فَلَهُ الْكَيْسُ. فَبَدَرَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ:
أَنَا الْقَطْرَانُ وَالشُّعْرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْقَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءٌ
فَقَالَ الْأَخْلَطُ:

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَامِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ
فَقَالَ جَرِيرٌ:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءٌ
فَقَالَ: خُذِ الْكَيْسَ فَلَمَعَمْرِي إِنْ الْمَوْتُ يَأْتِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرِّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعْجَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ. فَقَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ أَنْ أَهْبَ لَكَ. قَالَ: جَمِيلَ رَأْيِكَ. فَإِنِّي
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. فَأَمَرَ بِدَنَانِيرٍ وَدَرَاهِمٍ فَصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ.
فَقَالَ لَهُ: اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ: الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ. فَضَحِكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءِ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ الْبُسْتِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقَلًا :

قَدَيْتُكَ يَا رُوحَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا
حُبِسْتُ فَمِنْ بَعْدِ الْكُصُوفِ تَبْلُجُ
فَلَا تَعْتَقِدْ لِلْجَنَسِ هُمَا وَوَحْشَةً قَبْلَكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْجَنَسِ
بِأَنْفُسٍ مَا عِنْدِي مِنَ الرُّوحِ وَالنَّفْسِ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالشَّمْسِ

١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبْشَاهُ يُغْرِي عَلَى طَلَبِ الْمَجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَدْرِيجًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْقَنَاطَةَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَتْهَا تَنَمُّو قَتَبْتُ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفَرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الشَّيْءِ . فَصَارَ
يَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صَرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَابِكِ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَتُهُ فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلْتُ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا

١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعْتَبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا تَحْجَلْتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِّدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقٍ
وَمَوْجٍ لِي فِي الْقَلِيمَةِ قَائِلٌ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَتِّ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا تَوَا جَمِيعًا
أَدْعَوْتَنَا حَتَّى نَمُوتَ بِدَائِنَا عَطْشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدِيرٍ يَتَشَوَّقُ إِلَى صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ مَكَانٌ مَشَاهِيرُ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُجِدُّ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةٌ مَاءِ الْبُكَاءِ حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَّهُارَهَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شُعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنُؤُهُ بِاللِّشَائِدِ وَيَتَأَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَائِزَ . فَيَمَّا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يُعِيدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أَرْجَحَتْ
مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِي إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطَرِّفُنَا بِدِيهَا بَيْتٍ مَضْمُونُهُ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَغَنِّحٌ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الْحُجْبَا
مَا زَلَزَلَتْ مِصْرَ مِنْ كَيْدٍ أَلَمَّ بِهَا لَكِنَّهَا رَقَصَتْ مِنْ عَذَابِكُمْ طَرَبًا
الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصْعَبَ قَهْدَ الْبَصَرِ

أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَتِهِ :

يَا بِي مَنْ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ أَلَمْتَ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلَ
حَسِبْتَ أَنَّ بَيْفِهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتَهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَتَشْدُرُ دُرَّ الشَّاعِرِ ابْنَ جَهْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوَزَارَةِ بَعْدَ الْغَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوَّلِي بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ سَلَّتْهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَنَهُ حَتَّى أَبْصَرْتَهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ فَارِسٍ الرَّازِيُّ الْغَوِيُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقْوَتْ حَاجُ
إِذَا أَرَدَحِمْتَ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيهِ هَرَّتِي وَأَنْيَسُ نَفْسِي دَفَا تَرُّ لِي وَمَمَشَوْقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَسْطُرْلَايِي هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأَمْراءِ فَأَنشَدَ :

أَهْدِي لِمَجْلِسِهِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا أَهْدِي لَهُ مَا خَزَتْ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَرَائِهِ

٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . قَدْ خَلَّ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنْ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْرَتُكَ
لَكِنْ جَهَلْتُ مَقَالَتِي فَعَذْرَتِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نزهة الإلباء في طبقات الأدباء لابي بركات الانباري)

اولاد تزار عند الافعى

٢٠٤ شَخْصٌ مُضَرٌّ وَرَبِيعَةٌ وَإِيَادٌ وَأَمَّا أَوْلَادُ زَرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ
فَإِنَّمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلَامًا قَدْ رُئِيَ فَقَالَ: الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
هَذَا أَعُورٌ. فَقَالَ رَبِيعَةٌ: وَهُوَ أَزُورٌ. قَالَ إِيَادٌ: وَهُوَ أَبْتَرٌ. وَقَالَ أَمَّا رُ:
وَهُوَ شَرُودٌ. فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
عَنِ الْبَعِيرِ. فَقَالَ مُضَرٌّ: أَهُوَ أَعُورٌ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ رَبِيعَةٌ: أَهُوَ أَزُورٌ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ إِيَادٌ: أَهُوَ أَبْتَرٌ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَمَّا رُ: أَهُوَ شَرُودٌ.
قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُّونِي عَلَيْهِ. فَخَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
رَأَوْهُ. فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ: كَيْفَ أَصَدَقْتُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ.
فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ. فَتَنَادَى صَاحِبُ
الْبَعِيرِ: هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ. فَقَالَ
الْجُرْهُمِيُّ: كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ. فَقَالَ مُضَرٌّ: رَأَيْتُهُ يَرَعَى جَانِبًا
وَيَدْعُ جَانِبًا فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ. وَقَالَ رَبِيعَةٌ: رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
ثَابِتَةً الْآثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْآثَرِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
وَطْنِهِ لِأَزُورِيهِ. وَقَالَ إِيَادٌ: عَرَفْتُ بُتْرَهُ بِإِجْمَاعِ بَعْرِهِ وَلَوْ كَانَ
ذِيًّا لَا تَتَفَرَّقُ. وَقَالَ أَمَّا رُ: إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شَرُودٌ لَكُونِ أَنَّهُ كَانَ
يَرَعَى فِي الْمَكَانِ الْمُتَلَفِّ بِتَبَتِهِ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَثَ.
فَقَالَ الْأَفْعَى: لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ. ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ.
فَرَحَّبَ وَأَصَافَهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ. (ثمرات الاوراق للحموي)

الباب العاشر في المريح

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ : إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ . قَالَ : عَلَى رِسْلِكَ . ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَقَدَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ : قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودَ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدِثِ الْخُشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَرْزِي
لَهُ حُكْمُ لَقْمَانٍ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرِّقُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرِّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ
فَقَالَ لَهُ : قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي .
فَقَالَ : عَلَى قَدْرِي . فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا . فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ : هَلَّا احْتَكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ فِي مَالِهِ مَا يَفِي بِقَدْرِهِ . قَالَ لَهُ دَاوُدُ :
أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَمْرُهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَلْقَانِدَ فَأَنْشَدْتُهُ :

اللَّهُ حَرَدَ لِلْنَدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةَ وَجْهِهِ قَبْضُ الرَّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ حَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةً فِيهَا بَعْضُ الْغَلْظِ . فَتَلَكَّأَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَاءَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُدْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدَرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرَضِ الْبِلَادِ وَطُولِهَا أَوَلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي ثِقَتِي بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَعَرَهَا
 لَا يَجْنِي حُلُوَ الْحَمِيدِ مَا جُدَّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَهَا
 فَقَضَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي خَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أُسُودُهُمَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لِحَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنَ مَنْزِلُ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَحْمَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِزِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْفَضْلُ

ابْنُ الرَّبِيعِ وَيَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانٌ سَمِيدَاوَدَ جَا جَتَانُ . فَقَالَ لِي : أَلَشِدْنِي . فَأَلَشَدْتُهُ قَصِيدَةً
 الدَّمْرِ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَسْمَعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يُرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَضَعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالَ مُعَلِّمُهُ يَوْمَ الْوَعَى وَالْمَنَايَا صَالِبَهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَمَى بِالْحِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطِيبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ ۝ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي النَّصُورُ التَّمَرِيُّ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعَدَدْتُ لَهُ مَدْحًا ۖ فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ فَرُمْتُ شَيْئًا فَأَجَاءَنِي ۖ
 وَنَظَرَ إِلَيَّ مُسْتَنْطِقًا فَقُلْتُ :

إِذَا اعْتَصَمَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُدْ بِفَتَايِهِ وَأَجْبَحْ إِلَيْهِ تَنْلُ عُرْفًا وَلَمْ تَنْلُ سُؤَالَ
 فِتْنَةٍ لَا تَزَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ لَنْ قَصُرَتْ أَلْقُولُ لَقَدْ أَطْلَتِ الْمَعْنَى ۖ وَأَمَرَنِي بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا تَوَلَّى ابْنُ زِيَادٍ أَعْمَالَ الْأَهْوَارِ فَقَصَدَهُ يُجَرِّدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ :

يَحْيَى أَمْرُؤُ ذِيئُهُ رَبُّهُ بِفِعْلِهِ الْأَقْدَمِ وَالْأَحْدَثِ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَذْمِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِمُسْتَحْدَثِ
 وَرَثَةُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَنَاءِ الْوَارِثِ الْمُوَرِّثِ

فَوَصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ ۖ وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ انْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِّيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدَمَ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّهَا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَايَرُوا فِي بَلَدَةٍ
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَزَلْ مَعْقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عَقَالَهَا
 ٢١٢ أَلَسَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ:

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضَرَّةٌ وَمَنْفَعٌ وَارَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّهُ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسَرَّ بِهَا النَّزَى أَشْرَ النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزَعُ
 فَإِذَا تَكَرَّرَتْ مِنْ أَمْرِي أَعْرَافُهُ وَقَدِيمُهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ فَأَعْجَبَهُ الشَّعْرُ فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ.
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكْفِئْهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَقَالَ: لَا مَا ثَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمِكَافَأَةٍ لَهُ فَكَيْفَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخَزَاعِيُّ يَمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْراءِ:

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافُ خُصِمْتُ بِهَا فَكَلَّمْنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُعْتَبِرٌ
 أَلْسِنُ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالنَّفْسُ وَاسِعَةٌ وَالْوَجْهُ مُنْبَسِطٌ
 ٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عَبْدِ: الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَتْ عَنْهَا الْمَثَلُ.
 فَظَاهَرُهَا لِلْقَبْلِ. وَبَسَطَتْهَا لِلْفَنَى. وَسَطَوَتْهَا لِلْأَجَلِ. أَخَذَهُ ابْنُ
 الرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُدَّرِيِّ:

أَصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلاً
 فَأَمَدُّدُ إِلَيَّ يَدًا تَعَوَّدَ بَطْنُهَا بِذَلِ النَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّقْيِيلُ

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِيَزِيدَ بْنِ قُيَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ:

وَإِذَا تَبَاعُ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَى فَسَوَاكَ بَائِعُهَا وَأَنْتَ الشُّتْرَى
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ السَّالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّيْلُ إِلَى نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَنْتَ صَنِيعَةً أَتَمَّتْهَا يَبْدِينَ لَيْسَ نَدَاهَا بِمُكَدَّرِ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنَّ لَهُمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصَرِ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِي :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحَقُّوقِ وَأَنْتَ قَرَعُ لَكَ الْحَسْبُ الْمُهْذَبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلُ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحُ عَنِ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَيْتَ عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعْرِضِهِ الشَّيْءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَمُحَدًّا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْمَرَهُ الشَّيْءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ مَدِيحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خَوَّلُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ حِدٌّ عَنْهُمْ وَخَلَّيْهُمْ بَمَا أُحْتَكِمَتْ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحُ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ الْآلِاسِ أَجْسَادَا

٢١٧ قَالَتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَايَادِ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هَزِمَتْ أَنْ أَبْنَ عَمْرٍو لَدَى الْهَيْجَاءِ يَجْمِيهَا
لَمْ يُبْدِ فُحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِعِظْمَةٍ وَكُلَّ مَكْرَمَةٍ يَلْقَى يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُهُمْ إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةً أَبَدًا وَإِنْ أَلَّتْ أُمُورٌ فَهَوَ كَافِيهَا
٢١٨. قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضُهُمْ :

كُلُّ الْخِلَالِ أَلَّتِي فِيكُمْ تَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَأَنَّكُمْ شَجَرُ الْأُرْجِ طَابَ مَعًا حَمَلًا وَشَرًّا وَطَابَ الْغُودُ وَالْوَرَقُ
٢١٩. قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَقُونَ عَلَى قِرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبُّ الْقِرَى حَطَبًا عَلَى النَّبِرَانِ

٢٢٠. غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّي الْأَمِينُ :

تَعَشَّ عُمَرُ نُوحٍ فِي سُورٍ وَغِبْطَةٍ وَفِي خَفْضِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ إِثْمٌ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالْجَحْمُ

٢٢١. وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعِ رُتَبَ الْمَعَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاكِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْبِحْ
قَدِيمٌ وَأَخْرَ مِنْ تَرِيدٍ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَحْي

٢٢٢. وَقَالَ آخَرُ :

كَرِيمٌ يَغْضُ الطَّرْفُ فَضْلَ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَا لَسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتَهُ خَشِنَانِ

٢٢٣. مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَا لَكَ الْحُلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ

٢٢٤. قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْعَمَامِ فَمَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَايِنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ ضَاحِكٌ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا نَوَالُ الْعَمَامِ وَقْتَ رَيْعِ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَدْرُهُ مَالٍ وَنَوَالُ الْعَمَامِ قَطْرَةُ مَاءِ
٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُتَنَصِّرِ بَعْدَ أَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ :

لَيْسَ لَكَ مُلْكٌ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ مُحَمَّدَةٌ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحْبِ كَمَا يَرْتَجِي مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
بِمُنْتَصِرٍ بِاللَّهِ تَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرُ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ نَاصِرُهُ
٢٢٧ دَخَلَ النَّبَاغَةُ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أَيَفَاحِرُكَ ذُو فَائِشٍ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَغَرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَا مَسَآءَ أَمِنْ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَعَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَفَاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَ أَرْكَ أَجُودَ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَظَنُّكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعْدُكَ
أَبْلَجُ مِنْ رِفْدِهِ . وَلِحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقِتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَنْشُدْ
أَخْلَاقُ مَجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْخَفَرِ
مُسَوِّحٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعَى ضَيْغَمٌ فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْحُلِّ بِالْمَطَرِ
فَتَهَلَّلَ وَجْهُ النُّعْمَانِ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُمْلَأَ فَوْهُ دُرًّا وَيَكْتَسَى

أَتَوَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جَبَابُ أَطَوَّقَهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمَرِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا فَتَمْدَحِ الْمُلُوكُ (أَلْفَ بَاءٍ لِابْنِ الْحَجَّاجِ الْبُلُوي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ أَخِيَّاطِ الْمُسَكِّيُّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَامْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْصِيلِ يَدِهِ فَإِذْنًا فَقَبَّلَهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَنْتَهَى إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالَ بِأَمْرِهِ. فَعُوتِبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَاعْتَذَرَ وَاشْتَدَّ يَقُولُ:

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَبَّعِي الْغَنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَقَادَ ذَوُو الْغَنَى أُفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَجَبَّ بِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنِّي بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُسَيْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَرْزُكَ لِحَاجَةٍ سِوَى أَتَيْتُ عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بْنُ الْحَمْدِ وَالْأَجْرُ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدٌ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَلْفًا. فَقَالَ خَالِدٌ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَعْجَبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدَرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدَرِي. فَصَحَّكَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحَجَّاجُ بَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ يُخْرِسَانَهُ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَدِيَّتُهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ أَيْنَ يَزِيدُ
وَمَا قَطَرَتْ بِالشَّرْقِ بَعْدَكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْبِ بَعْدَكَ عُودُ
وَمَا لِسِرِيرٍ بَعْدَ بَعْدِكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحِوَادٍ بَعْدَ جُودِكَ جُودُ
فَقَالَ: يَا غُلَامَ! أَعْطِهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُحِبُّ الْأَخْطَلَ. فَبَلَّغْتَ الْحُجَّاجَ فَقَالَ: لِلَّهِ دَرِّيذٌ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلسَّخَاءِ يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ يَتَوَقَّعُ الْمَوْتَ (الليثي)

٢٣١ وَمِنْ رَقِيقِ شِعْرِ ابْنِ الْعَبَّاسِ الصَّوْلِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
قَلَّوْكَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ النَّاطِرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَتَعْلَمَ أَنِّي أَمْرُوهُ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأَمْرَا فخرًا فَمَا مَلِكُ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوْلَى وَاشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَادِيحِيكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَلَقَ الْهَيَا يَمْطُرُ الذَّهَبَا
وَالدَّهْرُ لَوْ لَمْ يَخُنْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَصُلْ وَالْبَحْرُ لَوْ عَذَبَا
وَالنُّجُورِيُّ فِي الْمَدِيحِ:

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَانْظُرْ إِلَى الْحَمْدِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ الْجُودَ نُجُومُ الْجَوِّ أَحْقَرُهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْنَ خُلِقَ الْأَنَامُ لِحُبِّ كَاسٍ وَزَمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِحِجْدٍ أَوْ لِحُودٍ

الباب الحادي عشر في الفخر والحماسة والهجاء

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفَخَّرًا:

لَقَدْ عَلِمْتَ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ
يَا أَنَا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانَا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ
وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانَا
وَأَدْفَعُهُمْ عَنِ الصَّرَاءِ عَنْهُمْ
وَأَبِينَهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانَا

٢٣٦ . قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا
أَطَعَمُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا
لِصَدِيقٍ وَحِمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي
وِيهِمْ نِلْتُ مِنَ الْعُلْيَا نَصِيبُ
وَبِفَضْلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ
فِي مَرَايِي الْعِزِّ وَالْعَيْشِ الرَّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرْبُ
فَعَلَى كَاهِلِهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعُلَا
لَا تَرَانِي لِدَعَاهُ مِنْ حُجُبٍ

٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَرَأَى مَنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَعَجَّبٍ مِنْ نَعَالِي
وَرِضَائِي مِنْهَا بَلْبَسَ الْبَوَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلِ
فَسِوَايَ إِذَا بِهِنَ يُغَالِي
لَوْ حَدَّاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي
فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاءٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَائِي وَلِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفَعَالِي
مَا وَقَانِي الْحَقُّ وَبَلَّغَنِي الْحَقَّ جَةً مِنْهَا فَأَتَنِي لَا أَبَالِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيشُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعَرِّضُ لِلسُّؤْفِ إِذَا التَّقِينَا وَجُوهًا لَا تُعَرِّضُ لِلطَّامِ
وَلَسْتُ بِجَالِعٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي مَجُولٌ أَمْرُ تَحْتِي إِلَى الْغَارَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمَعْرُوفُ بِحِجْظَةِ الْبَرَمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنَاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَوْا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمَشْهَرِ
فَلَمْ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظُ مُخِيرٍ فَلَمْ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنُ دَفْتَرٍ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَزَارِيِّينَ :

وَإِلَّا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَأَتَنِي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنَبَاهَا إِذَا لَمْ تَرَنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عَقُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْقَوْمِ الطُّوَالِ عَلَوْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُحْيَيْنَ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمَعْرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَعَلَوْ وَآمًا وَجْهَهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِجَعْدٍ مُوَثَّلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ أَجْدَ مُوَثَّلٍ أَمْتَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا أُنْبَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَأُنْبَةَ مَالِكٍ وَيَا أُنْبَةَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْعَرَسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكِلُهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذَمَّاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شَيْئَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَا لِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعِرْضِ فِي الْمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دُفْلٍ الْعَجَلِيُّ :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَافِعًا لِمَا نَابَهُمْ قَدَمًا وَأَعَشَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقْتَحِمُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَقْتَحِمُهُ لِأَذْرِكَ مُجَدًّا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الآغاني والحماسة)

الهمجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَحْلِ:

سَيَّانٌ كَسَرَ رَغِيفَهُ أَوْ كَسَرَ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ
 فَارْفُقْ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ إِنْ كُنْتَ تَرْغَبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ النَّزْوِ لِي بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيتُ ذَنْبٍ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَغَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ
بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تَحْمَةَ أَضْيَافِهِ
فَعَوَّدهَا أَكْلَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخُوَارَزْمِيُّ فِي طَيْبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ
وَمَنْسَفٌ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى
وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكَ السَّلَامِ
يَبْقَى وَيَفْنَى النَّاسُ مِنْ شُومِهِ
قُومُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ نَجَاةَ النَّاسِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا
يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَمْ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَطَّافِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ
فَكَانَ يُؤَلِّي الْعَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنَ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عَشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ
يُؤَلِّي ثُمَّ يَعْزِلُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ
فَخَيَّرُ الْقَوْمِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو بِخِيَلًا:

رَأَى الصِّيفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ
فَصَحَّفَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السِّيفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا قَظَنَ بَانِنَا
نَقُولُ لَهُ خُبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْحُوفِ
٢٤٩ هَجَا آخِرُ طَيْبٍ فَقَالَ:

قَالَ حِمَارُ الطَّيِّبِ مُوسَى
لَوْ أَنْصَفُونِي لَكُنْتُ أَرْكَبُ
لَا تَنِي جَاهِلٌ بَسِيطٌ
وَرَاكِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثُ حَدِيدُ النَّابِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِفَّةَ عَظْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْغَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يَزِيدَ النَّحْوِيِّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَالَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَائِلُونَ وَمَنْ ثَمَالَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ مِنْهُمْ فَقَالُوا الْآنَ زِدَتْ بِهِمْ جَهَالَةٌ

٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبِّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللَّوْمُ وَالْعَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجْنُوهَا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ شَمْلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِئَةِ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ :

أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَأِ غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ فِي فَلَا حَبَّذَا هِيَ
عَلَى وَجْهِ مِيٍّ مَسْحَةٍ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْلُفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا

٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الدَّهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
فَلِلدَّجَا حَاجَةٍ رِيَشٌ لَكِنَّهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدة الشقي على كسرى فانتصب بين يديه . فقال له
 كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدة . قال : أعري أنت .
 قال : نعم ومن صميمها . قال : فما صناعتك . قال : طيب . قال : وما تصنع
 العرب بالطيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غزائها .
 فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
 يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويبدل أسنادها . قال
 الملك : كيف لها بأن تعرف ما تعهده عليها . لو عرفت الحق لم تشب
 إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
 العباد كما قسم الأرزاق وأخذ القوم نصيبهم . ففهم ما في الناس من
 جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
 وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفُسُ بخية . وقلوبُ
 جريئة . وعقولُ صحيحة مرضية . وأحسابُ نقيّة . فيمرقُ الكلامُ من
 أفواههم مروق السهم من الوتر . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
 يطعمون الطعام . ويضربون الهام . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
 يضام . ولا يروع إذا نام . لا يقرون بفضل أحد من الأقسام . ما
 خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
 لله درك من عري لقد أصبت علما وخصصت به من بين الخلق
 فطنة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عبد ربه)

الباب الثاني عشر في اللغز

٢٥٦ قَدْ أَلْغَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ:

وَأَرْقَنَ مَرْهُوفِ الشَّبَابَةِ مَهْفَفِ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
حَمَى الْمُلُكَ مَفْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
وَقَالَ آخِرُ فِيهِ:

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ
مُؤَاطِبُ الْخُمْسِ لِأَوْقَاتِهَا

وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ:

فَلَا هُوَ يَمِشِي وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابَهُ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَضْمَتِ يَجْنَهُ
إِذَا مَا رَأَتْهُ الْعَيْنُ تَحْمَرُ شَانَهُ
وَقِيلَ أَيْضًا فِيهِ:

وَأَهْيَفَ مَذْبُوحٍ عَلَى صَدْرِ غَيْرِهِ
تَرَاهُ قَصِيرًا كَلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
وَيُضْحِي بَلِيغًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَى إِلَيْهِ وَمَا لَهُ لِسَانٌ وَلَا قَلْبٌ وَلَا هُوَ سَامِعٌ
كَانَ صَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحَ سِرِّهِ إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَكْتَهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحُكْمَاتِ وَجَنَانُهُ صَامِتٌ أَجَوْفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرِفُ
٢٦١ قَالَ آخَرُ مُلْغَزًا فِي دَوَاةٍ :

وَمُرْضَعَةٍ أَوْلَادَهَا بَعْدَ ذَنبِهِمْ لَهَا لَبَنٌ مَا لَدَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالثَّدْيُ رَأْسُهَا وَأَوْلَادُهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَأَلْغَزَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّلْمِذِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلِفُ الْأَسْمَاءِ يَعْدِلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يَجْعَلُكُمْ بِالْقِسْطِ بِلا رِيَاءٍ أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَاءٍ
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءٍ يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أُمْتَرَاءَ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفْصِحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخَرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرَبٍ
أَلَا خَبِرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنَ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّلَبِ

وَيُوكَلُ أَحْيَانًا طَيِّبًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَمَشْوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي اللَّهِبِ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَبَرُونِي إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ

٢٦٤ أَلْفَرَزُ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُشَابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ لِكِنَّهِ غَيْرُ بَاحٍ بِسِرٍّ وَذُو أَلْوَجِهَيْنِ لِسِرٍّ مُظْهِرٍ
تُجَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَسْرَارُ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
٢٦٥ قُلِعَ لِأَسَامَةِ بْنِ الْمُتَقِدِّ ضَرْسٌ فَقَالَ فِيهِ مُلْغَزًا .

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلُ الدَّهْرِ صُحْبَتُهُ يَشْقَى لِنَفْعِي وَيَسْعَى سَعْيِي مُجْتَهِدٌ
لَمْ أَلْقَهُ مَذْ تَصَاحَبْنَا فَحِينَ بَدَا لِنَاظِرِي أَفْتَرْنَا فَرْقَةً أَلَا بَدَا
٢٦٦ أَلْفَرَزُ بْنُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَامَةَ الْحَصَكِيِّ فِي نَعَشِ الْمَوْتِ :

أَتَعْرِفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ نَظِيرُهُ إِذَا سَارَ النَّاسُ حَيْثُ يَسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَغْتَلِيهِ أَسِيرُ
يُخْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيُكْرِهُ قُرْبَهُ وَيَنْفِرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنْ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الزُّورِ يَرُورُ
٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهِاءَ الدِّينِ زُهَيْرُ بْنُ أَلِيٍّ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَزًا فِي قُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْلِ الْبَرْدُ جِسْمُهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْخِرْصُ وَالْمَنَعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ

٢٦٨ لُعْزُ فِي طَاحُونَةٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولُ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ إِلَّا كُلَّ سَاعَةٍ
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خُمُسَةَ أَذْرُعٍ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءٍ :

مَطِيَّةٌ فَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفَةٌ فِي الْبَابِ مَرْدُولَةٌ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ حَسَنٍ شَكْلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَنْمُو عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يَدْرِكُهُ

٢٧٢ أَلْعَزَّ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَيْرُني أَيُّ شَيْءٍ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
أَوْسَعُ مَا فِيهِ قُوَّةُ
يَرْفُسُهُ وَيَلْكُمُهُ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَرْحَمُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْآبِرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَتَجَرَّ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْحِجَى وَفِي الذَّهَابِ

يَعَيْنِ لَمْ تَذُقْ لِلنَّوْمِ طَعْمًا وَلَا ذَرَفَتْ لِدَمْعِ ذِي الْأَسْكَابِ
وَمَا لَيْسَتْ مَدَى الْأَيَّامِ ثَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزُ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي عَمِيدٍ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلُ قَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يَجْدُ
لَيْسَ بِيَذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالٍ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجَ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

مَيِّتٌ وَنَحْيِي وَهُوَ مَيِّتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمِشِي بِلَا رَجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضِيضِ الْأَرْضِ طَوْرًا وَتَوَاتَةً تَرَاهُ تَسَامَى فَوْقَ طَوْرِ السَّحَابِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مَضْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِنَحْرُومَيْنِ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ يَمِيتَانِ طُولَ اللَّيْلِ يَعْتَقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ غَيْرُهُ فِي نَارٍ :

وَمَا أَسْمُ ثَلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُبْعِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَصَا وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

الباب الثالث عشر

في الوصف

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا فَقَالَ: يَعْرِفُ الْمُرَادَ بِاللَّحْظِ. كَمَا يَعْنِيهِ
بِاللَّفْظِ. وَيَعْنِي فِي النَّظَرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَرَى الْشَّيْءَ قَرَضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانُ حَتْمًا يُلْزَمُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَفْرَغَ فِي الْحِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَقْوِهِ. أَثَبَتْ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَهْلَ.
وَأَسْرَعَ مِنَ الْبَرْقِ إِذَا اسْتَهْجَلَ (الشعالي)

٢٨٠ تَظَلَّمَ رَجُلٌ الْمَأْمُونُ مِنْ عَامِلٍ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لِنَافِضَةٍ إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَقْلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا حَايِلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَبَّبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (الشريشي)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: أَجْرَى هَارُونُ الرَّشِيدُ الْخَيْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ الْأَمْسَرُّ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجِبًا بِذَلِكَ الْفَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ:
جَاءَ الْأَمْسَرُّ وَالْأَفْرَاسُ يَقْدُمُهَا هَوْنًا عَلَى رَسُولِهِ مِنْهَا وَمَا أَنْبَهَرَا
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدُهُ وَمَرَّ يَخْتِطِفُ الْأَبْصَارَ وَالنَّظَرَ
فَأَجْزَلَ صِلَتَهُ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْعَتَاهِيَةِ (الاعاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا لِصَلَائِي. وَأَعِدُّهَا لِعِدَائِي. وَأُسَوِّقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوِي بِهَا عَلَى سَفَرِي. وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي يَتَسَعُ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتُؤَمِّنِي الْعُمْرَ. وَأُلْقِي عَلَيْهَا كِسَائِي. فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيُجَسِّدُنِي الْقُرَّ. وَتُنْذِرُنِي إِلَى مَا بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعَلَاقَةٌ أَدَوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ. وَأُلْقِي بِهَا عَقُورَ الْكِلَابِ. وَتَتُوبُ عَنِ الرُّمَحِ الطُّعَّانِ. وَعَنِ السِّيفِ عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثَتُهَا عَنْ أَبِي وَسَاوَرَتُهَا أُنِي مِنْ بَعْدِي. وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَلَبٌ أُخْرَى. فَهِيَ الْحُجَّاجُ وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْخُفَّ. وَإِنْ سُلِّ سَوَّفَ. وَإِنْ حَدَّثَ خَلْفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتَفَ. وَإِذَا طَلَعَ أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ تَشَفَّ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُقُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فَنَاقُهُ شَاسِعٌ. وَضَيْفُهُ جَائِعٌ. وَشَرُّهُ شَائِعٌ. وَسِرُّهُ ذَائِعٌ. وَلَوْ نَهَ فَايَعٌ. وَجَفَنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِيٌّ أَلْمُظَرُّ مَسِيٌّ. الْخَبَرُ إِذَا أَلْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوطِبَ نَقَرَ.

٢٨٤ سُلِّ سِنَا قَدِسْ عَنْ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنْ اللَّهِ سُجَانَهُ فَكُتِبَ: مَقُولٌ مُجْهُولٌ. وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مَدْرَكٍ سُجَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ: نَوْمٌ لَا
 أَنْتَبَاهَ مَعَهُ رَاحَةُ الْأَرْضِ. نَقِصُ الْبَلِيَّةِ. أَنْفَصَالُ الْإِتِّصَالِ.
 الرَّجُوعُ إِلَى الْعُنْصُرِ. شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ. فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ. سَفَرُ الْبَدَنِ.
 فَقْدَانُ الْأَخْوَانِ. وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ: شَرٌّ يَتَقَى. مَرَضُ
 الْأَصْحَاءِ. مَوْتُ الْحَيَاةِ. صَاحِبَةُ مَيْتٍ يَحْرَكُ. وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ: خَادِمُ الشَّهَوَاتِ. هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ. شَرٌّ مُجْجِبٌ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ: تَصَوُّرِي طَبِيعِي. زَهْرَةٌ تَذُبُّلُ. وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ: عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ. عِلَّةُ الْعَوْرَاتِ. وَسَبَبُ الثَّرَاتِ. وَعَنْ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ: عَقِيبُ الشَّمْسِ. سِرَاجُ لَيْلِي. وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ:
 مَلْعَبَةُ الْجَنَّةِ. مَطْلُوبُ السِّنِينَ. أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ. وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ: قَاعِدَةُ الْفَلَكَ. (على زعم الأقدمين) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ.
 أُمُّ الْفُرَاتِ. وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ: خَادِمُ الْغِذَاءِ. وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوْتِي وَعَنَائِي
 إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ: وَهَذَا فُلَانٌ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ. وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ حَيَادِ الْمَعَانِي. فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَمَنْحَهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ وَقَدْ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
تَشْرِقُ فِي دَارَاتِهِ شُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَعْرُوسُ
كَأَنَّهُ بَنَفْسُحٌ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٌ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْتِقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْتِقُ الْمُلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّقًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّيَافِيرِ
وَاللَّبُّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّ لِسْنَ الطَّيْرِ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْتِقِ أَيْضًا :

تَفَكَّرْتُ فِي مَعْنَى الثَّمَارِ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنِ مُجَرَّدِ
سِوَى الْفُسْتِقِ الرُّطْبِ الْحَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهَا بِمَعَانٍ زَيَّنَتْ بِتَجَرَّدِ
غَلَالَةِ مَرْجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فَضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَلْبُ زَرْجَدِ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجُلُنَّارَ :

بَدَأْنَا الْجُلُنَّارُ فِي الْقُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْوَسُ الْعَقِيقِ بِهِ قَدْ مَأْتَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّبِيعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَدَوْنَا عَلَى الرُّوضِ الَّذِي طَلَّهُ النَّدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسْفِكُ
فَلَمْ تَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا مِنَ النُّورِ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّبِيعِ فِي آذَارِ وَيَأْشُرَاقِ بِهَجَّةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَيْقِيقِ وَأَفْحَوَانِ وَوَرْدِ وَخِرَامِ وَزَرْجِسِ وَبِهَارِ

٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَا تَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتَهَا بِخُضْرَةٍ وَاكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَالسَّمَاءُ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِهَا وَلِلرَّبِيعِ انْتِسَامٌ فِي نَوَاحِيهَا

٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَمَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُقْلَتَهَا لَمْ تَضْحَكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَنْجِي أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمَدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ

٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزْمِ بْنُ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَآذُ كَيْ مَا سَقَى مَاءَ السَّحَابِ الْجَامِدُ
خَضَعَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ فَتَذَلَّتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْغَضُّ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو فَذَا مَيِّتٌ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَفْدُ الرَّبِيعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعُ وَفْدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشَّرِ بِاسْمِهِ خَبِرْ عَلَيْهِ مِنَ النُّبُوَّةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَارِفُهُ فَهِنَّ خَوَالِدُ

٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسْمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَسْمِعُ عَنْ نُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفُقُ يُسْفِرُ تَادَةً وَيُقِطِبُ
وَكَأَنَّ خُضْرَ الرِّيَاضِ مَلَاءَةٌ وَالْيَاسْمِينُ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ

٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَفِيًّا لِأَرْضٍ إِذَا مَا نَمْتُ نَبَّهَنِي
بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرَعُ النُّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سَوْسَنَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ
عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطَّوَائِيسِ

٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرِّ جَلَّ:

حَازَ السَّفَرُّ جَلَّ لَذَاتِ الْوَرَى فَعَدَا
عَلَى الْقَوَائِكِ بِالْتَفْضِيلِ مَشْهُورَا
كَالْرَّاحِ طَعْمًا وَشَمَّ الْمِسْكِ رَائِحَةً
وَالْتَبَرُّ لُونًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرَا

٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ:

وَرِمَاحٍ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ
بَلْ لَا كُلَّ وَمَصِّ لَبٍّ وَرَشْفٍ
كَمَلْتُ فِي أَسْتَوَاهَا وَأَسْتَقَامَتْ
بِاعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدْ وَلُطْفٍ

٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ:

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا
وَأَضْلَعُهَا كَادَتْ تُعَدُّ مِنَ السُّمِّ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي فَقَدْتُهُ
وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جِسْمِي

٣٠٠ قَالَ الْبُخْتَرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ:

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا
أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ
لِرَّاحِ أَغَادِيهَا وَكَأْسِ أَدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهَّةُ أَعْيُنٍ
وَلَهُوُ لِنَفْسٍ دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّبِيعُ بِلَادَهَا
فَقِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَعَدِيرُهَا

٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرِ مَجْ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ:

يَا عَائِبَ الشَّطْرِ مَجْ مِنْ جَهْلِهِ
وَلَيْسَ فِي الشَّطْرِ مَجْ مِنْ بَاسٍ
فِي فَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لَعْنِهَا
سُغْلٌ عَنِ الْغَيْبَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْغَلُ أَلْهَامَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبَ الْحَرْبِ بِتَدْبِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ أَدَائِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجَلَّاسِ
٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَزِيرٍ كَثِيرِ التَّلَوُّنِ :

مُقِيلٌ مُدِيرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْنِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعُ فَرْدٍ وَشَكْلُ غَرِيبٍ
٣٠٣ قَالَ إِنْشَاقُ بْنُ خَلْفٍ الْبَهْرَانِيُّ فِي وَصْفِ النَّخْوِ :

النَّخْوُ يُصْلِحُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ وَالرَّءُ تُعْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلَهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسَنِ
٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمِّيَّ قَالَ :

وَزَارَةٌ تَرُورُ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِيلٌ يَأْتِي مِنْ غَيْرِ حِجَةٍ
وَمَا أَحَدٌ مُحِبُّ الْقُرْبِ مِنْهَا وَلَا تَحُلُو زِيَارَتَهَا بِقَلْبِهِ
تَبَيَّتْ بِبَاطِنِ الْأَحْشَاءِ مِنْهُ فَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عَظَمِ كَرَمِهِ
وَتَمْتَعُهُ لَذِيذُ الْعَيْشِ حَتَّى تُنْقَضَ بِمَا أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ
أَتَتْ لَزِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْجَا بِهِ
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَّانِ :

أَلْقَبُ مِنْ فُرْقَةِ الْخُلَّانِ يَحْتَرِقُ وَالْذَّمْعُ كَالْذَّرِّ فِي الْخَدَيْنِ يَسْتَقِ
إِنْ فَاضَ مَاءُ دُمُوعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا الْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الباب الرابع عشر في الحكايات

ابن الزبيري ومعاوية

٣٠٥ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ أَرْضُ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا.
وَالِى جَانِبَهَا أَرْضُ مُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَمِيدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا. فَدَخَلَ عَمِيدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَمِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي.
فَأَنْهَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَلَكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى. قَالَ: أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَأْتُونَكَ بِرَأْسِهِ. فَقَالَ: بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ. ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ: أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِيٍّ وَسَاءَ فِي مَا سَاءَ. وَالدُّنْيَا
بِأَسْرَها هِنَةٌ عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ. نَزَلْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضْفَعُهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَهُ مِنْ
قُرَيْشٍ هَذَا الْحُلَّ وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزبير وقرأه رعى به إلى ابنه يزيد . فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر .
فقال له أبوه : يا بني من عفا ساد . ومن حلم عظم . ومن تجاوز استمال
إليه القلوب . فإذا أثبتت شي من هذه الأدواء . فداؤه يمثل
هذا الدواء

المنصور ومحمد بن جعفر

٣٠٦ قيل : كان المنصور معجباً بمحادثة محمد بن جعفر ولعظم قدره
يفزعون إليه في الشفاعات . فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة . ثم
لم يصبر عنه . فأمر الربيع أن يسكمه في ذلك فكلمه وقال : أعف
أمير المؤمنين لا تثقل عليه في الشفاعات . فقبل ذلك منه . فلما توجه
إلى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسألوه إيصاها إلى
المنصور . فقص عليهم القصة فأبوا إلا أن يأخذها . فقال : أقدفوها
في كمي . ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام
وما حولها من البساتين . فقال له : أما ترى إلى حسنها يا أبا عبد الله .
فقال له : يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيما أتاك وهناك بإتمام نعمته
عليك فيما أعطاك . فما بنت العرب في دولة الإسلام ولا التحم في
سالف الأيام أحسن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني
خصلة . قال : وما هي . قال : ليس لي فيها ضيعة . فتبسم وقال :
قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد أقطعتكمها . فقال : لله درك
يا أمير المؤمنين إنك شريف الموارِد كريم المصادر . فجعل الله تعالى

بَاقِي عُمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيهِ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كُمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِعْنَ خَابِلَاتِ
خَاسِرَاتٍ . فَضَحِكَ الْمُنْصُورُ وَقَالَ : بِحَقِّي عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
مُخْبِرَ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيماً
وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرَّمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصَفَّحَ الرِّقَاعَ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا
(اللابسيهي)
عدل عمر بن الخطاب بما آداهُ لعجز من فقراء رعيته

٣٠٧ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَأَوْصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ شَخْصًا أَعْرَابِيًّا
جَذَبَنِي بِثَوْبِي وَقَالَ : الزَّمَنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَكَبِّرٌ . فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرَّةٌ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَأَنَا وَرَاءَهُ وَجَعَلَ يُجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُؤْتِيهِمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا امْرَأَةٌ تُعْجِزُ وَحَوْلَهَا صَبِيَةٌ
يَقُولُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَّا مَا أَتَانِي عَلَيْهَا قِدْرٌ وَتَحْتَهَا نَارٌ تَشْتَعِلُ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عَمْرٌو يَأْمُلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَطَالَ الْوُقُوفُ. فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُوقِفُكَ سِرِّ بَنَاءِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاشْكَبُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَفُوفُنَا جِدًّا وَمَلْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاءُ الْعُيُونِ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَزَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدًا رُوَيْدًا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصَحُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عَمْرٌو: ادْخُلْ بِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَاءَهُ. فَقَالَ لَهَا عَمْرٌو: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَه. فَردَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
أَحْسَنَ رَدٍّ. فَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارُخُونَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: يَا لِمَ هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلَمْ تَطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَقَطْ
إِلَى أَنْ يَضْجُرُوا مِنَ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عَمْرٌو إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي.
فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا أَلْمَرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنْ فِيهَا
شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا ضَجِرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عَيْنَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عَمْرٌو: وَلِمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَعْرِضِي أَمْرِي عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيَّا اللَّهُ عُمَرَ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عُمَرُ مَقَالَاتَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَالَهَ يَمَاذَا ظَلَمَكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهُ ظَلَمَنَا إِنَّ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مِنْ رِعْيَتِهِ .
 لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَيْكَ كَثِيرُ الصَّبِيَّةِ وَلَا مُعِينَ وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ بِمَا يَقُوتُهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صِبْيَتَهُ . فَقَالَ لَهَا عُمَرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَعْلَمُ عُمَرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتِ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَّةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُعَلِّمِيهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهُ إِنَّ الرَّاعِي الْحَرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رِعْيَتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَاذْكُرْ ذَلِكَ الشَّخْصَ الْفَقِيرَ الْحَالِ الضَّيِّقَ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنَعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُعَلِّمَهُ بِحَالِهِ . فَقَلَى عُمَرُ السُّؤَالَ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رِعْيَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِأَعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحَرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَادَاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عُمَرُ : صَدَقْتَ يَا خَالَهَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَّةِ وَالسَّاعَةِ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَشِينَا وَالْكَلابُ تَنَجَّنَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَا عَنِّي
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَوَحَدَهُ وَدَخَلَ وَأَمْرَنِي
 فَدَخَلْتُ مَعَهُ . فَظَنَرُ بِمِنَّا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطلٍ وَيُنِيفُ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلْ عَلَى كَنَفِي فَحَمَلْتُهُ إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْمَلِ أَنْتَ هَاتِيكَ جَرَّةَ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى جَرَّةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ أَلْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدْ أَنْهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى لِحْتِهِ
وَعَيْنَيْهِ وَجَبِينِهِ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَعَبَهُ الْحِمْلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا بَنِي وَائِي يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَائِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حِمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حِمْلِ ظُلَامَةِ كِبَرْتِ أَوْ صَغُرْتِ . وَلَا سِيَّامَا هَذِهِ
الْعُجُوزُ تَعْلَلُ أَوْلَادَهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعُ يَا عَبَّاسُ ثَمَلُ أَنْ تَصْغُرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْعَوِيلِ فَيَنَامُوا ثُمَّ قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَنَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْهَثُ لَهَثَ الثَّوْرِ مِنَ التَّعَبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَمَةَ الْعُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كِفِّهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَقَدَّمَ هُوَ بِذَاتِهِ وَأَخَذَ الْقِدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَطْفَأُ فَقَالَ
لِلْعُجُوزِ : أَعِنْدُكَ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقِدْرَ
عَلَى الْأَثَافِيِّ . وَجَعَلَ يُكَبِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ فِيهِ تَحْتَ الْقِدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يُخْرُجُ مِنْ خِلَالِ لِحْتِهِ وَقَدْ كُنَّسَ
بِهَا الْأَرْضَ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى أُشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَعَلَ يُحَرِّكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَمِخْلُطٍ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أَنْضِجَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ تَصَارِخُونَ . فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعُجُوزِ إِنَاءً فَأَثْنَتْهُ بِهِ . فَجَعَلَ يَصُبُّ الطَّبِيخَ فِي الْإِنَاءِ وَيَفْتَحُهُ بِفَمِهِ لِيَرِدَهُ
 وَيُلْقِمَ الصَّغَارَ . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا . وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا . فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعُجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا : يَا خَالَهَ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَسَأَذْكُرُ لَهُ حَالَكِ . فَأَثْنَتْنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَتَحَدَّثَنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا . ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي جِئْتُ رَأَيْتُ الْعُجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَنَتْ أَنْ الْجِبَالُ قَدْ زُلْزِلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي . حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَاكْتَفَوْا
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِيلَنِي شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالُ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي . ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَيْنَا لَيْلَتَنَا . وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعُجُوزُ فَاسْتَغْفَرَهَا وَجَعَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَاتِبًا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِفِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للاتليدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حَكِي عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَانْظَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ .
 وَأَمْتَلَأَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ . وَأَذْعَنَ لِأَمْرِهِ الْجُمْهُورُ . وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ . اسْتَحْضَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رَهْمُ وَقَائِعِ أَيَّامِ صِفِّينَ . وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكُرْبِيَّةِ مِنَ الْمَعْرُوفِينَ . فَأَنَّهُمْ كُفُوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالْمَرِيضَ . وَآلَ حَدِيثُهُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بَرِيَادَةَ التَّحْرِيطِ . فَقَالُوا : أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ تَسْمَى الزَّرْقَاءُ بِنْتُ عَدِيٍّ كَانَتْ تَعْتَمِدُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ . وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً : يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ . تَسْمِعُهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ . مُسْتَحْتَةً لَهُمْ بِقَوْلِ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا وَالْمَذْبُورَ لَا قَبْلَ . وَالْمُسَالِمَ لِحَارِبٍ . وَالْفَارَّ لَكَرْ . وَالْمُتَرَلِّزَ لَا اسْتَقَرَّ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا . قَالُوا : كُلُّنَا نَحْفَظُهُ . قَالَ : فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا . قَالُوا : نُشِيرُ بِقَوْلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ : بئسَ مَا أَشْرُتُمْ بِهِ وَفَجَأًا لِمَا قُلْتُمْ . أَيْحَسُنَ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنَّنِي بَعْدَ مَا ظَفَرْتُ وَقَدَرْتُ قُتِلْتُ أَمْرَأَةً قَدْ وَفَتْ لِصَاحِبِهَا . إِنِّي إِذَا لِلنِّيمِ . لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا . ثُمَّ دَعَا بِكَاتِبِهِ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَآلِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ : أَنْفِذْ إِلَيَّ الزَّرْقَاءَ بِنْتُ عَدِيٍّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانٍ مِنْ قَوْمِهَا . وَهَدِّ لَهَا وَطَاءً لِنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا . فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ : مَا أَنَا بِزَانِعَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ . فَحَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ عِشَاءً خَزَاءً مُبْطِنًا . ثُمَّ أَحْسَنَ ضَجْبَتَهَا . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا : مَرْحَبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ . كَيْفَ حَالُكَ يَا خَالَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتِ سَيْرَكَ . قَالَتْ : خَيْرَ مَسِيرٍ . فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمِينَ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ . قَالَتْ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى . قَالَ : أَلَسْتُ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ . وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَحَرَضِينَ عَلَى الْقَتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبَتَرَ الذَّنْبُ . وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يَحْدُثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتُ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتِكِ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْفَرَسَ . وَلَا يَقْطَعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْتَرَشَدَنَا أَرَشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرْنَاهُ . إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَالَّةً فَاصْأَبْهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّمَّ شَمْلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتْ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْمُبْطِلُ . أَفَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . قَالَتِ الزَّالِ الْزَّالُ وَالصَّابِرُ الصَّابِرُ .
أَلَا وَإِنَّ خِصَابَ النِّسَاءِ الْحَنَاءُ وَخِصَابَ الرِّجَالِ الدِّمَاءُ . وَالصَّبْرُ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِنْتُوا الْحَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ فَبِذَا يَوْمُ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلُكَ وَتَحَرِيضُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحْسَنَ اللَّهُ بِشَارَاتِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِثْلَكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسِرُّ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ سَرَّني قَوْلُكَ
وَأَنِّي لِي بِصَدِّيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ قَاؤُكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَعَجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكِ تَقْضَ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
حَاجَةً . فَقَالَ : قَدْ أَشَارَ عَلِيٌّ بَعْضُ مَنْ عَرَفَكَ بِقَتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنْ الْمُسِيرِ . وَلَوْ أَطَعْتَهُ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَعْفُو عَنْكَ وَنُحْسِنُ
إِلَيْكَ وَزَعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَقْفًا وَتَجَاوَزَ عَمَّنْ أَسَاءَ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُسُوةً
وَدَرَاهِمَ وَأَقْطَعَهَا ضِيعَةً تُغْلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَالِمَةً وَكُتِبَ إِلَى وَائِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للأبشيهي)

رجلان كريمان حصلتا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خَزِيمَةُ بْنُ بَشَرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمُؤَاسَاةِ . وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى أُحْتَاجَ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُؤَاسِيهِمْ وَيَفْضَلُ عَلَيْهِمْ . فَأَسُوهُ حِينَئِذٍ مِنْهُمْ مَلُوهٌ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أُمَّرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةً عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةَ الْعَمِّ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرَ أَعْمَاءَ هَدَتْ مِنْهُمْ . وَقَدْ غَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَوَتَّى بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرِمَةُ الْقَيَاضُ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَبَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيوَانِهِ وَعِنْدَهُ حَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ بَشَرٍ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ. فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ: أَمَّا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ يَشْرٍ مُوَأْسِيًا أَوْ مُكَافِيًا. فَقَالُوا لَهُ:
لَا. فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ
وَقَدْ مَيَّيَ الْفَيَاضُ لِنِزَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ. ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ. فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غَلَامٌ وَاحِدٌ
يَحْمِلُ أَلْمَالَ. وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ. فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لِغَلَامِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ. فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ نَكَرَ صَوْتُهُ: خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ. فَتَنَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذِيلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جِئْتُ
فِدَاكَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي. فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَقْبَلُهُ أَلَمْ تُخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَتَرَاتِ الْكُرَامِ. فَقَالَ خُرَيْمَةُ: زِدْنِي إِضَاحًا. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: لَا وَاللَّهِ. وَأَنْصَرَفَ. فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى أُمِّ رَأْيَةٍ وَقَالَ
لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَتَقْوِي أَسْرَجِي. فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ. فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْمِسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خُشُونَةَ الدَّنَائِيرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ أُمُّ رَأْيَةٍ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هِدَايَةِ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا. فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كَذَا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ عَمَّا خَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأَكْتُمِيهِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرْمَةٍ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ لِلْسَّقَرِ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرْمَةُ
 وَسَلَّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوءُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ التَّهَضُّعَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرْمَةُ : ضُعْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنَهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتَهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكُنَّا فِيئَاهُ عَلَى مَرُوءَتِهِ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ خُرْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَجَزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ وَأَحْسَنَ ضِيَاقَتِهِ . وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ مِنْ
 وَقْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَقَبِلَ الْأَرْضَ خُرْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ غَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِلْمُلَاقَاةِ خُرْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَهْلِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَيُحَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَلَبَهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا إِلَى
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِحَبْسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ مِنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعَرَضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرْبِهِ . فَكَبِلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرْبَ وَضِيقَ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ فَبَلَغَ
 أَمْرَ أَنْتَهُ ضَرْهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَاعْتَمَتْ لَذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَمَتْ جَارِيَةً
 لَهَا ذَاتَ عَقْلِ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةُ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَارِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ بِمُكَافَأَتِكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْحَبْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَقَعَلْتُ جَارِيَتُهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسَوْءَ تَأَهُ جَارِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْفَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَاسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْحَبْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ الْفَيَاضِ فِي قَاعِ الْحَبْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوُجُوهِ أَهْلِ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَنَهُ ذَلِكَ فَتَنَكَّسَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةَ وَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ قَصَبَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةَ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْتَبَ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَعَالٍ لَكَ

وَسُوءُ مَكَافَاتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
أَمَرَ يَهُودَهُ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رَجْلَيْهِ نَفْسُهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ :
مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَتَّالِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَأَلُكَ . فَقَالَ لَهُ
عِكْرَمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَيَعْدُ ذَلِكَ خَرَجًا جَمِيعًا وَجَاءَ
إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ وَأَرَادَ الْإِنْصِرَافَ فَلَمْ يُمْكِنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةَ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسُهُ فَقَتَلَى
خِدْمَةَ عِكْرَمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَا لَا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَا عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَهُ
بِقُدُومِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَتَدَمُّ
عَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامَعَ قُرْبِ الْمَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَهَرْتُ بِمَجَارِ عَثَرَاتِ الْكَرَامِ
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
قَالَ : عِكْرَمَةُ الْفَيَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
فَرَحَّبَ بِهِ وَأَذَنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرَمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالًا
عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخَلِيفَةَ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخَارَهُ فِي رُقْعَةٍ .
فَكَتَبَهَا فَقَضَيْتُ عَلَى أَتَمِّ وَجْهِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ التَّحْفِ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَارْمِينِيَّةِ

وَأَذَرِيحَانِ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خَزِيمَةِ بَيْدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبْقَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلَى رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا أَنْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ خِلَافَتِهِ (ثمرات الاوراق للحموي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُوسُفَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَدَّ بِهِ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَسَجَنَهُ. فَأَحْتَالَ يَزِيدُ بِحُسْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السُّجَّانَ وَأَسْتَمَالَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسُّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْخَلِيفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْوَلِيدِ يُعَلِّمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السُّجْنِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْوَلِيدُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَجْبَاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أُجْرِعْهُمَا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَدُوَّهُ وَعَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا مِثْلَ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْرِجُنِي فِي ضَيْفِي فَلْيَفْعَلْ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَغْلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَيَّدَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَهُ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَالَمَا جَمِيعًا بَغْلَيْنِ رَحْمَهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ أُلُوَيْدٍ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدَ وَابْنَ أَخِيكَ أَيُّوبَ بْنَ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ ثَالِثَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِ يَزِيدَ فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ قَابِدًا بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْعَلَ يَزِيدَ ثَانِيًا . وَأَجْعَلَنِي إِنْ شِئْتَ ثَالِثًا وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُهَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى أُلُوَيْدٍ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ أُلُوَيْدُ
 اسْتَحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَلَّغْنَا بِهِ هَذَا الْمُبْلَغَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُخَيِّجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ أُلُوَيْدُ : مَا مَحْتَاجُ مَا مَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عَذْرَكَ وَعَلِمْنَا ظُلْمَ الْحَجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَحْضَرَ حَدَادًا فَازَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحَجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّكَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (للابشيهي)

خبر كريم واحسانه الى من قتل اباه

٣١١ حُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتْ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ اخْتَفَتْ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدَبِيًّا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنَ السَّقَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمَ مُجَاسِي فَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ:
 يَا إِبْرَاهِيمَ حَدِّثْنِي عَمَّا رَأَيْتَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْعَدُوِّ. فَقَالَ سَمِعْتُ
 وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحِيرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
 الصَّخْرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَصُرْتُ بِأَعْلَامِ
 سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ تُرِيدُ الْحِيرَةَ. فَخَلَيْتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
 فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَكَرِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
 أَحَدًا أَخْتَفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ. فَظَنَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابٍ كَبِيرٍ
 وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ قَدْ خَلَّتْ فِيهِ. فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُضِلًّا
 عَلَى الرَّحْبَةِ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَالتَفَتَ فَرَأَانِي فَقَالَ لِي: مَنْ
 أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ. فَقُلْتُ رَجُلٌ خَائِفٌ عَلَى دِمِهِ وَجَاءَ يُسْتَجِيرُ فِي
 مَنْزِلِكَ. فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ قَلِي حَرَمَةٍ وَكُنْتُ عَنْدهُ فِي
 كُلِّ مَا أَحْبَبْتُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
 حَالِي. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْقَجَرِ وَيَمْضِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
 قَرِيبَ الظُّهْرِ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: أَرَأَيْكَ تُدَمِّنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ فَمِنْ
 ذَلِكَ. فَقَالَ لِي: إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ قَدْ قَتَلَ أَبِي
 ظُلْمًا وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحِيرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًّا لَعَلِّي أَجِدُهُ
 وَأُدْرِكُ مِنْهُ ثَارِي قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَثُرَ
 تَعَجُّبِي وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّ الْقَدَرَ سَاقَنِي إِلَى حَتْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
 دِمِي. فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ: ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أُسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
 قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجِبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلِمَعْرِفِكَ لِي
 يَلْزَمُنِي أَنْ أَذْلِكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
 الْخُطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
 أَبِيكَ فَخُذْ بِنَارِكَ . فَبَسَمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَصْبَحْتَ الْأَخْفَاءُ وَالْبُعْدُ عَنْ
 مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتَ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
 الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَابٍ مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
 هَذَا وَعِلْمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْتَفَتْ إِلَيَّ
 وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ
 وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْضِرُ ذِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ أَمِنُ
 عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
 وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمَ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُهُ فِي
 عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للاتليدي)

جود معن بن زائدة

٣١٢ حُكِيَ عَنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ أَنَّ شَاعِرًا مِنَ الشُّعْرَاءِ قَصَدَهُ فَأَقَامَ
 مَدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتَّيَّبْ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
 بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعَرِّفَنِي .
 فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنٌ إِلَى بُسْتَانِهِ لَيْتَنَزَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
 الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ عَلَى خَشَبَةٍ وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنَّ مَعْنَاً كَانَ جَالِساً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
فَمَرَّتْ عَلَيْهِ الْخَشَبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنَاً بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَعْنٍ سِوَاكَ سَبِيلُ
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْنٌ قَالَ لِخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كَتَبْتَ . فَأَلْشَدَهُ أَلَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَاً وَضَعَ تِلْكَ الْخَشَبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَالْتَمَهُ الْخَشَبَةَ
فَقَامَ لِيَنْظُرَ مَا أَلَهُ فَرَأَى الْخَشَبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فَالْتَمَهُ الْخَشَبَةَ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضاً . فَلَمَّا
رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْعَطَاءَ الزَّادَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
أَنَّ مَعْنَاً يَرْجِعُهُ عَطْلُهُ وَيَأْخُذُ أَمْوَالَهُ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنَاً خَرَجَ إِلَى
مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَالْتَمَهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِإِلَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
يُخْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَعْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
وَأَلَّهُ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ ابْرَاهِيمُ الْمُوصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمُهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشَّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَقَابَتْنِي عَلَى شُرْبِي الْخَمْرَ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ: لَا تَدْخُلْ عَلَى
 مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَتَهُ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَا فَعْلَنَ بِكَ وَلَا صَنَعَنَ .
 فَقُلْتُ: نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زَهَّةٍ لَهُمَا . فَسَعِيَ بِهِمَا وَبِئِي
 إِلَى الْمُهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَلَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
 الْأَثْمَانَةَ وَسَيِّنَ سَوَاطِ . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي: إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
 الْأَجْرَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَفْكُ دَمِي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا: ضَرَبَنِي
 بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَّنِي بِهِ وَسَقَطَتْ مَغْشِيًّا عَلَيَّ سَاعَةً . ثُمَّ فَتَحْتُ
 عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمُهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ لِابْنِ مَالِكٍ:
 خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ: فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
 وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شَيْبَةً بِالْقَبْرِ قِصِيرَ نِي
 فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَخَّه . فَأَلْبَسَنِي جِلْدَهُ لِيَسْكُنَ الضَّرْبَ . وَدَفَعَنِي
 إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ قِصِيرَتِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَّتْ بِالنَّزْوِ وَالْبَقِ فِي ذَلِكَ
 الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرِجُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لِلْأَمَةِ: أَطْلُبِي لِي أَجْرَةً عَلَيْهَا
 فَحُمٌ وَكُنْدُرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقِ . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَظْلَمَ
 الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ نَفْسِي تَخْرُجُ مِنَ الْقَمَرِ . فَاسْتَرَحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى النَّزْوِ
 فَأَلْصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ اسْتَرَحْتُ مِمَّا
 كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيَّتَانِ مُقَابَتَانِ نَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
 بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ آخُذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
 بِيَدِي الْيُسْرَى فَأَمَّا عَلَيَّ وَإِمَّا لِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا فَدَخَلْتَا مِنْ الثُّغْرِ الَّذِي

خَرَجَاتِهِ . فَمَكَتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْحَبْسِ :
 أَلَا طَالَ لَيْلِي أُرَاعِي الْجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كِبَالًا ثَقِيلًا
 بَدَارُ الْهُوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْحُسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُسِنَتْ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَائِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْمُهْدِي وَأَخْلَفَنِي (بِكُلِّ عَيْنٍ لَا فَسْحَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ أَبَدًا وَلَا أُغْنِيَهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الْأَغَانِي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمَظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَقَدَّمَهُمُ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَلَيْهَا
 ثِيَابُ رَنَّةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَظَنَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :
 يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرِّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْقَوْمِ أَرْمَلَةً عَدَا عَلَيْهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَيِّدُ
 وَابْتَرَّ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظُلْمًا وَفَرَّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَأُطْرَقَ الْمَأْمُونُ حِينَئِذٍ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :
 فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَقَرَحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
 هَذَا أَذَانُ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِفِي وَأَحْضِرِي الْخَضَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُقَضَّ الْجُلُوسُ لَنَا نُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْأَحَدُ
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْأَحَدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ اخْتَصِمُ . فَقَالَتْ : أُلَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
خُذْ يَدَيْهِ فَأَجْلِسْهُ مَعَ مَا جَلَسَ الْخُصُومُ . فَجَعَلَ كَلَامُهَا يَبْلُوُ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أَمَةَ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَأَخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : دَعَهَا
يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْطَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صِغَتِهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
الْعَبَّاسُ بَظْلِمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبَلَدِهَا أَنْ يُؤْغِرَ لَهَا
صِغَتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)

الْمَرْأَةُ الْكَرِيمَةُ

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجْوَادِ الْكَرَامِ
فَنَزَلَ مِنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَكِيلِهِ : اذْهَبْ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَلَعَلَّكَ تَجِدُ
رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٍ أَوْ طَعَامٍ . فَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعَا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَتَنَاَعُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَرِّيَّةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَاتِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْمِي لَهْمٌ
وَهَذَا أَوَانُ أَوْتِيهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَغْدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَّتْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : فَجُودِي لَنَا
بِشَطْرِهَا . فَقَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَخُذُوهُ . فَقَالُوا
لَهَا : تَمْنَعِينَ النَّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكَلِّ . فَقَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إِعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَفَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضَعُنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِخَبَرِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَى السَّاعَةِ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْطَلِقِي مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَإِنَّهُ يُرِيدُكَ . فَقَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَافَأَتُكَ وَبِرَّكَ . فَقَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يُجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ لَهَا أَنْ أَخَذُوهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَسْهَرُ الْيَسِيرِ
وَأَهْجَعُ الْكَثْرِ اللَّيْلِ وَارَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنْ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتُ لِنَيْكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :

أَذْخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَهُ حَاتِمٌ طَيِّ حَيْثُ قَالَ :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمُ الْمَأْكَلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا تَعْجِبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتُ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمَتْ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخَبْرَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتَ فِيهَا مَقَالَكَ . وَأَشْغَلَتْ بِهَا بِأَلْكَ . إِلَهَ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُوْثِرُ فِي الْحِسَةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَأَحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أَنَّهُمْ وَسَلَّمَوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمِمْكُمْ لِمَكْرُوهٍ وَإِنَّمَا أَحِبُّ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَأَلَمْ
 شَعْرَكُمْ . فَقَالُوا : إِنَّ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَكْفَافَةٍ لِفِعْلٍ
 قَدِيمٍ . قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَرْتُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَالِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا لَمْ نَحْنُ فِي خَفَضِ عَيْشٍ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجَّهْ نَحْوَهُمْ يَسْتَحْتَهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ النَّوَالَ مُبْتَدَأً
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَقَدِّمَ فَمَعْرُوفَكَ مَشْكُورٌ وَبِرُّكَ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَاكَ . وَأَمَرَهُمْ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتْ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتَّبِعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْفِعَالِ وَطِيبِ الْخَبَرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَقَالَ عَظِيمُ كَرِيمِ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِيَنْ كَانَ ذَا فِعْلُهُ بَانَ يَسْتَرِيقُ رِقَابَ الْبَشَرِ
 وَقَالَتْ الْعَجُوزُ :

فَعَمَرَكَ اللَّهُ مِنْ مَا جِدَّ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرِ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ ذَرِيَّ الْحَالِ رَثَّ
 أَلْهِيَّةٍ. فَمُنِعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيَّامًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ الزُّهْرَةَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَمَنَعَهُ الشَّرْطَةَ
 أَرْدَرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَتَنَّ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَنَانِ قَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُكَ مِنْ شُرْطِكَ. فَتَنَاهَهُمْ عَنْهُ وَأَبَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ قَالَ: نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْنِيَ
 إِلَيَّ بِسْمِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرْفِكَ. وَتُقْبِلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أُنْشَدَ:
 بِيَاكَ دُونَ النَّاسِ أَرْزَتْ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْعَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَمِيْنَعِي الْحُجَابُ وَاللَّيْلُ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالرَّجَالُ صُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِالْقُلُوبِ كَأَنَّهُمْ ذُنَابُ جِيَاعٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا وَأَصْرَفُ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
 وَمَا لِي مِنَ الدُّنْيَا سِوَاكَ وَمَا لِي رَكَّتْ وَرَائِي مَرِيعٌ وَمَصِيفُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسُ وَخَنْدِفُ وَمَنْ هُوَ فِيهَا نَازِلٌ وَحَلِيفُ
 تَخَطَّيْتُ أَغْنَاكَ الْمُلُوكُ وَرَحَلَتِي إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتَ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجَحْتُكَ أَبْنِي الْخَيْرِ مِنْكَ فَهَزَنِي بِيَاكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُفُوفُ
 فَلَا تَجْمَعَنَّ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً فَقَلْبِي مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ تَخُوفُ
 فَاسْتَصْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ قَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدِرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا يَتَوْبَيْنِ . فَثَرَتْ الدَّرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الثِّبَابُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحِيرَ الْأَعْرَابِيُّ وَاخْتَلَطَ
عَقْلُهُ لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَا لَكَ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَحَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَإِلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُثَبِّتَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ يُخَيَّرُ مَا بَعِثَ لَهَا (للقليوبي)
الخارجي والعصم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عَرَضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَمِيمَ بْنَ جُمَيْلٍ الْخَارِجِيِّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُتَعَصِّمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ حَمِيَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مُؤَكَّبٍ وَقَدْ جَلَسَ
الْمُتَعَصِّمُ لِلنَّاسِ مُجْلِسًا عَامًّا وَدَعَا بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَعَصِّمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدَّهْ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ فَأْتِ بِهِ . فَقَالَ : أَمَّا إِذَا أَدِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبْرَ اللَّهِ بِهِ صَدَعَ الدِّينَ . وَلَمْ شَعَثَ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . فَالْتَوْبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَصْدَعُ
الْأَفْئِدَةَ . وَائِمُّ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ وَأَنْقَطَعَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الظَّنُّ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغَفْوُ أَوْ الْإِنْتِقَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْغَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْعِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَلْشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ كَأَنَّا يَلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِعُذْرٍ وَجْهِي
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكْتُهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ
فَإِنْ عَشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِبَيْطَةٍ
قَالَ فَبِكَيْ الْمُتَعَصِّمِ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْيَكِينِ لَسِحْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَاذٌ
وَاللَّهِ يَا تَيْمِيمُ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْقَدْلَ وَقَدْ وَهَبْتُكَ لِلَّهِ وَلِصَبِيَّتِكَ
وَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ
(ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلاً استعاث به وكان خائفاً على دمه فجوزي على احسانه

٣١٨ حَكَى الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْمَنْصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُ وَافِسَةٍ
عَظِيمَةٍ فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ
وَتَوَلَّيَ الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ . فَقَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبَرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لَا بَتَّاعَ شَيْئاً أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَدْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَاراً وَاجَدْتُ بَابَهَا مَقْشُوحاً فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخاً مَرِيئاً جَالِساً
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . فَمُتُّ : خَافْتُ عَلَى دَمِي وَقَدْ أَدْرَكَهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرَحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُصْرَعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلَحْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ ادْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حُرْمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَيْسْتُ قَلِيلًا أَنْ طُرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَلْعِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حُرْمِي. ثُمَّ زَلَّ وَفَتَحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِنَّهُ
 لَمْ يَرْنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفِثَسُ بَيْتَكَ فَقَالَ لَهُمْ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَقَسُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حُرْمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحُ مِنْ تَأْنِيْسِي وَمُجَالَسَتِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مُقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَاقَ بَوَلِي نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَأَمُضْ مُعَافَى. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَادًا كَثِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أُحْتِيَاجٍ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنَ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَمُحِلْ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قِفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَقُلْتُ لَهُ: إِنْ الرَّأْيَ رَأَيْتُكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظْلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِيَ وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَّحِبًّا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَحَلَّتْ بِأَيِّ جَعْفَرِ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى الْعَجْرِ الْعَمِيقِ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرَ إِلَيَّ وَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ. فَقُلْتُ لَبَّيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْفَظْ بِهِ وَغَدًا أَتُبِّتِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ فَقِدَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعِنَقِكَ. فَقُلْتُ سَمْعًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَامَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ شَيْخًا مُقِيدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزَكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَكَثُرَتْ جِرْهِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامَانِي وَأَمَرْتُهُمْ فَفَرَشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَيْدِهِ فِي رَجْلِي وَطَبَقْتُ عَلَيْهَا. كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرُوحَ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامَانِي فَبَجَّأُوا
بِالْمَاءِ دُونََهَا وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَجَلَسْتُ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِينَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ ضَجِرْتُ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيُفَكِّرُ فِي
شَأْنِهِ فَمَسَّ لَتَهُ مِنْ آيْنٍ هُوَ. فَقَالَ: مِنَ الشَّامِ. فَقُلْتُ: أَتَعْرِفُ فُلَانًا الْفُلَانِيَّ
فِي الشَّامِ. فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ مِثْلِي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. فَقُلْتُ لَهُ: لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفُهُ وَعَبْدٌ إِحْسَانُهُ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ قَيْتَةِ الشَّامِ.
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. فَطَارَ عَقْلِي مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَجَعَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحْقُقْتَهُ فَقُمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَرْتُ
أَقْفَالَ قَيْسُودِهِ وَهُوَ يَمْتَسِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَبَى لُبْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَدُّكَ أَنْ تَعْمَلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْقِذْكَ حَتَّى تَصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَغْدَادَ بِمَرَّاحِلَ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَيْلِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّابِلُ لَكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذُ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِيَ سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : أَتَهْمُونِي زُورًا يَا بَنِي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفِتْنَ فِي الشَّامِ وَأَنَا لِبَنِي أُمِّيَّةٍ عِنْدِي وَدَائِعُ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنْ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنَّ إِحْسَانَكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جِدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَطْنُ أَنْبِيَّ أَطَاوِعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصُوبٌ وَهُوَ :
دَعْنِي مُحْفُوظًا فِي مَسْكَانٍ وَأَمْضُ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَعُدْ إِلَيَّ وَأَطْلِقْنِي فَأَهْرَبُ وَإِنْ أَمَرَ بِقَتْلِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَتَا فِي أَمْرِكَ فَتُخَضِرُنِي وَتَقْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بَشِيءًا (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبَى إِلَّا هَذَا وَضَعْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكُرْتُ إِلَى دَارِ الْخِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
النَّصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَانِي وَحَدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ النَّارِ غَيْظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَمَّوَأَقْرَبَ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَقَعَلَ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ . فَأَلْتَرَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُقَهُ أَمَلًا بِحِلْمِكَ
وَأَتِكَالًا عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فِي
زَمَنِ الْقِتْنَةِ وَتُطْلِقُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنَا بِإِحْسَانِهِ لِنَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَنُحْزِيَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنْ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيَفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسَرًا
وَيَقُولُ : أَيَذْهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمِ مَعْرِوفِهِ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَكَبِيرَى . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَيِّ
وَأَيِّ إِنْ الرَّجُلَ مَوْجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرُبَ لِحَوْفِهِ عَلَى غَنِيِّ
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مُحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ فَأُحْضَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ يُسَاوِي مِقْدَارَ سَالِفِ مَعْرِوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَتَيْتَنِي بِهِ مَكْرَمًا مُوقَرًا . فَمَضَيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَبَيْنَ مَا رَأَاهُ رَحِبَ بِهِ وَاجْلَسَهُ
بِمَجَانِيهِ وَأَكْرَمَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعًا نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤَلِّيه الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَأْمُرُهُمْ بِإِكْرَامِهِ وَالتَّقِيَامِ بِحَوَاشِيهِ (اللاتليدي)

البابُ الخامس عشر في الفقهات

٣١٩ أرسل ابنُ خُروفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ يَحِبُّ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَ:

بِهَاءِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَنُورَ الْعِجْدِ وَالْحَسْبِ
طَلَبْتُ مَخَافَةَ الْأَنْوَا مِنْ جَدِّكَ جَلْدَ أَبِي
وَفَضْلِكَ عَالِمُ أَنِّي خُرُوفُ بَارِعِ الْأَدَبِ
حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَلَبٍ صَفَا حَلِي

٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمُنْصُورِ فَأَنشَدَهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَقَضَيْتَ دِينِي
فَكَانَ بِنَفْسِي الْخُرُوفُ فِيهَا وَسَاحٌ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زَيْنِي
فَصَدَّقَ يَا قَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تُعِدُّ فَتَحْلَمْ فَأَجْعَلَ حِلْمَكَ أَضْعَافًا (اللازدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَادِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ وَتَقُولُ:

فَمَنْ لِلسُّوَالِ وَمَنْ لِلنُّوَالِ وَمَنْ لِلْعَمَالِ وَمَنْ لِلْخُطْبِ
وَمَنْ لِلْحِمَاةِ وَمَنْ لِلْكِمَاةِ إِذَا مَا الْكِمَاةُ جَبُّوا لِلرَّكْبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ

قُضِلَتْ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُفَّهُمْ بِمَوْتِهِ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ خَتَنُ أَبِي مَنْصُورٍ الْحَنَّاكِ . فَقُلْتُ : لَا جَزَالَكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المغازلي عند المعتضد

٣٢٢ كَانَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَعْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرِ مُنَوَّعَةٍ . وَكَانَ نِهَازَةً فِي الْحَذَقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكُ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَصْحَبِ النَّاسِ وَاتَّوَدَّرُ
فَحَضَرَ خَلْفِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُعْتَضِدِ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخُدَمِ فَأَعْجَبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتِكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَيْلَكَ . فَقُلْتُ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَغَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضَحْكِ الْكُؤُلِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي نِصْفِ جَائِزَتِكَ .
فَطَمَعْتُ فِي الْجَائِزَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَمَلُهُ فَلَوْ
أَخَذْتُ سُدُسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَظَنَرْتُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَاقِفٌ ثُمَّ أَطْبَقَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَغَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلِّغْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتَضْحَكُ بِنَوَادِرٍ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَّةُ تَقْتَضِي
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتٍ أَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْتَمِسُ بِرَّهِمْ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجَزْتُكَ بِخُمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ
أَنَامَ أَضْحَكُ أَصْفَعُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَفْعَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَصْغَعُ إِلَّا بِشَيْءٍ لَّيِّنٍ خَفِيفٍ . وَالتَّقْتُ فَإِذَا بَجَرَابٍ مِنْ
أَدَمٍ مَعْلَقٍ فِي زَاوِيَةِ الْبَيْتِ . فَقُلْتُ : مَا أَخْطَأَ ظَنِّي عَسَى فِيهِ رَيْجٌ .
إِنْ أَضْحَكْتَهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَعَشْرُ صَفَعَاتٍ بِجَرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٍ هَيِّئْ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي النُّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالنَّفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعُ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا نُحْنِثٍ وَلَا قَاضٍ وَلَا
نَبْطِيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا تَرْكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةٍ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَحْضَرْتُهَا حَتَّى نَفَدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَفَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الضَّحْكَ . وَهُوَ مُقَطَّبٌ لَا يَتَبَسَّمُ . فَقُلْتُ : قَدْ نَفَدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . فَقُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفَعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفَعَاتٍ أُخْرَى .
فَارَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَمَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعُلْ . يَا غُلَامُ خُذْ بِيَدِهِ . ثُمَّ مَدَدَتْ
ظَهْرِي فَضَفَعْتُ بِالْجَرَابِ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَضَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَفْصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أُذُنَايَ وَانْقَدَحَ الشُّعَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَضَحْتُ : يَا سَيِّدِي نَصِيحَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّعْقَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ نَصِيحَتَكَ . فَقُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَفْجَحُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صَنَنْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي ادْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصْبِي وَبَقِيَ
نِصْفُهُ . فَصَبَّحْتُ حَتَّى اسْتَلَقْتُ وَاسْتَفَرَّهُ مَا كَانَ سَمِعَ . فَتَحَامَلُ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَفْحَصُ بِرِجْلَيْهِ وَيُمْسِكُ بِمِرْقَاطِ بَطْنِهِ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ فَأُتِيَ بِهِ . وَأَمَرَ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِئْتَنِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصْبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصْبِيكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعَ وَطَرَقَ قَفَاهُ أَلْوَقَعَ أَقْبَلْتُ
أَلْوَمُهُ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكَوْتُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ
وَالْمُسْكِنَةَ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخْذُ
إِلَّا نِصْفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَيَّ الصَّبْحُ مِنْ عَتَائِي لِلْحَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصْبِيهِ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعَكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَفَقَسَمَهَا بَيْنَنَا وَانْصَرَفْتُ (للشريشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٣٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِرْهِمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ وَابِرْهِمَ الْمَوْصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكِرُونِي عَدَاوَلَيْكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَشْدُرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَعَنِّي فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
أَبِرْهِمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : فَصُمْتُ فِي السَّحْرِ وَجَهَدْتُ أَنْ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضْعَفُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خَفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بِغُلَامَانِي وَقُلْتُ لَهُمَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِي أَحَدٌ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنُوا فِي زُبَيْدَاتٍ لِي يَبْتَئُونَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . قَعَمْتُ فَرَكَيْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْهَ حَتَّى يُدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى خَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَسْمَعَ فِي قَلْبِهِ . فَحَبِثُ حَتَّى
وَقَعْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا عَدَّهُ . فَمَازَلْتُ وَاقِفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَلَسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْحَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ غَنِّي . فَأَنْدَفَعْتُ
فَغَنَيْتُ هَذَا الصَّوْتَ وَالْمُوصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى فَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَوَشَّ بِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنَّ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةَ وَغَنَّى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمِنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمُ يَضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَبَعَ وَصَدَّقْتُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِيِّ : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أَلْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمَلَتْ إِلَيْهِ (الآغا)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنَّ الْمُهَابَّ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَشَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَيِّ عُلَمَاءِ الْيَمْعِدِيِّ : أَمِدْنَا بِجَيْلِ
الْيَمْعِدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَمَاعَهُمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ قَتَعَارَ . وَأَعْنَاقَهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ قَتَبْتُ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بَغَيْرِ جُرْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بَنَا الرِّاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطَعْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرِّاسِ رَأْسُ
ثَقِيلٍ وَظَرِيفٍ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ الثُّقَلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرَفَاءِ جَمَلًا ثُمَّ نَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُبْرِمًا أَهْدَى جَمَلٌ	خُذْ وَأَنْصَرِفْ أَلْقَى جَمَلٌ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا	قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلٌ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلٌ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا	قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلٌ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ	قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلٌ
قَالَ وَمَا سِيَاحُهُمْ	قُلْتُ سَيْوْفٌ وَأَسَلٌ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا	قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلٌ
قَالَ بِهَذَا فَالْكُتُبَا	إِذْنٌ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلٌ
قُلْتُ لَهُ أَلْقَى سِجِلٌ	فَأَضْمَنُ لَنَا أَنْ تَرْتَحِلَ
قَالَ وَقَدْ أَضْجَرْتُكُمْ	قُلْتُ أَجَلٌ ثُمَّ أَجَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَرَمْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلٌ
قَالَ وَقَدْ أَثْقَلْتُكُمْ	قُلْتُ لَهُ فَوْقَ الثَّقَلِ
قَالَ فَإِنِّي رَاحِلٌ	قُلْتُ الْعَجَلُ ثُمَّ الْعَجَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبَى عَلَى نَحْسِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظَرِيفٍ مَا جَرَى لِسِنَانِ بْنِ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطِبَاءِ عِنْدَ تَقَدُّمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْئَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ التَفَّتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ: قَدْ أَشْتَهَيْتُ أَنْ أَسْمَعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْئًا أَحْضَطُهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ سَخِيحَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِّهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَنَائِيرُ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأَ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَضَحِكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْدٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسَهِّلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَعْدَيْتُ
السَّكَنِيِّينَ وَالْجَلَابَ. وَأَنْصَرَفَ. وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْهَيْئَةِ مَلِجٌ الْوَجْهَ ذِكِّيٌّ فَظَنَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرَفَ مُصَاحِبًا (لاي الفرج)

هَذَا أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ

٣٢٧ حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ اسْمُهُ أَبُو الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيُّ .
وَكَانَ لَهُ مَدَاسٌ صَارَ لَهُ وَهُوَ يَلْبِسُهُ سَبْعُ سِنِينَ . وَكَانَ كُلَّمَا تَقَطَّعَ
مِنْهُ مَوْضِعٌ جَعَلَ مَكَانَهُ رُقْعَةً إِلَى أَنْ صَارَ إِلَى غَايَةِ الثَّقَلِ وَصَارَ النَّاسُ
يَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ دَخَلَ يَوْمًا سُوقَ الزُّجَاجِ . فَقَالَ لَهُ
سِمْسَارٌ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تَاجِرٌ مِنْ حَلَبَ وَمَعَهُ حِجْلُ
زُجَاجٍ مُذْهَبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بَعْدَ هَذِهِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَضَى وَأَشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الْعُطَّارِينَ فَصَادَفَهُ سِمْسَارٌ آخَرٌ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ تَحْصِينِينَ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدَ فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَلَعَلَّجَةَ سَفَرِهِ يُمْكِنُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَعْدُ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَأَشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَّاهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذْهَبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ رُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَفْتَسِلُ . فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَاسِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِسَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَّاسُ الْجَدِيدُ مَدَّاسُ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَّامِ وَوَضَعَ مَدَّاسُهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ قَتَسَ عَلَى مَدَّاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ فَقَالَ : أَيَا إِخْوَانَنَا أَتَرَوْنَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَّاسِي لَمْ يَتْرِكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَّاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمِثْلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خِدْمَتَهُ فَاكْبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَّاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَّاسَ وَضَرَبَهُ تَأْدِيًّا لَهُ وَحَبَسَهُ مَدَّةً
 وَغَرَمَهُ بَعْضَ الْمَالِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَّاسَهُ وَهُوَ عَضْبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَقَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَاتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَّاسَ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَّاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطُّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَظَنَرَ فَرَأَى طَاقَةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْبَيْتِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرَّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَأَقْرَأَهُ أَفْقَرَنِي هَذَا الْمَدَّاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ حُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيُرْتَحِ مِنْهُ .
 فَسَمِعَ الْخَيْرَانَ حَسَّ الْحُفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْقُبُ عَلَيْهِمْ . فَرَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَأَعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَتَّبِعَ عَلَى حَيْرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبْسَهُ وَلَمْ يُطْلَقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 الْمَالِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ السِّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنِيفِ الْحَنَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنِيفِ فَقَاضَ وَضَجَرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّائِحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَقَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَاحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبْسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلِيحُ
 الْكَنِيفِ فَغَرِمَ حِمْلَةً مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْذِيًا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُعْتَاطٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ فَأَلَمَهُ وَجَرَحَهُ جَرْحًا بَاسِغًا . فَظَنُّوا
 وَفَقَّشُوا مِنَ الْمَدَاسِ فَعَرَفُوهُ أَنَّ هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَلْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَازِمِ الْمَجْرُوحِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَقَدَّرَ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتَسِبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنَّ كَلَامَنَا بَرِيٌّ مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هَهُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَصَحَّحَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَلَهُ وَمَضَى (لطائف العرب)

الباب السادس عشر

في النوازل

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حكى أَنَّ بَعْضَ الْحَسَدَةِ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُقْلَةَ الَّذِي
أَنفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِعُلُوِّ الْخَطِّ وَحُسْنِهِ : وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْمُحِبُّونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ .
فَتَبَيَّنَ لِلْمَلِكِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بَاطِلٌ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُقْلَةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ عَادُوا
لَهُ يَهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَعَدَّرُونَ . فَأَلْشَدَ :

تَخَالَفَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نِصْفَ يَوْمٍ فَأَنْكَشَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ بِيَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَتَغَيَّرْ خَطُّهُ حَتَّى مَاتَ

محنة ظهرت في حصار مدينة وبند

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ مِنْ إِسْطِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِلَادَ
الْأَدْفُشِ . فَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ لَسَمَى وَبَدَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَدْفُشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَرْسَلُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَنَّى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَطَعَهُ فِيهِمْ مَا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَسُوءُوا مِمَّا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَفْظَ عَظِيمٍ
وَجَلْبَةً أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنَا حِيلَهُمْ وَاجْتَمَعَ قِسْيُسُهُمْ
وَرَهْبَانُهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمِنَ بَاقِيَهُمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقَرَبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ بِحُجْرٍ . فَشَرَبُوا وَارْتَوَوْا وَتَقَوَّوْا عَلَى الْمُسْلِمِينَ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْحَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْبِيلَةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَنَشَ (الْمُرَّاكَشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَمِنْ عَجَائِبِ مَشَاهِدِ مَضَرِ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْقَاهِرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بُنِيَ عَلَيْهِ
بُنْيَانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مُجَلَّى بِأَنْوَاعِ الدِّيْبَاجِ مُحْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْعَمَدِ
الْكُبَرَى تَمَعًا بِيَضَاءِ أَكْثَرِهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَحُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ التَّفَافِجِ ذَهَبًا فِي مَضْعَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرِّخَامِ الْمُجَزَّعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَخْتَلِهُ الْمُتَحَيِّلُونَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مُسْجِدٍ عَلَى مِثَالِهَا
فِي التَّائِقِ . حَيْطَانُهُ كُلُّهَا رِخَامٌ . وَأَغْرَبُ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَقْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمَرْأَةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلَتَرَأَى النَّاسَ عَلَى الْقَبْرِ وَانْكِبَاهِهِمْ عَلَيْهِ
وَتَسْجُدِهِمْ بِهِ وَالْكَسُوفَ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (الشريشي)

٣٣١ نسخة مبيعة ملك كتبها الشيخ عمر بن الوردِي نظامًا :
 بِاسْمِ إِلَهِ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ بْنُ سَنَقَرَا
 مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْرَقِ كِلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جَلَقِ
 قِبَاعِهِ وَقِطْعَةِ أَرْضٍ وَقِيعَةِ بَكُورَةِ الْغُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 لِشَجَرٍ مُخْتَلِفٍ الْأَجْنَاسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْغِرَاسِ
 وَذَرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذَّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِإِلَازِعِ
 وَذَرْعُهَا فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُتَبَرِّهَةِ
 وَحَاظُ الرُّومِيِّ حَدُّ الْمَشْرِقِ وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكِ الثَّقِي
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكِ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَالْغَرْبِ مَلِكُ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 بَيْعًا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شَرَاءً قَاطِعًا مَرْعِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ فَيَبْطُلُ وَلَا خِيَارَ لَهَا يُدَاخِلُهُ
 شَيْءٌ مَبْلَغُهُ مِنْ فَضِّهِ دَرَاهِمُ جَيِّدَةٌ مَبِيضَةٌ
 قَبْضُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَافِيَةٌ وَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةً
 وَسَلَامُ الْأَرْضِ إِلَى مَنْ اشْتَرَى قَبْضُ الْفِضَّةِ مِنْهُ وَحَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَعْلُقُ
 وَأَشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَعْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةِ

مروءة اسماعيل الهزرجي

٣٣٢ نَارِعُ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ تَوَمَرْتٍ وَأَتَتْهَُا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيَ مَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خِباءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخْفِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا فُقِدَ وَلَمْ يَعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذَا كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتَهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ .
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَحْيَى الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَجَمَعَ حَوَائِجَ
 عِنْدَنَا مَقْصِيَّةً . قَالَ : أَنْ تَخْرُجَ عَنْ هَذَا الْخِباءِ وَتَدْعَنِي أَبِيتُ فِيهِ وَلَمْ
 يَعْلَمْهُ بِمُرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْخِباءُ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى بَرَدَ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرُّوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مَرَّائِشَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتَوْا الْبَوَابِينَ الَّذِينَ عَلَى الْقُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَقَرَّبَ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى تِلْكَ الْقُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَبِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَبِيدَ غَلِبُوهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَقَبِدُوا وَجِعُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مَرَّائِشَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَّغَةَ بَلَّغَهُ أَنَّهُمْ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَقَدِّمُ
الذِّكْرُ فِي الْحَبَاءِ مَقْتُولًا عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حَدِّ التَّمَسُّكِ إِلَى حَيِّزِ الْجَزَعِ .
فَأَمَرَ بِفَسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدُفِنَ (لعبد الواحد المراكشي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةُ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَعَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغَبَّتْ أَفُقَ السَّمَاءِ . وَرَاحَتْ الْأَيْلُ حَدَبَاءَ حَدَايِيرَ . وَضَنَّتِ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَمَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ وَأَيَقَنَّا بِالْهَلَاكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَفِي لَيْلَةٍ صَنِيرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَبِيئَتَا جَوْعًا عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِي وَسَفَانَةٌ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَهَمَّتْ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ فَوَاللَّهِ مَا سَكْتُوا إِلَّا بَعْدَ
هَدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَلِّلُنِي بِالْحَدِيثِ فَعَرَفْتُ مَا يُرِيدُ فَتَأَوَّمْتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَسَرَ الْبَيْتِ ثُمَّ عَادَ . فَقَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فَلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوَنُ عَوَاءُ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُعَوَّلًا إِلَّا عَلَيْكَ يَا أَبَا عَدِي . فَقَالَ : أَغْلِيظُهُمْ فَقَدْ
أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِشِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَُا نِعَامَةٌ حَوْلَهَا رِثَالُهَا . فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَوَجَأَ لَبَتَهُ بِمُدِيَّةٍ
فَحَرَ . ثُمَّ كَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدِيَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى الْحَمِّ أَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِشِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا يَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَالتَّصْعُ فِي ثَوْبِهِ

نَاحِيَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مِرْعَةً وَإِنَّهُ لَا خَوْجَ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا عَظْمٌ وَحَافِرٌ . فَأَلْشَأَحَاتِمُ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَذْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتٍ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلِكُهُ . مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجَبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً . إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إِثَارَ ابْنِ مَامَةَ الْيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَحَّ مَاؤُهُمْ فَكَانُوا
يَتَصَافُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْقَعْبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَرَلُّوا لِلشَّرْبِ وَدَارَ الْقَعْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى كَعْبٍ رَأَى
الرَّجُلُ النَّمْرِيَّ يُحْدِثُ نَظْرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرُهُ بِمَا يَهُ وَقَالَ لِلسَّاقِي : اسْقِ
أَخَاكَ النَّمْرِيَّ فَشَرِبَ النَّمْرِيَّ فَصِيبَ كَعْبٍ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
تَرَلُّوا مِنْ الْغَدِ مِنْهُمْ الْآخَرَ فَتَصَافَوْا بِقِيَّةِ مَا بَيْنَهُمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنْظَرُهُ
أَمْسَ . وَقَالَ كَعْبُ كَقَوْلِهِ أَمْسَ . وَأَرْتَحِلُ الْقَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَعْبُ
أَرْتَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِ وَكَانُوا قَدِ اقْرَبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَعْبُ إِنَّكَ وَارِدُهُ . فَعَجَزَ عَنِ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسَوَا مِنْهُ خِيَوُا عَلَيْهِ بِثَوْبٍ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعْيِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مُسَكَّنَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَثَلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أَخْبَارُ الْعَرَبِ لابْنِ قَتَيْبَةَ)

صنم سومناة

٣٣٥ من عجائب مدينة سومناة هيكَل فيه صنم كان واقفاً في
 وسط أليّت . لا بقاءة من أسفل تدعّمه ولا بعلاقة من أعلاه
 تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه واقفاً في
 الهواء تعجب . وكانت الهند يجنون إليه ويحملون إليه من الهدايا
 كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف
 قرية . وكانت سدته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوقود .
 وأما أليّت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الساج المصق
 بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر
 اللّائق . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حرّكت
 فتصوت الأجراس فيقوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن
 السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه
 أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في
 الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت
 العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من
 حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه
 ورأى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فواقفه قوم وخالفه
 آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب .
 فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للقزويني)

الباب السابع عشر في اللس فاف

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْحَشَ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْيَاسِهِمْ أَنْسُكَ. وَاهْجَرِ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للشعالبي) أَشَدَّ شُكْرُ الْعُلُوِّي:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضٍ تَهَانُ بِهَا وَجَائِبِ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَبُ وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَالْمَنْدَلُ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ قَالَ آخِرُ:

إِرْحَلْ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ مِنْ ذَلٍّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبَلَدِهِ قَالِ اغْتَرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ أَلْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَعْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَدُوعِلَى الطَّرْقِ لَمَّا تَقَرَّبَ نَالَ الْغِزَّ أَجْمَعُهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَّسِعٌ قَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَمَلٍ بَلِيدٌ لَيْسَ يَعْلَمُ مَا ظَلَمَها
فَنَفْسِكَ فُرِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَمِيمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَعْنَى مَنْ بَنَاهَا
فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسِكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَمَا هُوَ إِلَّا
زَفَرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَفَجَّ اللَّهُ
الْتِّلاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ مَسَرَّةٌ لِحُظَّةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَبْتَاهُ سَاعَةً وَالْكَتَّابُ
زَمَانٌ . وَإِنِّي لَا أَكْرَهُ الْاجْتِمَاعَ وَلَا أَكْرَهُ الْفِرَاقَ . لِأَنِّ مَعَ الْفِرَاقِ عَمَّةٌ
يُخَفِّفُهَا تَوَقُّعُ إِسْعَافٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرُّجْعَى . وَمَعَ الْاجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
الْفِرَاقِ وَقَصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الظُّرَفَاءِ : لَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
لِلرَّجِيلِ أَلَمًا وَلِلْبَيْنِ حُرْقَةً لَقُلْتُ حَقًّا . لِأَنِّي نِلْتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
وَأَنْسِ الْفَلَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْاجْتِمَاعِ وَبِهِ مُصَافَحَةُ التَّسْلِيمِ .
وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَعِمَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمُكَاتَبَةِ (لِلْمَقْدِسِيِّ)
قَالَ أَبُو ثَمَامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةُ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى تَرَحُّ الوداعِ
قَالَ ابْنُ النَّظْرُونِيِّ :

بَآتَتْ تَصُدُّعَ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَغَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ الْقَنَاءِ عَةِ لِلْمَقَامِ الْأَطْيَبِ
فَاجْتِبَاهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَلْبُ
إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تَجَنَّبُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نَقْصَانُهُ يَتَغَيَّبُ

ذَمُّ السَّفَرِ

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ سَقَامٌ أَلَّا لَبَابٍ. حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ. وَتَطِيشَ مَعَهُ الْعُقُولُ. وَتَطِيجَ عَلَيْهِ النُّفُوسُ. وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ. وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ. وَهَوْلُ السِّيَاقِ أَهْوَنُ
مِنَ الْفِرَاقِ. وَقَالَ النَّظَّامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتِ الْقُلُوبُ
وَهَدَّتِ الْجِبَالَ. وَلَجُمِرَ الْغَضَا أَهْوَنُ تَوَهُّجًا مِنْ نَارِهِ. قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَمَنْ يَنَاعَنْ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رَعْدُ جَهَنَّمَ وَرُوقُ
قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ:

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رَزَقْتَ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ الْاَلِيبُ وَيَرْزُقُ
فَأَجِبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعٌ أَلْخَطُّ يَنْفَعُ لَا الرَّحِيلُ الْمُلْقَى
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيسُ وَيُحَقِّقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَبِهِ إِذَا حُرِمَ السَّعَادَةُ يُحَقِّقُ

سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مُوسِمُ التَّجَارِ. وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَفْطَارِ. كَثِيرَةُ الْأَرْفَاقِ بِرَحَاءِ الْأَسْعَارِ. لَا يَقْرَفُ فِيهَا مُسْلِمٌ قَرَارَ
مَشْحُونَةٍ بَعْدَ الصُّلْبَانِ تَقْصُ بِقَاطِنِيهَا. وَتَكَادُ تَضِيقُ ذُرْعَا سَاكِنِيهَا.
أَسْوَاقُهَا نَافِثَةٌ حَفِيَّةٌ. وَارْدَاتُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْغَادِ الْعَيْشِ كَفِيلَةٍ. لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .
مُسْتَدِدَّةٌ إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْتَضَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَحْرُ يَمْتَرِضُ
أَمَامَهَا فِي الْجُمُعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاهَا أَعْجَبُ مَرَاسِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمَرَآكِبَ الْكِبَارَ تَذْوُ فِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشَبَةٌ يُنْصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحِمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يَحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِيعِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًّا عَلَى
الْبُعْدِ مِنْهَا يَسِيرًا . فَتَرَاهَا مُصْطَفًى مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
مَرَابِطِهَا وَإِصْطِبَالَاتِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيَقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدٌ تُعْرَفُ بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةُ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمُدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضَّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبُرْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُ بِالثَّلْجِ شِتَاءً وَصَيْفًا
دَائِمًا . وَخِصْبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخِصْبِ وَالرِّفَافَةِ . مُشْحُونَةٌ
بِالْأَرْزَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . مَمْلُوءَةٌ بِأَنْوَاعِ الْفَوَاكِهِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينَ مُثْمَرَةٌ بِالثَّقَاحِ وَالشَّاهِ بَلُوطَ وَالْبُنْدُقِ وَالْإِجَاصِ
وغيرها من الفواكه . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسَامِينِ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُ مِنْ دَوِيِّ الْهَمَنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مَدْنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا . وَالْمُسْلِمُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 يَعْرِفُونَهَا بِبِلَرْمَةِ . وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 وَبِلَرْمَةُ هَذِهِ مَسْكَنُ مُلْكِهِمْ غُلِيَامٌ . وَهِيَ أَحْضَلُ مَدْنٍ صَقْلِيَّةٍ
 وَبَعْدَهَا مَسِينَةُ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ . وَهُوَ
 كَثِيرُ الثَّمَةِ بِالْمُسْلِمِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَسِمُونَ بِخَاصَّتِهِ . وَعَالِمُهُمْ يُلَوِّحُ
 رَوْتَقَ مُلْكِهِ . لِأَنَّهُمْ مُتَسِعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ وَالْمَرَاكِبِ الْفَاهِرَةِ .
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْأَتْبَاعُ . وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْقُصُورُ
 الْمُسَيَّدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنْيَقَةُ وَالْأَسْيَا بِحَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْمَدِينَةُ الْمَذْكُورَةُ .
 وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَبْيَضٌ كَالْحَمَامَةِ مُطَّلٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . وَلَيْسَ فِي
 مُلُوكِ النَّصَارَى أَتَرَفٌ فِي الْمُلْكِ وَلَا أَنْعَمُ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ . وَهُوَ يَتَشَبَّهُ فِي
 تَرْتِيبِ قَوَانِينِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْصِيمِ مَرَاتِبِ رَجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَهْلِيهِ
 الْمُلْكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ . وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطِبَّاءُ
 وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْإِعْتِنَاءِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخَرَصِ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِنْهُ مَتَى
 ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فَقِيرًا اجْتَنَزَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِمْسَاكِهِ وَأَدْرَكَ لَهُ أَرْزَاقَ
 مَعِيشَتِهِ . وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ اَلْتَّخَذَتْ بِهِ أَنَّهُ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ
 وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خِدْمَتِهِ اَلْمُخْتَصِّينَ بِهِ : اَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
 وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ صَنْعَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
 لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَآكِبِهِ . فَكَانَ زُرُونَا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَانِيَا تِسْعَةَ
 أَيَّامٍ . فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِرَمَضَانَ رَكِبْنَا فِي زَوْرَقٍ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةٍ بَلَرْمَةَ . وَبَصَرْنَا قَرِيْبًا مِنْ السَّاحِلِ بِحَيْثُ يُبْصَرُهُ
رَأْيُ الْآمِينَ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخَاءً طَيِّبَةً زَجَّتِ الزَّوْرُقَ
أَهْنَأَ تَرْجِيَةً . وَبَصَرْنَا نَسْرَحَ اللَّحْظِ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
وَمَعَاqِلٍ فِي قُنَنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرَ
قَدِ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ أَثْنَانِ مِنْهَا تَخْرُجُ مِنْهَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهَا وَيَطْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرَاءَ ذَاتِ
الْأَسْنِ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسُ نَارِي بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قَذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
الْهَوَاءِ بِقُوَّةٍ ذَلِكَ النَّفْسُ وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى الْفَقْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْأَسْمُوعَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرَمِ . فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ ثَبَاجِهِ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَلَّلْنَا عَشِيَّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ مَرَسَى مَدِينَةِ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةِ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةٌ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْحَضَبِ وَاسِعَةٌ
الْمَرَاقِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرُهَا . مَرْتَبَةُ الْأَسْوَاقِ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَالِيهَا قِفَّةُ جَبَلٍ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَلْعَةٌ لَمْ
يُرَ أَمْنَعُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِأَسْطُولِ يَفْجَاهُمْ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسَامِينِ . وَكَانَ إِفْلَاعُنَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحِثْنَا مَدِينَةَ ثَرَمَةَ صَحْوَةَ يَوْمِ
 الْخَمِيسِ بِسَيْرٍ رُوَيْدٍ . وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَأَتَقْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزَّوْرَقِ إِلَى زَوْرَقٍ ثَانٍ أَكْثَرِنَاهُ لِكُونَ الْبَحْرَيْنِ
 صَحْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا . وَثَرَمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضَعًا مِنْ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا .
 وَهِيَ حَصِينَةٌ تَرْكَبُ الْبَحْرَ وَتُشْرَفُ عَلَيْهِ . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رِبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ . وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِيعَةٌ . وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجْمَةٌ قَدْ
 أَعْنَتِ أَهْلُهَا عَنْ اتِّخَاذِ حَمَامٍ . وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ . وَالْجَزِيرَةُ بِأَسْرَها مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ . فَأَقْتَنَّا بِهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ الرَّابِعَ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا . وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُّ مِنَ الْبَحْرِ ثُمَّ يَنْحَسِرُ عَنْهُ . وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ . ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرْبِيًّا فَلَمْ نَجِدْ الْإِفْلَاعَ سَبِيلًا .
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمُقْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِلَرْمَةَ خَمْسَةٌ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا . فَخَشِينَا طَوْلَ الْقَامِ وَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ . وَقَدْ تَلَيْثُ الزَّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَمُنَا بِهِ الْعَشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَثِقًا عَلَى ذَلِكَ .
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُتَنَصِّفِ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ الْمَسِيرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا . فَحَمَلْنَا بَعْضُ أَصْبَانِنَا وَحَلَفْنَا بَعْضُ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزَّوْرَقِ . وَسَرَّانَا فِي طَرِيقِ كَانَهَا السُّوقُ عِمَارَةً وَكَثْرَةً
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ . وَطَوَائِفُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيَبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤَسِّسُونَا. قَرَأْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصِدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْعَجَبَ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْسَخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بَنَاءُ الْإِعْيَاءِ فَلَنَا إِلَيْهِ وَبَنَيْنَا فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدُ
الْبِنَاءِ عَلَيْهِ قَدِيمُ الْوُضْعِ مِنْ عَهْدِ مُلْكَةِ الْمُسْلِمِينَ لِلْجَزِيرَةِ. وَيَازَايَاهُ
عَيْنٌ تُعْرِفُ بَعِينَ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِينُ
وَعَلَالِي مُشْرِفَةٌ وَبُيُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَامِلٌ مَرَاقِقِ السُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مَسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
مَقْرُوشَةٌ بِحُصْرٍ تُطِيفُهُ لَمْ يَرَأْ أَحْسَنُ مِنْهَا صُنْعَةً. وَقَدْ عُلِقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قَنْدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَرْ عَذْبَةٌ. فَبَيْنَا فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِمَقَرَّةٍ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ اللَّيْلِ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرٌ عَلَى صِفَتِهِ يَعْرِفُ بِقَصْرِ جَعْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُنَائِسَ مُعَدَّةً
لِرَضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَةً وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَعَجَبْنَا مِنْ أَعْتَابِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَنِعْنَا
وَحَمَلْنَا إِلَى الْأَبَابِ الْمُتَّصِلِ بِبُصُورِ الْمَلِكِ الْإِفْرَنْجِيِّ غُلَامٌ وَادِّينَا إِلَى
الْمُسْتَحْفِ لَيْسَا لَنَا عَنْ مَقْصِدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسَرْنَا فِي
مَكِّ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكَةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمُيَادِينَ الْمُنتَظِمَةَ وَالْبَسَاتِينَ وَالْمَرَاتِبَ الْمُتَخَذَةَ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَارَاعَ
أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرَنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ مُجْلِسًا فِي سَاحَةِ
فَسِيحَةٍ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَانْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بَلَّاطَاتٌ. وَاجْتَلَسُ قَدْ
أَخَذَ اسْتِطَالَه تِلْكَ السَّاحَةُ كُلُّهَا. فَجِئْنَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَظَرِهِ.
فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
الْمُسْتَحْلَفُ تِهَادِي بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يَحْفَظَانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
شَيْخًا طَوِيلَ السَّلْبَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمَنَاهُ. فَأَظْهَرَ الْإِسْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَنْصَرِفِنَا
بَعْدَ أَنْ أَحْفَى فِي السَّلَامِ وَالِدُعَاءِ فَجِئْنَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
لَنَا عَنْ خَبَرِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نَعْلَمُهُ
بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَزَلْنَا فِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
وَالْعِشْرِينَ لِدَجَنَبَرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بَلَّاطًا
مُتَّصِلًا مَشِينًا فِيهِ مَسَافَةٌ طَوِيلَةٌ وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أُتَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَمْشَى الْمَلِكِ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
(ذِكْرُ بِلَرْمَةِ) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُّ الْحَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ. فَمَا شِئْتُ بِهَا مِنْ جَمَالٍ خَبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَانِعٍ
أَخْضَرَ. عَتِيقَةٍ أُنِيقَةٍ. مُشْرِقَةٍ مُؤْنِقَةٍ. تَتَطَلَّعُ بِمَرَايَ فِتَانٍ. وَتُخَايِلُ
بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطٍ كُلُّهَا بُسْتَانٌ. فَسِيحَةُ السِّكِّكِ وَالشَّوَارِعِ. تَرُوقُ

الْأَبْصَارُ بِحُسْنِ مَنَظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِبَةُ الشَّانِ . قُرْطِيَّةُ الْبَلْبَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا تَمْخُوتُ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَدَّانِ . يَشْقَاهَا نَهْرٌ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنَابَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَحَرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِ دُنْيَاهُ فَاتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْإِفْرَنْجِيِّ . تَنْتَظِمُ بِأَسَاسِهَا قُصُورُهُ اتِّتِظَامَ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوَاعِبِ . وَيَتَقَلَّبُ مِنْ بَسَاتِينِهَا وَمِيَادِينِهَا بَيْنَ زُرْهَةٍ وَمَلَايِبَ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاطِرَ وَمَطَالِغَ . وَكَمْ لَهُ بِجِهَاتِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ
 قَدْ زَحَرَفَ بُدْيَانُهَا . وَرُفَّةً بِالْإِقْطَاعَاتِ الْوَاسِعَةِ رُهْبَانُهَا . وَكَنَائِسَ
 قَدْ صَيَّغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صُلْبَانُهَا . وَلِلْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرِبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَعْمُورَةٍ
 بِهِمْ وَهُمْ التُّجَّارُ فِيهَا وَيَصْلُونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَّاسِيِّينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاضٍ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَةٌ
 بِقُرْطَبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطَبَةٍ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانَتْهَا
 الْقُصُورُ الْمُسَيَّدَةُ . لَهَا مَنَاطِرُ فِي الْجَوِّ مُظْلَمَةٌ تَحَارُّ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بِلَرْمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبَ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ احْتَقَلُوا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُيَانِهَا مَا رَأَى
 يَحْزَنُ الْوَصْفُ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْحَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنَ الْأَوَاحِ الرِّخَامِ الْمَلُونِ مَا لَمْ يَر

مِثْلُهُ قَطَّ قَدْ رُصِّعَتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
 الْخَضِرِ وَنُظِمَ أَعْلَاهَا بِالشَّمْسِيَّاتِ الْمَذَهَّبَاتِ مِنَ الزُّجَاجِ . فَتَحْتَاطُ الْأَبْصَارُ
 بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ فِتْنَةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
 تَنَسَّبَ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّهِ هَذَا الْمَلِكُ .
 وَلِهَذَا الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا قَتَعَرُفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِي وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُلْيَانِ . وَزِي النُّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِي
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسِنِ مُتَحَفَاتٌ مُتَنَبِّاتٌ . خَرَجَ فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَسَنَ ثِيَابُ الْحَرِيرِ الْمَذَهَّبِ وَالتَّخَنُّنُ الْخَفُّ الرَّائِقَةُ
 وَالتَّهْنِئَةُ بِالنَّشْبِ الْمَلُوءَةِ . وَانْتَعَلْنَ الْأَخْفَافَ الْمَذَهَّبَةَ . وَبَرَزْنَ
 لِكُنَائِسِهِنَّ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِ وَالْخَضْبِ
 وَالتَّعْطُرِ . وَكَانَ مُقَامُنَا بِهَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزُلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِقِهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُسْلِمُونَ . . . وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارِكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ شَهْرِ دَجْنَبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُشَ بِسَبَبِ مَرَكَبَتِهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِي إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْصَرْنَا
 مَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ نَرِ مِثْلَ تَرْتِيهَا طَيْبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهْنَاهَا بِقَبَائِلَةِ
 قُرْطَبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْنُ . وَبِتْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلْقَمَةِ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسَكَانُ هَذِهِ الصَّيَاحِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلِّهَا مُسْلِمُونَ. وَفُتْنَا مِنْهَا سَحَرُ
 يَوْمِ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَقَرَّةٍ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
 بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حَمَامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
 غَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُحْتَمِلُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْرْنَا مِنْهَا وَاحِدَةً عَلَى
 الطَّرِيقِ. فَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحْنَا الْأَبْدَانِ بِالِاسْتِحْمامِ فِيهَا.
 وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابُشَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارِ أَكْثَرِ يَتَاهَا
 (مَدِينَةُ أَطْرَابُشَ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
 الْمِسَاحَةِ. مُسَوَّرَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الرُّاسِي
 وَأَوْفَقِهَا لِلْمَرَآكِبِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّ
 الْمُقْلَعُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُوءِ. فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تُونِسَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ.
 فَالْسَّعُورُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثَمَا تَهَبُّ الرِّيحُ
 الْمُوَافِقَةُ. فَجَرَّاهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْحَاجِزِ الْقَرِيبِ. وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
 وَالْحَمَّامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدِينِ. لَكِنَّهَا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
 لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَاتِّصَالِ الْبَرِّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
 ضَمِيمَةٍ. وَالْبَحْرُ غَيْرُ فَاهٍ لَهَا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بَدْلَهُ
 مِنَ الْإِسْتِيلَةِ عَلَيْهَا وَإِنْ تَرَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَاءِ
 السَّفَرِ بِهَا لِأَنَّهَُا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
 وَلِكِلَا الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبَرَكْنَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
 مَا نَالًا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرَطُ السُّيُومِ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قُوَّةٌ تَقَطُّعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَقِيلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ قَنْطَرَةٌ
 وَيَتَّصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَبِهَذَا الْجَبَلِ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
 وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ عَيْنٍ مُتَجَرَّةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
 وَالصُّعُودُ إِلَيْهِ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ فَتْحُ
 هَذِهِ الْجَزِيرَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتَرَكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
 فِيهِ ذَلِكَ الْمَقِيلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِجَادَةِ حَصْنِ حَرِيمِهِمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
 الْقَنْطَرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
 وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَجَرَّةِ
 مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بئرٍ
 عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرَشِيَّةُ مَاوُهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
 لَا يُسَاعُ . وَأَقْلَيْنَا الْمُرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِقْلَاعَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
 وَنَحْنُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤْمِلُ زَكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَفِيلٌ بِمَنْعِهِ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
 أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرْسَخَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صَغَارٌ
 مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلِيطَةٍ وَالْأُخْرَى بِبَابِيسَةٍ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
 بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءٍ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
 مَكْمَنٌ لِلْعُدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَارَةَ فِيهِمَا وَلَا يَعْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
 الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاوْنَا فِي الْمُرْكَبِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
 وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَابَن جَبِير)

الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات

في شرح حجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِي: الْعَجَبُ حَيْرَةٌ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ لِعَدَمِ مَعْرِفَةِ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَحَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحَدَثَ هَذِهِ الْمُسَدَّاتِ الْمُسَاوِيَةَ الْأَضْلَاعَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَازِقُ مَعَ الْفَرْجَارِ وَالْمُسْطَرَةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الشَّمْعُ الَّذِي اتَّخَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُسَاوِيَةَ الَّتِي لَا يُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أُفْرِغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشَّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ الْغِذَاءَ . وَكَيْفَ أَهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغِشَاءٍ رَقِيقٍ لِيَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يُلْشِقُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يَصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبَقَّى كَأَلْبُرْتِيَّةِ الْمُضْمَمَةِ الرَّأْسِ بِالْكَاعِدِ . فَهَذَا مَعْنَى الْعَجَبِ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الْمِثَالَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ تَفْقِدِ التَّجَرُّبَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَقْلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَعْرِقُ الْهَمِّ فِي قِضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنِسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَنَحْسُوسَاتِهِ فَسَقَطَ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ نَبَاتًا نَادِرًا أَوْ فَعْلًا خَارِقًا لِلْعَادَاتِ انْطَلَقَ لِسَانُهُ
بِالتَّسْبِيحِ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَخَيَّرُ فِيهَا
عُمُورُ الْعُقَلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بَعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَعَتِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنِ التَّغْيِيرِ وَالْفَسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْهَوَاءَ وَالْجِبَارَ بِالْإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَخَلْقَةِ مُلَقَّةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلِفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْنَا رَحْوَةً . وَبَعْضُهَا
حَمَلِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا دُولَابِيَّةٌ . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَتِهَا مِنْ غَيْرِ فُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَشَمْسِهَا وَقَمَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَسَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثَرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَظُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَالَتِهَا عَنْ وَسْطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ اكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى أَمْتَلَانِهِ وَانْحَاقِهِ . ثُمَّ إِلَى كُسُوفِ الشَّمْسِ
وَكُسُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الْمَجَرَّةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرْجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنَّسْبَةِ الْبَيْنَارَحَوِيَّةِ . وَعَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَفْقَاضِ الشَّهْبِ
وَالْغُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالْتَلَوُجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِّ . وَلِيَتَأَمَّلَ السَّحَابَ الثَّقِيلَ الْكَثِيفَ الْمُظَامَ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءَ . وَلِيَسْخِرَ الرِّيَّاحَ فَإِنَّهَا
تَتَلَاعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَتَرِشُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضَ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً لَا تُدْرِكُ قَطْرَةً مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَفْقٍ . فَلَوْ صَبَّ صَبًّا لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدَشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مَقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنِ الْحَاجَةِ فَيَعْقِنُ
النَّبَاتُ . وَلَا نَاقِصًا فَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ السُّحْبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُلْقِحُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُرِيي الزَّرْعَ وَالشَّجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُجَفِّفُهَا
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهَا وَقُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمِهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَعْلِ ظَهْرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَتَرَاهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أُثْرِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَنْجَاسَ الْمَعَادِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
 ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوَّادِهَا لِيُنْمِيَ مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
 ثُمَّ إِلَى إِيدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَالِهَا كَالْخِرَافَاتِ لِتَخْرُجَ مِنْهَا قَلِيلًا قَلِيلًا فَتَسْقِي
 مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
 زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْقَابِلَةِ . وَيَنْصَبُ فَاضِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِمًا
 ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانُ مِنَ الْبَحْرِ الْأَعْظَمِ
 الْمُحِيطِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
 بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَجَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرٍ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
 مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
 إِلَى خَلْقِ اللَّوْلُؤِ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِبْنَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
 الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ يَنْبُتُ مِنَ الْحَجَرِ . ثُمَّ إِلَى
 مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُيُونِ وَأَصْنَافِ النَّفَالِسِ الَّتِي يَقْدِفُهَا الْبَحْرُ وَتُسْتَخْرَجُ
 مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَسُرْعَةَ حَرِيحِهَا بِالرِّيَّاحِ
 وَإِلَى اتِّخَاذِ آلَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ النَّوَائِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَلِكِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
 وَجَنَابُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعُ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعَادِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فِيهَا مَا يَنْطَبِعُ
 كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَدِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
 كَالْقَيْرِ وَزَجِّ وَالْبَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفَةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَنْقِيطِهَا
 وَاتِّخَاذِ الْحُلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّفْطِ

وَالْكَبِيرَةِ وَالْقِصْرِ وَغَيْرَهَا وَأَجْلَهَا أَلْحُ فَلَوْ خَلَتْ مِنْهُ بِلْدَةٌ لَتَسَارَعَ
 الْفَسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْفَوَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَامِجِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ.
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحِي تَحْتِ مَطْوِقَةٍ بِعَنْقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ. ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبُؤَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَائِهَا
 فَإِنَّهَا إِذَا نَزَلَ الْقَطَرُ عَلَيْهَا أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ.
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا. فَا مَ تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعٌ يَقِفُ
 فِيهِمُ الْبَشَرُ دُونَ إِدْرَاكِهَا. ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْقِسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُحُ وَيَمْشِي. وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ. بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ النَّمْلِ أَوْ الْعَنْكَبُوتِ أَوْ النَّحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانِ لِيَرَى مَا يَتَحَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بِنَائِهَا الْبَيْتَ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءَ
 وَادِّخَارِهَا لَوَقْتِ الشِّتَاءِ وَحَذَقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَصْبِهَا الشَّبَكَةَ لِلصَّيْدِ.
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى. وَإِنَّمَا سَقَطَ اللَّعْجَبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِكَثْرَةِ الْمَشَاهِدَةِ

في جرم الشمس ووضعيها

٣٤١ وَأَمَّا الشَّمْسُ فَأَعْظَمُ الْكَوَاكِبِ جَرَمًا وَأَشَدُّهَا ضَوْءًا. وَمَكَانُهَا

الطَّيْبِي الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَحِمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَأَقَمَرُ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيُّ
الْعَهْدِ. وَعُطَارِدُ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرِيخُ كَصَاحِبِ الشُّرْطَةِ. وَالْمُشْتَرِيُّ
كَالْقَاضِي. وَزُحَلُ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ. وَالزُّهْرَةُ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي.
وَالْأَفْلَاقُ كَالْأَقَالِيمِ. وَالْبُرُوجُ كَالْبُلْدَانِ. وَالْدَّرَجَاتُ كَالْعَسَاكِرِ.
وَالدَّقَائِقُ كَالْحَالَ. وَالتَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جِدُّ

وَمِنْ عَجَائِبِ أَطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَمْلُ الشَّمْسِ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ اتَّبَعَ الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ الْعَالَمِ بِحَرَكَتِهَا عَلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِيِّ. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الثَّوَابِتِ لَفَسَدَتِ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا أُتَحَدَّتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ. وَلَظَفَ آخَرُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَافِقَةٍ
وَإِلَّا لَأَشْتَدَّتِ السُّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهُمَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَغْشَى
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شُعَاعِهَا. وَتَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةٍ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لَتَعَمَّ فَإِنَّتَهَا أَمَّا إِلَى الْجِهَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أمّا المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف الفلك ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء أن الأفلاك تدور حول الشمس
وأبطل ما اعتقده القدماء من أن الشمس تدور من حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةَ فَتَمِيلُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَلْبِ الْقَرْبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَمِيلُ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّاحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
جَرَمَ الْقَمَرِ كَمَدٍّ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسَ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نُقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يَرُوحُ تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكَثٌ لِأَنَّ قَاعِدَةَ مَخْرُوطِ الشَّمْعِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَتَبْتَدِئُ الشَّمْسُ بِالْإِجْلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا تُكْسَفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصَلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْعُلُويَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ فَعَجِيبَةٌ . أَمَّا فِي
الْعُلُويَّاتِ فَأَخْفَاؤُهَا جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شُعَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِلْقَمَرِ
النُّورَ . وَأَمَّا فِي السُّفْلِيَّاتِ فَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْبَحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ أَمْجَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبَحَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْقَعَدَ سَحَابًا . ثُمَّ تَذَهَبُ بِهِ الرِّيحُ إِلَى
الْأَمَاكِينِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبَحَارِ فَيُنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُجِيئُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ

مَوْتِهَا . وَتَظْهَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَالْعَيُونُ قِصِيرُ سَبَابِ لِبَاءِ الْحَيَوَانِ وَخُرُوجُ
 النَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ النَّبَاتِ فَإِنَّ الزَّرْعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتِ لَا تَنْبُتُ
 بِنُورٍ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ . وَلِذَلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ
 النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٍ مِنَ الزَّرْعِ
 لِأَنَّهَا تَنْعِقُ شُعَاعَ الشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ الشَّمْسِ
 بِحَسَبِ الْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي التِّلْوَفِ وَالْأَذْرِيُونِ وَوَرَقِ الْخُرُوعِ فَإِنَّهَا
 تَنْمُو وَتَرْدَادُ عِنْدَ اخْتِذَاقِ الشَّمْسِ فِي الِارْتِفَاعِ وَالصُّعُودِ . فَإِذَا زَالَتْ
 الشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي الذُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ ضَعُفَتْ وَذَبَلَتْ
 ثُمَّ عَادَتْ الْيَوْمَ الثَّانِي إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا
 نَرَى الْحَيَوَانَاتِ إِذَا طَلَعَ نُورُ الصُّبْحِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهَا قُوَّةً
 فَتَظْهَرُ فِيهَا فِرَاحَةٌ وَانْتِمَاشٌ قُوَّةً . وَكَلَّمَا كَانَ طُلُوعُ نُورِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ
 كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ الْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهَا أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسَطِ
 سَمَائِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسَطِ سَمَائِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتِهِمْ وَقَوَاهِمُ فِي
 الضُّعْفِ وَلَا تَزَالُ تَرْدَادُ ضَعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ
 رَجَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتِهَا كَأَلْمُوتِي فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا
 الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادُوا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ الْفَلَكَ الْأَسْفَلُ وَهُوَ
 جِزْمٌ كَثِيفٌ مُظْلِمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يُرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنَّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا قَارَنَتِ الشَّمْسُ كَانَ
النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنِ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَالَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَالَالُ . ثُمَّ يَتَزَايِدُ الْإِنْخِرَافُ وَيَزْدَادُ
يَتَزَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهُ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهُ لَنَا . فَبَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَقْصُصُ الضِّيَاءَ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَارَنَةِ الشَّمْسِ يَتَحَقُّ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نَقْطَتِي الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِقْبَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَسْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِي فَيُرَى مُخْتَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا عَتَبَارُ أَهْلِ التَّجَارِبِ . مِنْهَا أَمْرُ الْبَحَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ الْبَحْرِ أَخَذَ مَوْدُهُ فِي الْمَدِّ مُقْبِلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَتَتْهُ الْمَدُّ مُنْتَهَاهُ فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَغْرِبَهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُنْتَهَاهُ . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ وَقْتَ اتِّدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لِلْمَاءِ حَرَكَةً مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَيَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهْيِجٌ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْخُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاوِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعُلُوًّا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِّ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

في الحجرة والكواكب الثوابت

٣٤٤ وَهِيَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَا هَذَا لَمْ يَسْمَعْ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلٌ شَافٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ لَسَمَّيَهَا أَمْ النُّجُومُ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنْ الْحَجَرَةِ فَطَمَسَ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَصَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تَرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ. . .

وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِتُ فَإِنَّ عَدَدَهَا مِمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنْ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَاثْنَيْ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا .
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ تِسْعِمِائَةٍ وَسَبْعَةِ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَوْكَبِيهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْخُسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

السَّمَاوِيَّ مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّورِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَّ الْخَلْقَةِ مِثْلَ الْفَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانٍ آخَرَ كَالرَّامِيِّ . . . وَإِنَّمَا
أَلْقَوْا هَذِهِ الصُّورَ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعْرَفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنْ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوِ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّلَعِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جُمْلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُغَايِرًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وُرُودُ الْفُصُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدرِجِ .
فَلَوْ أَنَّ قِلَّ مِنَ الصَّيْفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَغْيِيرٍ عَظِيمٍ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَغْيِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُقْتَضَاهُ فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّغْيِيرِ فِي الْفُصُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُحُلِ الشَّمْسِ أَوَّلِ بَرْجِ الحَمَلِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَسْوَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْأَقَالِيمِ وَأَعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
وَنَبَتَ الْعَيْونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَأَلَا الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَتَحَ النَّوْرُ .
وَأَخْضَرَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَجَتْ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرْعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
الْبِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ سَابِغَةٌ تَجَلَّتْ وَرَبَّيَتْ
لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ ذَابَهَا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
أَخِرَ الْجُوزَاءِ . فَيَحْتَسِدُ انْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ
وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُحُلِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَّطَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
الْحَرُّ وَتَخَنَ الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَدْرَكَتِ الشَّمَارُ
وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسَمَتْ الْبَهَائِمُ .
وَاشْتَدَّتْ هَوَّةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السَّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَسَّتِ
الْعُشْبُ وَأَدْرَكَتِ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاسْتَسَمَّ لِلنَّاسِ الْقَوْتُ
وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلْفُ . وَتَكَامَلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتْ

الدُّنْيَا كَأَنَّمَا عَرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِأَلِغَةِ كَامِلَةٍ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوِّقٍ . فَلَا يَزَالُ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَنِدُ أَقْبَلَ الْخَرِيفِ
وَأَمَّا الْخَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ اللَّيْلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَمَا ذَكَرْنَا أَنَّ
الرَّبِيعَ زَمَنُ نُشُوءِ الْأَشْجَارِ وَبَدَأَ النَّبَاتِ وَظُهُورِ الْأَزْهَارِ فَالْخَرِيفُ
زَمَانُ ذُبُولِ النَّبَاتِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَنِدُ بَرْدَ الْمَاءِ
وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَتَقْصُصِ الْمِيَاهِ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
الْعُيُونُ . وَبَيَسَتْ أَنْوَاعُ النَّبَاتِ وَفَنِيَتْ الثَّمَارُ . وَأَحْزَنَ النَّاسُ الْحَبَّ
وَالثَّمَرُ وَعَرِيَ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ دَيْبِهَا . وَمَاتَتِ الْهُوَامُ وَابْتَحَرَتِ
الْحُمُرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِقَةَ
وَأَحْزَنَ النَّاسُ قُوتَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
الثِّيَابِ . وَتَغْيِيرِ الْهُوَاءِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّمَا كَهْلَةٌ قَدْ وَلَّتْ أَيَّامُ شَبْلِهَا
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْخَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُدِيِّ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
طُولُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ .
وَحَشِنَ الْهُوَاءُ وَتَغَرَّى الْأَشْجَارُ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَقَاتِ
أَكْثَرُ النَّبَاتِ . وَابْتَحَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُفُوفِ
الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثُرَ الْإِنْدَاءُ . وَكَشَتْ الْعُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
وَكَلَحَ وَجْهُ الزَّمَانِ . وَهَزَلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعِفَتْ قُوَى الْإِبْدَانِ . وَمَنْعَ

أَلْبَرَدُ النَّاسَ عَنِ التَّصَرُّفِ وَمَرَعَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّيْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 الذُّبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهُوَامِ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَيْدِ وَالْتَعَبِ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَنْلُ دِمَاعَهُ صَائِقًا لَمْ تَنْفُلْ
 قَدْرُهُ شَاتِيًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَتْ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ انْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالشَّلُوجُ عَلَى الْجِبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الشَّلُوجُ وَتَفِيضُ إِلَى الْأَهْوِيَةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْرُونَةً فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
 مَتَافِذُ ضَيْقَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي تِلْكَ الْمَتَافِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَتَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارُ . فَإِنْ
 كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جَرِيَانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ مِيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتِهَا لَوْصُولِ مَدَدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتْ الْخِزَانَاتُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدَدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدَدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَا حَتَّىهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقَرْيَ وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرْقُ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُحَارًا
وَيَتَرَاكُمُ مِنْهُ الْغَيْومُ وَتَسُوقُهُ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَمِطُّ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَيَرْجِعُ فَاضِلُهُ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبُهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودولها وهيئتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَأْسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَأْسَةً لِأَجْلِ الْفَلْظِ وَالْتِمَاسِكِ إِذْ لَوْلَاهُمَا لَمَا أُمِكنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمُقَدَّارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَقَفَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَرَى مِنَ السَّمَاءِ نِصْفَهَا وَإِذَا
انْتَقَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارٌ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْأَكْبَرَ الْأَعْظَمَ أَحَاطَ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِيٌ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيْضَةٍ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يُخْرَجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبًا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلَسَاءً
وَلَا مُصَمَّتَةً بَلْ كَثِيرَةٌ الْأَرْتِفَاعِ وَالْإِنْخِفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَّلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلُحَانٌ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ مِيَاهًا وَبُخَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ ذُهْنِيَّةٌ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شَيْءٌ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافٍ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمَزَاجِهَا وَأَلْوَانِهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلُهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَانِعُهَا
وَمُدِيرُهَا . مَا يَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ التَّرْسِ وَلَوْلَا
ذَلِكَ لَمَا ثَبَتَ عَلَيْهَا بَنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتِمَّدُ عَلَيْهِ
جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِتْنَةِ عَوْرُسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْإِسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكَوَاكِبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكَوَاكِبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَلَتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءً
لَطِيفَةً مَائِيَّةً تُسَمَّى بُخَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءً لَطِيفَةً أَرْضِيَّةً تُسَمَّى دُخَانًا .
فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَوَاءِ وَتَدَافَعَهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَيَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَائِخَةٌ مَانِعَةٌ وَمِنْ فَوْقِهَا بَرْدٌ زَمِيرٌ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُخَارِ مُتَصِلَةٌ فَلَا يَزَالُ الْبُخَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتُرَانِ وَيَنْظُرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَنْجَنَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَكَمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْصَحَّتْ أَجْزَاءُ الْبُخَارِ

ثُمَّ تَلْتَمِ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ فَتَصِيرُ قَطْرًا . فَتَقْلُتُ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى أَسْفَلُ . فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءُ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَاجْتَمَعَهُ أَوَّلًا فَصَارَ سَحَابًا رَاقِقًا .
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجْمَدَ الْبَخَارِ فِي الْغَيْمِ وَكَانَ ذَلِكَ تِلْكَ لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ وَتَخْلُطُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرَّفَقِ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقْعٌ شَدِيدٌ كَمَا لِلْمَطَرِ وَالْبَرْدِ . وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَافِئًا ارْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي الْغُيُومِ وَتَرَاكُمُ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفٍ . فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدُ الزَّمَرِيرِ مِنْ فَوْقِ غَلِظَ الْبَخَارُ وَصَارَ مَاءً
وَأَضْمَتْ أَجْرَاوَهَا فَصَارَ قَطْرًا . وَعَرَضَ لَهَا الثَّقَلُ فَأَخَذَتْ تَهْوِي مِنْ
سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَلْتَمِ تِلْكَ الْقَطَرَاتُ الصِّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا صَارَتْ قَطْرًا كَثِيرًا . فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرَفِهَا جَمَدَتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ . وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَنْجُرَةَ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يَنْجَمِدْ نَزَلَ طَلًا وَإِنْ انْجَمَدَ نَزَلَ صَفِيمًا
فِي الرَّدِّ وَالْبَرَقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعُمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَلَّتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْخُمُوعُ دُخَانًا ثُمَّ الدُّخَانُ
يُمَارِجُهُ الْبَخَارُ وَيَرْتَفِعَان مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ . فَيَنْعَقِدُ

الْبُخَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصِدَ الصُّعُودَ
 وَإِنْ صَارَ بَارِدًا قَصِدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يُمِزُّ السَّحَابَ تَمِيزًا عَنِفًا
 فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرُّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لَشِدَّةِ الْحَاكَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
 إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِقَةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتُحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
 فَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الذَّهَبَ
 فِي الْخَزِينَةِ وَلَا تَضُرُّ الْخُرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْقُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
 الْمَاءِ فَيُحْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يُحْدِثَانِ مَعًا
 لَكِنْ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرُّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
 لِجَدَاةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وُصُولِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
 وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَوُجِّهِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابُ النَّظَرِ أَسْرَعُ مِنْ وُصُولِ
 الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ فَإِنَّ النَّظَرَ
 يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .
 وَالرُّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقِلَّةِ الْبُخَارِ الدُّخَانِيِّ . وَلِهَذَا لَا
 يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ نُزُولِ الشَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يُطْفِئُ الْبُخَارَ
 الدُّخَانِيَّ . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِتَكَثُّفِ أَجْزَاءِ الْغَمَامِ .
 فَلِئِذَا تَكَثَّفَتْ انْحَصَرَ الْمَاءُ فَإِذَا زَلَّ زَلَّ بِشِدَّةٍ كَمَا إِذَا احْتَبَسَ الْمَاءُ
 ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يُجْرِي جَرِيًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَابِ الْمَخْلُوقَاتِ لِلْقُرُونِيِّ)

(*) قد اتضح الآن للطبيعيين المحدثين ان البروق والرعود مسببة عن الكهرباء وقد

اتوا على شرح ذلك في كتبهم

الباب التاسع عشر في المراسلات

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتاب الحنفى الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢م)
٣٥٠ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ تَرَلْنَا بَغْدَادَ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ فَدَعَوْنَا مَا لِكُمَا إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنِّي فَحَقُّ الْقَوْلِ عَلَيْهِ فَأَخَذْنَا دَاوَيْدَ أَوْ يَلَاءَ وَقَدْ دَعَوْنَاكَ إِلَى طَاعَتِنَا فَإِنِّي أَتَيْتُ فَرُوحَ وَرَجِيحَانَ وَجَنَّةَ نَعِيمٍ وَإِنِّي أَبَيْتُ فَلَا سُلْطَانَ مِنْكَ عَلَيْكَ. فَلَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظُلْفِهِ. وَالْجَادِعِ مَارِنَ أَنْفِهِ بِكَفِّهِ. وَالسَّلَامُ ذَكَرَ مِرَاسَلَةَ تَيُورِ سُلْطَانِ عِرَاقِ الْجَمِّ ابَا النُّوَاسِ شَاهِ شِجَاعِ

٣٥١ إِنْ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَقَدْ رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ فَإِنِّي أَجَبْتُ وَأَطَعْتُ فِيهَا وَنِعْمَتْ. وَإِلَّا فَأَعْلَمُ أَنَّ قُدَّامَ قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْخُرَابُ وَالْقَهْطُ وَالْوَبَاءُ. وَإِنَّمِ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتاب الحسن بن زكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْصُورِ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْقَانِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ. فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَنْهَيْتُ إِلَيْنَا مَا حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفَرَةِ وَمَا فَعَلُوهُ بِنَاحِيَتِكَ مِنْ

الظلم والعبث والفساد في الأرض . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُفْعِدَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُوشِنَا مَنْ يَلْتَقِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . فَأَنْفَعْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِمْصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي الْمَصِيرِ إِلَى نَاجِيَتِكَ لَطْلُبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجْزِيَنَا اللَّهُ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ
عَوَانِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْثَالِهِمْ . فَيَلْبِغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقُلُوبُ مَنْ
اتَّبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقَاءِ اللَّهِ وَبَنَصْرِهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعَوِّدُنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَانْحَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتُبَادِرَ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاحِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تُخْفِ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حاب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدرَ هذا المَكْتُوبُ الْعَلِيُّ الْأَمَامِيُّ عَنِ الْأَمْرِ الْعَلَوِيِّ الَّذِي
دَانَتْ إِطَاعَتُهُ الْكَرِيمَةَ مَمْلَكَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَانْقَادَتْ لِدَعْوَتِهِ الشَّرِيفَةِ
الْأَقْطَارُ الْمَغْرِبِيَّةُ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الْعَلِيَّةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْقَاصِيَّةِ وَالْدَانِيَّةِ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ
وَالْمَلِكِ الْمَسِيحِيَّةِ الرَّتَبَةُ الْعَالِيَّةُ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانُ
فَرَانْصَةِ لُوِيْزَانِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْمُنَارُ
أَمَّا بَعْدَ مُحَمَّدٍ اللَّهُ مُوَلَّى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقُّهُ فَكَتَبْنَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مَرَاكُشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِي الشَّرِيفَةُ مِنْ عَوَانِدِ

النَّصْرَ وَالْإِقْبَالَ. وَصَنَاعَ اللَّهِ الْجَمِيلَةَ الْمُفَعَّمَةَ السَّجَالِ. الْمُنْتَالَةَ فِي الْبُكْرِ
وَالْأَصَالِ. لِلَّهِ الْمُنَّةُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْمُحْظُوظُ الرَّزِيلِيُّ عَلَى مَرَسِي تَعْرِيفِي الْمَرْحُوسَ بِاللَّهِ
وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَصْحُوبَ مَعَهُ لِحُدَامِنَا الَّذِينَ بِالتَّغْرِ بَادِرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
فِي الْقَوْرِ. فَوْفَقْنَا مِنْهُ عَلَى جَمْعٍ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَبَّةِ وَتَأْنِيسِ
الْهَدَنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَحْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْفَرَانِصِيِّينَ
الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَقَامِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَمَّ الْأَخْذِ
وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أَسْتَوْفِي ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِه وَأَجْمَلِهِ. وَأَجْنَاكُمْ
عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ وَبِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُحْبَةَ خَدِيمِنَا
الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيهِ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجُنَاتِيِّ. فَقَصْدُ أَنْ
يَلْتَقِيَ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأَنَّى لَهُ الْاجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ. يَبْعَثُ خَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ مِنْ هُوَ مِثْلُهُ وَبِمِثَابَتِهِ
فِي أَعْرَاضِكُمْ لِيُسَلِّمَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَعْرَاضِ
الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ تَعْرِيفَ أَصْفَ فَقَدْ خَدِيمِكُمْ مِنْ
الْمَرَسِي فَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ: قَدْ أَقْلَعُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَصَ بَعْضُ
الْحُدَّامِ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمٍ
وَيَمِينٍ أَنَّ خَدِيمِنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَلَقَى قَبْلَ
وُصُولِهِ. وَالْخَدِيمُ الَّذِي يَكُونُ بِصَدَدِ أَعْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْرِهُ شَيْءٌ
عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَتَّبِعِي لَهُ إِلَّا نَزْعَاجُ قَبْلِ اسْتِيفَائِهَا. فَعَرَفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لِتُوقُوا أَنَّنَا لَمْ نُقْصِرْ فِي أَغْرَاضِكُمُ الْمُتَلَقَّةِ لَدَيْنَا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
الْكِتَابُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَبِيعِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسا

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَّاكِشٍ وَفَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
حَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ . وَأَعَزَّ أَمْرَهُ . وَأَدَامَ سُمُوهُ وَفَخْرَهُ . وَأَشْرَقَ فِي فَلَكَ
السَّعَادَةِ شَمْسُهُ وَبَدَّرَهُ . إِلَى عَظِيمِ جَنْسِ الْأَفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلِّي
أَمْرِهِمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهَدْيَ
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَارِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامٍ أَرْبَعَةٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُتَمَسِّحِينَ الْإِخْبَارَ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُوْنُصُوكُمْ بَرْطُلَمِي
دِبُطْنِيرَ . وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِمَّنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ . وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رِعْيَتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ . وَفَرَحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقٍ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَخْلُفُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ . وَمَا زَالَتْ تَسْعَدُ بِكَ
رِعْيَتُكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَاكَ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ . ثُمَّ فَأَعْلَمُ أَنَّ سَفْنًا مِنْ سَفْنِ الْأَفْرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى أَيْالَتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّخْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ . وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَّامِنَا لِلصَّخْرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ رَعِيًّا لِلْمَهَادَنَةِ
وَالصُّلْحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصْلُكَ سِتَّةً مِنْ الْخَيْلِ مِنْ عِتَاقِ خَيْلِنَا
صَبْلَةً مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِّمِنَا الْمَذْكُورُ لَا تُبْطِئُوهُ عِنْدَكُمْ وَوَجِّهُوهُ إِلَيْنَا عَزْمًا
بَعْدَ قَضَاءِ الْفَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمَهَادَنَةِ وَالصُّلْحِ .
أَنْتَهَى . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزُّيُوتِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِّلْمَسِيحِ

في الاشواق وحسن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبَّ إِلَيْكَ سَامِي الطَّرْفِ تَحْوِكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقُ بِلْسَانِي .
وَأَتَمَّكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنِي . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ يَجْمَعُ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مُحْمَدٍ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

وَلِقَلْبٍ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ

كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مَادِيَةِ

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا تُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُعَلِّمُا فِيهِ مُشْرِقَةً بِمَاءِهَا . حَالِيَةُ بُنَوَارِهَا . فَرَأَيْتَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ اسْتِمْتَاعٍ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكُتِبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صَفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجَبَ
اِتِّجَاعُهَا وَحَثُ الْمَطِيِّ فِي اِبْتِغَائِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
وَتَجْمَعُ إِلَى أَيْنِقِ مَنْظَرِهِ حُسْنَ وَجْهِكَ وَطِيبَ شِمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: أَلْمُودَّةُ تَجْمَعُنَا
عَحْبَتَهَا. وَالصَّنَاعَةُ تُؤَلِّفُنَا أَسْبَابَهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ رَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مُوَضَّوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كَلَامُ اسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يَوْسُفَ

٣٥٨ أَلَشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيْمَانِنَا الَّتِي حَسَنْتَ كَانَهَا أَعْيَادُ.
وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكْثِرُ دَوَائِعِيهِ
تَصَابُيُ الدَّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعْمَةُ الْمُجَدِّدَةُ فِيكَ بِالنَّظَرِ
إِلَى الْغُرَّةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)
٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخٍ لَهُ): أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِنْ عَالِي
الظَّمَا بِفِرْقَتِكَ أَسْتَوْجِبُ الرَّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤْنِسُنِي إِلَى حِينِ
لِقَائِكَ فَعَلْتُ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَكَ وَعَدًا يَمْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفِرْقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَنَا طَابَ أَوَّلُهُ وَحَسَنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَلَّتْ الْأَرْضَ بِأَنْوَارِهَا. وَبِكَ تَطِيبُ الشَّمْلُ وَيُسْقَى
الْغَلِيلُ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَّقْتَ شَمْلَنَا. وَإِنْ تَجَلَّتْ إِلَيْنَا نَظُمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ ضَعِيفٍ أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ (للقيرواني)

كتاب زبيدة الى المأمون بعد قتله ابنها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلٍّ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَّدَكَ اللَّهُ
فَاطَالَ مُدَّتُكَ وَتَمَّ نِعْمَتُكَ . وَآدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَفَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ أُلُوَالِهِ الَّتِي تَرْجُوهُ فِي الْحَيَاةِ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَمَاتِ
لِجَمِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضَعِيفِي وَأَسْتَكَاتِي وَقَلَّةَ حَبَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا وَفِيهِ رَاغِبًا فَأَفْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمين ورق لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أُمَامَهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ بِالرَّعَايَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ لِي شَهِدَ اللَّهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَعَهُ فِيهَا . لَكِنِ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْخُلُوفُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَاللَّهُ تَبَا كُلُّهَا إِلَى شَتَابٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعَدْرُ وَالْبُعْيُ حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِمَّنْ مَضَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَخْتَارِينَ وَالسَّلَامُ

ثم أمر برد ضياعها وجميع ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها واعادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشمة (حديقة الأفراح لليمني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطِفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَبْهَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْقَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصَرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارْتَنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلْنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَرَتْ هِمَّةُ بَلَّغْتُ بِهَا بَابَكَ يَا ذَا النَّدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسْبِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَغَزَا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

كتب احمد بن ابي طاهر مع هدية :

٣٦٥

مِنْ سُنَّةِ الْأَمَلَاءِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْعَبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِّلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتُ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْثَالِهِ

أهدت جارية من جوازي المأمون تفاحة له وكتبت اليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرِّعْيَةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتَرَ الطَّافِئِهِمْ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تَخْفُفُ مَوْنَهُنَّ وَتَهْوَنُ كُلُّفَتَهَا
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَجَبِلُ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا أَلَنَعْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي التَّقَرُّبِ . وَأَحْبَبْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَعْرِبَ لَكَ عَنْ
فَضْلِهَا وَأَكْشِفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأُشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَقَنَّ الشُّعْرَاءُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمُقَهَا بَعِيْنُ
الْجَلَالَةِ وَتَلْحَظَهَا بِمُثَلَّةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
الْفَالِكَةِ التَّفَاحُ اجْتَمَعَ فِيهِ بَيَاضُ الْفِضَّةِ وَلَوْنُ التَّيْرِ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
الْحَوَاسِ الْأَعْيُنُ بِهَجَّتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْفَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنئة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل السلطان في المهرجان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ جَرَتْ فِيهَا الْهَادِثَةُ بِالْطَّافِ الْعَبِيدِ لِلْسَادَةِ . وَإِنْ
كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا تَبْلُغُهُ الْهِمَّةُ فَكَرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أَبْلُغُ
مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَيَّامَ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَانِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرَجَانِ
جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانِ
وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنْ لَا يَغِرُّ عَلَى الْهَوَانِ
يَزِيدُكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَيَرْضَى مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشّر الطيّيب النصراني يهنئ به به من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَيِّبِ سَلَمَةِ اللَّهِ سَلَامُ اللَّهِ الطَّيِّبُ
وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْإِشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّيِّبِ

وَبُرِّيه . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَدَكَ مِنْ صِحَّةِ
الْجِسْمِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْشِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لاي الفرج)

في التوصية

كتاب ابي بكر الى يزيد ابن ابي سفيان

٣٦٩ إِذَا سِرْتَ فَلَا تُعْنِفْ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغَضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَاسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجَوْرَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نَصَرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَذْبَارَ . وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَرَهُ إِلَّا مُنْحَرَفًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نَصَرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرًا وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَقْرَبُوا الْحُلًّا
وَلَا تُخْرِقُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمَرًا . وَلَا تَعْقِرُوا بَهِيمَةً إِلَّا
بَهِيمَةً الْمَأْكُولِ . وَلَا تَغْدِرُوا إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفُضُّوا إِذَا صَاحْتُمْ .
وَسَتْمُرُونَ عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ زَهَّابُوا لِلَّهِ فِدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرَدُوا إِلَيْهِ وَأَرْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَأَجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا حَاقَ لَهُ
(لقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة
٣٧١ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَقْبِذُ أَمْرَكَ .
فِيهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرْفَعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْفِئِكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرَسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمُصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْقُطَ
سَقْطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَعْتَرِ عَثْرَةً لَا لَعَالَهَا (أَيَّ لَا إِفَالَةَ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابي وقاص ومن معه من الاجناد
٣٧٢ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللَّهِ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْعَدُوِّ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ الْمَعَاصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا
كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنْ أَسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْإِنِّصْرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي سَيْرِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَتَرَفَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا تُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يَتَعَبَهُمْ . وَلَا
تَقْصِرْ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّعْيُ لَمْ يَقْصُرْ .

قوتهم فَإِنَّهُمْ سَارُونَ إِلَىٰ عَدُوِّ مُقِيمٍ حَاجِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِمَّ
بَيْنَ مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّىٰ تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يُخَيَّوْنَ فِيهَا
أَنْفُسَهُمْ وَيَزْمُونَ أَسْجُوتَهُمْ وَأَمْتِعَهُمْ . وَنَحْ مِنْ أَرْزَلَهُمْ عَنْ قُرَىٰ أَهْلِ
الْصُّلْحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَقَىٰ بَدِينِهِ . وَلَيْكُنْ عِنْدَكَ
مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِن أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَىٰ نَصْحِهِ وَصَدْقِهِ . فَإِنَّ
الْكَذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبْرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَيْكُنْ مِنْكَ عِنْدَ
دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذْكَ أَمْرًا عَلَىٰ عَسْكَرِكَ وَتَقِظُ مِنَ الْيَاثِ جُهْدَكَ .
وَاللَّهُ وَلِيٌّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيَّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ لِمَعْرُوفٍ طَرِيقًا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
لَيْكَ . فَأَلْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَحْجُورٌ . وَإِنَّمَا عَايَتُكَ فِي
لِمَعْرُوفٍ أَنْ تَحْقِرَهُ . وَفِي وَلِيٍّ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب ابي العتاهية الى الفضل بن معين بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فَرَأَيْتُ مِنَ الْفَقْرِ وَرَجَاءِ الْغِنَىٰ وَازْدَدْتُ بِهِمَا بُعْدًا إِنَّمَا
فِيهِ تَقَرُّبٌ وَقَرَّبًا إِنَّمَا فِيهِ تَبَعْدٌ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِمَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
لَأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنْعِي . أَمَرْتُ بِالْيَأْسِ مِنْ

أَهْلُ الْبُحْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتَ عَنْ مَنَعَ أَهْلِ الرَّعْيَةِ فَمَنْعَتْهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَجِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحُلِّ الْفَنِيسِ وَأُزِلُّهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الضَّعَةِ وَضَرَعْتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغَيَّرَكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَاطَّرَحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى سَبَابٍ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرُكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى الْقَمِيمَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . ابْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبَرَةٍ وَأَعَقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأَطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيْسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ . فَسَجَّانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْنَأَ عَلَى اتِّلَافٍ . وَافْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وله أيضاً في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَحْتَاجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأَحْتِسَابِ جَوَابَاتِهَا عَنِّي . وَلَكِنَّ الثِّقَّةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يَقْبِجُهُ جَفَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ الْمَقْتَحُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالتَّهْرِيمِ اللَّطِيفِ
فَلَوْلَا مَا غَلَبَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَعْتُ غَمًّا بَعَثَ بِكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَهْلِ وَالْبَلَه . فَلَا أَعْدِمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَارِيًا بِهِ عَلَيَّ مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْخُرْجُ مِنْهُ (لابن عبد ربه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنْ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِدْمَانِ اللَّذَاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرَّعِيَّةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : يا أباي إقرأ هذا الكتاب وكتب اليه بما يردعه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفَظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَعَكَ بِكَ . قَدْ أَتَيْتَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوَمَةِ اللَّذَاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرَّعِيَّةِ مَا أَنْكَرَهُ فَعَاوِدُ مَا هُوَ أَزِينُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِيئُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَعْرِفْهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتاب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ
بِغَيْرِ كَلَامِ الْأُمْرَةِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَا تِلُّ الْهَوَى
وَأَلْرَأْيَ لِلنَّاكِثِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كُلُّمَا بَلَّغَنِي قَلِيلٌ مَا كُتِبَتْ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا فَتَدَبَّرْهَا :
 رُكُوبُكَ الْهَوْلَ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَمَى بِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْيِيرُ
 أَهْوٍ بِدُنْيَا يُصِيبُ الْمُخْطُوبُونَ بِهَا حَظُّ الْمُصِيبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورُ
 فَازْرَعْ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكَتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْذُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَظَفِرْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مُحَمَّدٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَبَّهْتَ بِمَحَاسِنِهَا . فَتَنَافَسَ الْأَخْوَانُ فِيكَ يَتَّبِعُونَ وَدَكَ
 وَيَتَسَكَّنُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حَلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرِّ زَهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المديبر :

٣٨٢ إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ . وَيَقِيمُهُ
 اخْتِيَارُكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنَّ مِمَّا يُطِيعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِهَا لَدَيْكَ أَنَّكَ أَخْنَسْتَهَا بِحَبْلِهَا وَأَسْوَجْتَهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَقَاوَمَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَمَلَّقُ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجْنُ إِلَى عُنْصُرِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْتَهُ وَزَلَّ فِي مَغْرَسِهِ ضَرْبَ يِعْرِقِهِ وَسَبَقَ بِفَرْعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْإِقَامَةَ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّبِيعَةَ

فصل له ايضاً

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجُلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيُظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلْبَيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكَرَمُ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ:
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَتَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ . وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَاكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمُسَدُّودِ بِهِ تَلْمَهُمُ الْمُجَدِّدِ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالنُّحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعْيِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتَ وَارِثُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكُ
سَبِيلِهِ . وَلَا أُنَحَّتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التعازي

فصل لعمر بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَاجُورُ
فِيكَ . وَإِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بَغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ الْغَزَاءُ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَأَخْلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَغَرَّ بِغَزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يَقْبِضُهُ الْأَجْرُ وَالْجَزْعَ يَقْبِضُهُ الْهَلْعُ . فَمَتَّسِكَ بِحِطِّكَ مِنَ الصَّبْرِ تَنَلْ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُدْرِكُ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (لابن عبد ربّه)

كتب ابن السماك الى هارون الرشيد يعزّيه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قَبَضَهُ مِنْكَ أَحْرَزَ لَكَ هَيْبَتَهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهْفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدْرِ وَبَقِيَْتَ أَنْتَ
مُتَعَلِّمًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامِ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِئْتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صَبَرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي إِكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمَشَارِكِ
فِيهَا بِأَنْ يَتَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا آتِي
مُخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَمَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُزَلِّمُكَ . فَأَنَا عَلِيلٌ مُصْرُوفٌ الْعِنَايَةِ
إِلَى عَلِيلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يُخَصَّنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنَّ
الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوْبَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لِأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لِعَيْتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي ابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطُهُ يَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي . أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَلَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِيْنَا
تَبْسِطُ بَيْرٍ مَاعَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَكُتِفَ بِهَذَا مِنَّا . (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي مِمَّنْ كَتَبَ لَهُ وَائِقٍ مِمَّنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الْقَمَّةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَانٌ قَدْ اسْتَفَنَى بِأُصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرٍ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى بُصْطَنِهِ . فَبَسْطَ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَعَلَكَ مِنْ أَهْلِهَا وَوَصَلَ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : مُوَصِّلُ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِعَيْنٍ مُشَاهِدَةٍ وَخِلَتِي .
فَلَسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتَ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ . (لَا بَنَ عَبْدَ رَبِّهِ)

الباب العشرون في تاريخ العرب

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأُمّة الرّاحلة النّاجعة . الحيام
لِسكنائهم وأخيل لركوبهم والأَنعام لِكسبهم . يقومون عليها ويقتاتون
مِن البَناء . ويَتخذون الدّف والأثاث مِن أوبارها وأشعارها . ويحملون
أثقالهم على ظهورها . يتنازلون حلالاً مُفترقةً وَيَتَتَوْنَ الرّزق في
غالب أحوالهم مِن القنص وتخطف النّاس مِن السُّبُل . ويقتلون
دائماً في الجبال فراراً مِن حمارة القَيْظِ نارةً وصبارة البرد أُخرى .
وأتجاعلاً لِمراعي غنمهم . وأرتبداً لِمصالح إبلهم الكفيلة بعمالهم وحمل
أثقالهم ودفعهم ومنافعهم فاختصوا لذلك يسكني الإقليم الثالث .
فعمروا اليمن والحجاز ومجداً وتهامة وما وراء ذلك لاختصاص هذه
البلاد بِالرّمال والقفار المحيطة بِالْأريافِ الْإِهْلَةِ بَيْن سِوَاهُم مِن
الأُمم في فصل الرّبيع ورُخف الأرض لرعي الكلال والعشب
في منابتها والتّقل في نواحيها إلى فصل الصّيف لمدّة الأقوات في
سَلَمَتِهِم مِن حُبُوبِهَا . وربّما يَلتَقِ أَهْل العُمران أئمّة ذلك مَعرات مِن
ضراهم بِإفساد السّابِلة ورعي الرّزق مُخَضراً أو تهايه قائماً وحصيدها
لأما حاطة الدّولة وذادت عنه الحامية في الممالك الّتي لاسلطان عليهم

فِيهَا . ثُمَّ يَتَحَدَّرُونَ فِي فَصْلِ الْخَرْيفِ إِلَى الْقَفَارِ لِرَغْبَةِ شَجَرِهَا وَنَتَاجِ
إِبْلِهِمْ فِي رِمَالِهَا وَمَا حَاطَ بِهِ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَارًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَعِظَامِهِمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفْءِ مَسَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّحْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْهَدِرِينَ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . شَعَارُهُمْ لُبْسُ الْخَيْطِ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعِمَامِ تِيحَانًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرَبِ فِي حِمْلِ السَّلَاحِ
أَعْتَقَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةَ وَهَجَرُوا تَتَكُّبَ الْقَيْسِ (تاريخ ابن خلدون)

ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الطَّرِيزِيُّ : اخْتَلَفَ فِي نَسَبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْمَهُمْ أَشْتَقَّ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَمِيرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ قَهْجِيٍّ مِنْ تِهَامَةٍ وَدَّعِيٍّ جِيلُهُمْ جِيلُ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكَبَرِ وَالْجَبْرِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ .
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهِيَ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ تَقَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِقِتَادِمِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهِيَ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهِيَ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الأرب للنويري)

أخبار العرب العاربة أو البائدة وهم القسم الأول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادٌ وَثَمُودٌ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَاهِمُ
الْأُولَى . وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُمْ

يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ سَمِيَ أَهْلُ هَذَا الْجِيلِ
 الْعَرَبِيَّةَ إِمَّا بِمَعْنَى الرِّسَاخَةِ بِالْعَرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلٌ أَيْلٌ وَصَوْمٌ
 صَائِمٌ أَوْ بِمَعْنَى الْقَاعَةِ لِلْعَرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدَعَةِ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
 وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
 أَلْيَنَ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنَ
 الْعَرَبِ . وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 شَدَادُ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي الْمَمَالِكِ وَاسْتَوَلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
 الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مُلْكُ عَادٍ وَعَظُمَ طُغْيَانُهُمْ وَعَتَوْهُمْ
 اتَّخَلَوْا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
 وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْقُرَى فِيمَا بَيْنَ الْحِجَازِ
 وَالشَّامِ وَكَانُوا يُنْتَحُونَ بُيُوتَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَغْيٍ .
 فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
 كَانُوا مِنَ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْفَارِينِ

وَأَمَّا جَدِيسٌ وَطَسَمٌ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
 أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَائِقَ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
 طَسَمٍ غَشُومًا مُطَارًا الْجَدِيسِ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسُودُ وَقَتْلَهُ غِيلَةً
 وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
 بِالْعِبْرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلِتَقَادِمِ انْقِرَاضِهِمْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ حَقَائِقُ
 أَخْبَارِهِمْ وَانْقَطَعَتْ عَنْهُمْ أَسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَلَيْسُوا مِنَ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ أَصْلُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِدْرِيسَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْمُتَعَرِّبَةَ لِتَزْوُلِهِمْ بِالْبَائِدَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِبَةِ وَتَحْلُقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ بْنِ
أَرْقُشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يُقْطَانٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ أَلْيَمَنَ وَلَيْسَ التَّاجَ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَائِدَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأَوَّلِكَ فَأَصْبَحُوا بِمَنَاجَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْفَضَاءِ فَضَاءَهُمْ وَتَعَدَّدَتْ فِي جَوْاءِ الْقَفْرِ
أَفْخَاذُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَنَمَى عَدَدُهُمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَمَالِقَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَادَ حَوْهُمْ بِمَنَاجَاةٍ وَأَسْتَجَدُّوا خُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا أَسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِابْنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْربُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَظَمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَيُسَمَّى يَمْنَاوَةَ
سُمِّيَتْ أَلْيَمَنُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدُهُ بِالْحِجَّةِ : أَيْتُ اللَّعْنِ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا .
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْربِ أَبْنَاءَ قَصْرَتِهِمْ مُعَرِّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامُكُمْ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَفْرِ

وَمَلِكٌ بَعْدَ يَرْبِ ابْنِهِ يَشْجِبُ . وَكَانَ وَاهِي الْعَزِيمَةِ وَاسْتَبَدَّ أَعْمَامُهُ بِمَا
 فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَالِكِ . وَمَلِكٌ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
 الْغَزْوُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
 وَمِنْ مَدِينِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنُّوَيْرِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدُّ مَأْرِبٍ وَتَفَرُّعُ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبٍ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالصَّخْرِ وَالْقَارِ فَحَصَّنَ
 بِهِ مَاءَ الْعُيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
 عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَفَرِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْعَرَمَ وَمَاتَ
 قَبْلَ إِمَامِهِ فَأَتَتْهُ مَلُوكُ حِمِيرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
 وَالشِّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْقُرُ مِمَّا كَانَتْ وَاتَّرَفُوا وَابْذَخُوا وَاعْلَى يَدًا
 وَأَظْهَرُوا . فَلَمَّا طَفَعُوا وَأَعْرَضُوا أَجْمَعَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتِهِمْ وَخَرِبَتْ
 أَرْضُهُمْ وَتَمَزَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ التَّبَاعَةُ مَلُوكًا عِدَّةً
 فِي عُصُورٍ مُتَبَاعِيَةٍ وَأَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ لَمْ يَضْطِطْهُمْ الْحَصْرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
 مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مَلِكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
 الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ اللَّبْسُ فِي نَعْلِ أَيَّامِهِمْ .
 فَلَنَاتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَحَرِّيًا جُهْدَ الْأَسْطِطَاعَةِ عَنْ طُغْيَانِ الْفِكْرِ وَأَقْنَاءِ
 التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُصُولِ الْمُعْتَمَدِ عَلَى نَقْلِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
 أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأٍ مِنَ الْوُلَدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ
 حِمِيرٌ وَعَمْرُو وَكُهْلَانٌ فَيَغْزِي التَّبَاعَةَ إِلَى حِمِيرٍ وَالْمَنَادِرَةَ إِلَى عَمْرِو وَيَتَّبِعِي

الْفَسَايِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسَوْرِدُ بِالْتَّخِيصِ أَخْبَارُهُمْ (لابن خلدون)

ملك التبابعة بني حير في اليمن
(ذكر حير وشداد وتبع الاول)

٣٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّحْرُ وَحَضْرَمُوتَ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فَاسْمُهُ مَلِكًا وَلَا يُقَالُ لَهُ تَبِعٌ . وَأَمَّا حَمِيرٌ فَقَدْ يَعْرِفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِجِ (٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَدَادٍ فَغَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَائِفَ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَنِيهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِّبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ مِمَّا كَانَ أَصَابَهُ فِي غَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْغَنَائِمِ (حمزة الاصفهاني)

ملك افريقس وذو الازعار وشرحيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَبْرَهَةَ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِقَبَائِلِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقَةَ وَبِهِ سُمِّيَتْ وَسَاقُ الْبَرَبِ إِلَيْهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَتَرَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمَّى الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْأَسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَسَمِعَ رَطَاتِهِمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِهِمْ . فَسَمُوا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمْرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَعْبَأُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَرْهَةً وَكَانَ أَشَدَّهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :
يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْضِظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمُعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعُلَى بِنَوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ زَرْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
وَلَمَّا دُعِرَتْ حَمِيرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَعَتْ طَاعَتَهُ وَقَلَّتِ الْمُلُوكُ شَرَحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَّ شَرَحِيلُ بِالْمُلِكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْهَذَاهُ . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشر مرعش ومزيقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَاهُ وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَتْ
عَلَيْهِ بَلْقِيسُ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمُلِكِ مَالِكُ نَاشِرِ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَلَدَ أَعْنَاقَ رَعِيَّتِهِ أَطْوَأَ الْأَنْعَامِ وَالْإِنِّ
وَسَارَ غَارِيًّا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَلَغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكَثْرَةِ
الرَّمْلِ وَعَبَّرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرْجِعُوا . فَأَمَرَ بِصَنْمٍ مِنْ نَحَاسٍ يُصَبُّ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْحِطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّغْنُ لِنَاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ . فَذَهَبَ . فَلَا يَتَكَفَّى أَحَدٌ ذَلِكَ فَيَعْطَبُ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا ابْنُهُ شَمْرُ مَرْعَشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَاشَى كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَابَعَةِ ذُو الْمَغَازِي

وَالْأَثَارُ الْبَعِيدَةُ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَغَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّفْدِ وَرَأَى
جَبْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ سَمِرَ كُنْدَ أَيِّ سَمِرٍ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَالِكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَبَتْهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمِرَقَنْدَ . وَشَخَصَ مِنْ أَيْمَنِ
غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَتَحَيَّرَ عَسْكَرُهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْيَمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَنُوهُ . وَأَخَذَ بَيْنَ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَّأَ الْمَمْلَكَ وَذَلَّلَهَا وَعَمَدَ إِلَى
الصِّينِ . قَالَ النُّوَيْرِيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصِّينِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَأْسِ سَامِي أُمَمَةٍ . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْيَمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَيِّ
كَرْبٍ وَسَعَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصِّينِ . وَتَظَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلَلٍ يُمْكِنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِلْقَاءِ بِلَادِهِمْ بِالْقِيَادِ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ تَبَعٌ وَبَالِغٌ فِي إِكْرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَّ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَهْدِيهِمْ حَتَّى أَتَتْهُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَبْجَةٍ . فَتَوَعَّلُوا فِي فُلُوتٍ سَحِيحَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْهَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ أَتَقَلَّ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيًا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَزُقَتْ لِلَّائِيحِدِ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَبَ دِيَارَهُمْ
فَتَقَرَّقَتِ الْقَبَائِلُ الْجَاوِرَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَلَّ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى حِمِيرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نُؤَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نُؤَاسٍ هُوَ ابْنُ ثُبَّانٍ
أَسْعَدُ وَأَسْمُهُ زُرْعَةُ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ التَّبَاعَةِ تَسَمَّى
يُؤُسُفَ وَتَعَصَّبَ لِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْإِمِينِ . فَأَسْتَجْمَعَتْ مَعَهُ
حِمِيرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَهُمْ فَضُلٌ فِي الدِّينِ وَأَسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْأَجَلِ .
وَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَامِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَقَطَ لَهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِ الدَّعْوَةِ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْأَرْضِ . وَكَانَ يَطْلُبُ الْحَقَّاءَ عَنْ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدِهِ وَيُعَظِّمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطِنَ لِشَأْنِهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحُ
فَلَزَمَهُ وَخَرَجَا فَارَاقَيْنِ بَأَنْفُسِهِمَا حَتَّى وَطِئَا بِأَلَادِ الْعَرَبِ . فَأَخْطَقَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَعْبُدُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيَعْلَقُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكُونُ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدْ ابْتَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَأَتْبَعَ

صَالِحًا آخِرُ . فَكَانَ فَيَمُوتُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ اسْتَسْرَجَ لَهُ الْبَيْتَ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ وَصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصُّبْحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكْتُهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَدُّ لَهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفْعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيَمُوتُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَعَلَتْ الشَّجَرَةَ مِنَ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَامِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْمَعُ مِنْهُ شَرَائِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى فَتَهُ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدِهِ الْخَوَارِقُ وَالْمُعْجَزَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَاسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَامِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ بَلَدِي وَخَالَفْتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ وَعَرَّضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ الْقَتْلَ فَلَمْ
يَزِدْهُمْ إِلَّا جَمَاحًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَقْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لَشَيْءٍ فَيَقْذِفُ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَقَبِيتِ
أَمْرًا وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِعَ عُمُرُهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَخِزَعَتْ وَتَهَيَّيْتُ . فَقَالَ لَهَا
الْغُلَامُ : يَا أُمُّهُ لَا تَتَأَفَّقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأُحْرِقَتْ . وَقُتِلَ وَحَرَّقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِيقَالٍ لَهُ دُوسٌ دُو
تُعْلَبَانِ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى فَرَسِهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى ذِي نُوَّاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ فَبَعَثَ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَصْرِهِ . فَجَاءَهُ السُّفْنُ
وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرُ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَهْدٌ
إِلَيْهِ بِقَتْلِهِمْ وَسَبْيِهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَتَزَلُّوا سَاحِلَ
الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ ذُو نُوَّاسٍ فَمِنْ مَعَهُ فَأَنْهَزَهُمْ . فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَّاسٍ مَا تَزَلُّ بِهِ
وَبَقُومِهِ وَجَهَ بِفَرَسِهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ صَخَصَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
عَمْرَةٍ فَأَقَمَهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْقَرَضَ أَمْرُ التَّبَاطُغَةِ .
(٥٢٩ هـ م) وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رَجَالَاتِ
حَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونُ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَى أَرْيَاطِ أَرْهَةِ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رِعَاعَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْحَرْبِ فَأَنْحَازَ
إِلَى أَرْيَاطِ عُظْمَاءِ الْحَبَشَةِ وَغَطَّارِيَهُمْ فَأُقْتَتِلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
أَرْهَةِ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَبَذَلَ لُتْبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
أَرْهَةُ عَلَى أَرْيَاطِ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَمْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاحِهِ
وَسَقَطَ عَنْ جَوَادِهِ . فَمَالُوا حَيْثُ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَةِ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
وَكَانَ أَرْهَةُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيًا دَحْدَحًا ذَا دِينَ فِي النَّصْرَانِيَّةِ .
فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْدَانَ كَنِيسَةً مُحْكَمَةً الْعَمَلِ وَسَاهَا

الْقَلْبِيسَ (*) فَأَنْتَشَرَ خَبْرُ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْعَرَبِ . وَلَمَّا هَلَكَ أَبُوهُ
(٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ ابْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يُكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَمِيرَ وَقَبَائِلَ الْإِيْنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومُ مَلِكٌ مَكَانَهُ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عُسْفُهُ (لِلأَزْرَقِ)

أخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ . وَلَمَّا طَالَ بَلَاءُ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْإِيْنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنِ
الْحَمِيرِيِّ مِنَ الْأَذْوَاءِ بِقِيَّةِ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبَ أَوْلَاكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحِيرَةَ عَلَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارَسَ عَلَى الْحِيرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَا إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَلَهُ النُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَقَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْفَدَ مَعَهُ وَسَالَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسْتَهُمْ لِلْقَتْلِ . أَبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وَكَانَ الْقَلْبِيسُ مَرَبَّعًا مُسْتَوِيًا التَّرْبِيعَ وَجَعَلَ طَوْلُهُ فِي السَّاءِ سِتِينَ ذِرَاعًا وَحَوْلَهُ
سُورٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَلْبِيسِ مِائَتَا ذِرَاعٍ مُطِيفٌ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَجَعَلَ بَيْنَ ذَلِكَ كُلِّهِ حِجَابَةٌ
تَسْمِيهَا أَهْلُ الْبَحْرِ الْحُرُوبَ مَنَقُوشَةً مُطَابِقَةً لَا يَدْخُلُ بَيْنَ أَطْبَاقِهَا إِلَّا بِرَةِ مُطَابِقَةٍ بِهِ . وَكَانَ
أَلْفُ بَابٍ مِنْ نَحَاسٍ يَفْضِي إِلَى بَيْتٍ فِي جَوْفِهِ طَوْلُهُ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا فِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا مَعْلَقُ الْعَمَلِ
بِالسَّاجِ الْمَنَقُوشِ وَمَسَامِيرُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَقُودُهُ مَضْرُوبَةٌ بِالْفَيْسِفَاءِ مَشْجَرَةٌ بَيْنَ أَضْأَفِهَا
كُؤَاكِبُ الذَّهَبِ ظَاهِرَةٌ . ثُمَّ يَدْخُلُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى قَبَةِ جُدْرَانِهَا بِالْفَيْسِفَاءِ وَفِيهَا صُلْبٌ مَنَقُوشٌ
بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَفِيهَا رِخَامَةٌ مَا يَلِي مَطَاعَ الشَّمْسِ مِنَ الْبَاقِ بِرَبْعَةِ تَفْثِي عَيْنٍ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا مِنْ
بَطْنِ الْقَبَةِ . تَوْدِي ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِلَى دَاخِلِ الْقَبَةِ . وَكَانَ تَحْتَ الرِّخَامَةِ مَنِيرٌ مِنْ خَشَبِ
الْبَلُخِ وَهُوَ الْأَنْوَسُ مَفْصَلٌ بِالْعَاجِ وَدَرَجُ الْمَنِيرِ مِنْ خَشَبِ السَّاجِ مَلْبَسَةٌ ذَهَبًا وَفِضَّةً (لِابْنِ اسْتَحْقَ)

الَّذِي أَرَدَتْ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مُلْكًا أُرْدَدَتْهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَاحْصُوا
ثَمَانِيَةَ وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبِيرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
وَهَزَرَ الدِّيَّامِي . فْتَوَاقَفُوا لِلْحَرْبِ وَأَمْرٌ وَهَزَرَ ابْنَهُ أَنْ يُنَاقِشَهُمُ الْقِتَالَ
فَقَتَلُوهُ وَأَحْفَظَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أَرُونِي مُلْكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
تَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ الْيَاقُوتَةَ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَتَقَلَّلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارَ وَابِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمَنِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْصَرَفَ وَهَزَرَ إِلَى كِسْرَى
بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمَنِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ صَمَّهَمُ إِلَيْهِ عَلَى
فَرِيضَةٍ يُودِّيَهَا كُلَّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزْنَ وَأَرْزَلَهُ بِضَمَاءٍ .
وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزْنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قِصْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
يُقَالُ إِنَّ الصُّحَاكَ بَنَاهُ عَلَى اسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوكَبِ وَرُوحَانِيَّتِهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثِقَ
لِذِي يَزْنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَغْتَسِفُ الْحَبْشَةَ وَيَقْتُلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
أَقْلِيلٌ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَابِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْحَرَابِ .
فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
بِالْحَرَابِ فَقَتَلُوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمَنِ وَاسْتَمَرَّتْ عَمَالُهُ إِلَى أَنْ
كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمَنِ لِلْإِسْلَامِ (لابن خلدون)

خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

تملك ملك بن فهم وجذيمة الابرش

٤٠٣ أما أخبار العرب بالعراق في الجيل الأول فلم يصل إلينا تفصيلها وشرح حالها . إلا أنه لما حدث سيل العرم تفرقت عرب اليمن من مدينة مأرب إلى العراق والشام . فكانت تنوخ وقضاة وهما حيان من أحياء الأزد من بني كهلان ممن تفرق إلى العراق . فقال ملك بن فهم الأزدى لمالك بن الفضاعي : نقيم بالبحرين وتتحالف على من نؤا فتتحالفوا . فسموا تنوخ وذلك في أيام ملوك الطوائف فنظروا إلى العراق وعليها طائفة من ملوكها وهي شاعرة فخرجوا عن البحرين وسارت الأزد إلى العراق مع ملك بن فهم الأزدى . وسارت قضاة إلى الشام مع مالك الفضاعي

٤٠٤ وأول من تملك على تنوخ في العراق ملك بن فهم (١٩٥ للمسيح) وكان منزله بالأبواب بقي بها إلى أن رماه سليمة بن مالك رمية بالليل وهو لا يعرفه . فلما علم أن سليمة رماه قال :

جزاني لا جزاه الله خيرا سليمة إنه شر أجزاني

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فآط وهرب سليمة ثم ملك من بعد ملك

جذيمة الأبرش . (٢١٥ ب م) وكان ثاقب الرأي بعيد المفار شديد

النسكاية ظاهر الحزم . وهو أول من غزا بالجيوش وشن الغارات على

قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ بَرَصٌ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعَهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَبْرَشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوَلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يُجَنِّي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَمَسًا وَجَدِيْسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ الْيَامَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةُ فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكَ سَابُورَ بْنِ أَشْكَ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعْدٍ وَبَعْضُ أَيْمَنٍ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمُرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنَ حَسَّانَ
ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوْأَفِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ الثَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ تَحْوِسَتَيْنِ سَنَةً بِالتَّقْرِيبِ (لحمزة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ قَوَرِثَ الْمَلِكُ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيٍّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشٌ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
يَعُدُّ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْتَسِبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ الثَّارَ مِنَ الزَّبَاءِ بِجَالِهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَتِ
الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَقْعَلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَعَمِدَ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرِ زَيْرِهِ فَجَدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَحِقَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَآتَتْهُمُ بِمُدَاخِلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَصْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلْتُ بِكَ أَنْكِ لِي مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَكَرَّمَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنَ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حَصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَمَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَمَا رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
 مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْفَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَغْزُو الْمُغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
 وَتَجِبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدَ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطُولَ . لَا يَدِينُ
 لِمُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ فَارِسَ
 أَرْضَ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَقَهَرَ مَنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَازِعَةً حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
 أَرَادَ مِمَّا يُؤَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُؤَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ مُجَاوَرَةِ الْعِرَاقِ
 عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
 مَعَ مَلِكٍ فَلَحَقُوا بِالشَّامِ وَأَنْصَبُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسُ
 مِنَ الْعَرَبِ يُحْدِثُونَ أَحْدَاثًا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَعِيشَتَهُمْ فَيَخْرُجُونَ
 إِلَى رَيْفِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ هُجْنَةً .
 فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَاثٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحُ وَهُمْ مَنْ كَانَ
 يَسْكُنُ الْمِطَالَّ وَيُبُوتَ الشَّعْرَ وَالْوَبْرَ فِي غَرْبِي الْفُرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
 إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا فَوْقَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْعِبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقْعَةً
 الْحِيرَةِ فَأَبْنَوْا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّلَاثُ الْأَحْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
 مُلْكِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ بِاتِّخَاذِهِ مَنَزِلًا لِإِيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وُضِعَتْ
 الْكُوفَةُ وَتَرَلَّهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (للنويري وحمة الاصفهاني)

ملك امرئ القيس البدء والحرق والنعمان الاعدود السامح

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرُو بْنِ عَدِيٍّ أَمْرُ الْقَيْسِ الْبَدْءُ وَهُوَ الْأَوَّلُ
 فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَصَرَّ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفُرسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعِمْليقي خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ تَارَ بِهِ حَجَّجًا أَحَدَ بَنِي
قَارَانَ فَقَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثَّانِي) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُعْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنُّذِيرِ وَالْمُحَرِّقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسْوَدُ
أَبْنُ يَعْفُرٍ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
الْثُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّامِيُّ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
الْثُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامٍ يَزْدَجِرُ دَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بَهْرَامُ لِيرِيهِ وَأَمَرَ
بِنَاءَ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِابْنِهِ فَاسْكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ مِنْ يَلْقَنَهُ الْخِلَالِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفُرُوسِيَّةِ حَتَّى اشْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارَضِيَّةٍ . وَكَانَ الثُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَابْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدَ أَتَى الْأَشَّامَ بِرَارًا كَثِيرَةً وَأَكْثَرَ الْمَصَائِبِ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ . وَكَانَ مَلِكَ فَارِسَ يُفْذُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاهَا الْفُرسُ وَدَوَسَرُ وَأَهْلَاهَا تَتُوخُ . فَكَانَ يَغْزُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنَ
الْعَرَبِ . وَكَانَ صَارِمًا حَازِمًا ضَابِطًا لِلْمُلِكِ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنْ مُلُوكِ الْحَيَرةِ . وَالْحَيَرةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْفُرَاتِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى الثُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَضَرَّرَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ الْمُسَوِّحَ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

(*) (راجع الوجه ٢٢١ من الجزء الثاني) (*) (راجع الوجه ١٦ من هذا الجزء)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود (امرؤ القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدا النُّعْمَانُ قَوْلَى الْأَمْرِ ابْنُهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْ أَعْلَيْهِمْ شَخْصًا مِنْ وَلَدِ أَرْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشْئِهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوهِ مِنْ آدَابِ الْحَجَمِ . وَاسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
فَجَهَّزَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيُطْلَبَ مُلْكُهُ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسُ وَأَطَاعُوهُ . وَاسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُنُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَعَفَا عَنْهُمْ وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغَلَ بِاللَّهُوِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٢٢ ب م)
وَمَلِكٌ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيَّ بْنُ زَيْدٍ النَّصْرَانِيَّ
فَتَرَهَّدا (٤٦٩) . (*) وَمَلِكٌ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْوَدُ وَهُوَ الَّذِي انْتَصَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلِكٌ
أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) نُّعْمَانُ الثَّلَاثُ . ثُمَّ
اسْتَحْلَفَ أَبُو يَعْفَرٍ بْنُ عَلْقَمَةَ الذَّمِيلِيَّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٍ مِنْ حُثَمٍ . ثُمَّ
مَلِكٌ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُقِيمُ أَوْدَ مُلُوكِ الْخَيْرَةِ وَتَعُضِدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَانِي الْعَذِيبِ وَالصَّبْرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جَبْرِ بْنُ بُلُوغٍ :
لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْبُ بِنَا لَنَا قَهَّ نَحْوَ الْعَذِيبِ وَالصَّبْرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّلَاثُ مَلِكُ الْمُنْذِرِ الثَّلَاثُ ابْنُهُ وَهُوَ ذُو

الْقَرْنَيْنِ لِضَهْرَيْنِ كَانَتَا لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَأُمُّهُ مَاءُ السَّمَاءِ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبِيلَ الْأَيُّ عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرَائِي
عَطَاءً وَجُودًا فَعَلَبَ عَلَى يَدِهِ لِأَنَّهُمْ حَلَفُوا مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرَّةَ بْنِ كَأْثُومٍ
قَتَلَهُ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هَنْدٍ الْمُلَقَّبُ بِالْمُحَرِّقِ وَهَنْدُ أُمُّهُ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا أَيْمِيَا
فِي دَارِهَا فَقَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مِائَةَ يَوْمٍ أَوَارَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشَرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لَيْنٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِينًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ النُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الذُّبْيَانِي الَّذِي بَنَى الْغُرَيْبِينَ وَتَنَصَّرَ (لِلنُّوَيْرِيِّ وَالْمَسْعُودِيِّ)

خبر تنصر النعمان

٤٠٩ كَانَ النُّعْمَانُ بْنُ مَاءِ السَّمَاءِ الْمُلَقَّبُ بِأَيُّ قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بَأْنَ يُخْفَرُ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهِرُ الْحِيرَةَ ثُمَّ يُجْعَلَانِ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَانِ فِي الْخُفَرَتَيْنِ . فَعَقِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا فَأَخْبَرَ بِهِمَا كَيْمَا . فَنَدِمَ عَلَى ذَلِكَ وَعَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنِ يَبُوتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَرُوقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقُلَّ عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقٌ
ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنَاءَ الْغُرَيَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَبِنَا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْغُرَيَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ شُومًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلُ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيُذْبَحُ وَيُعْرَى بِدَمِهِ الْغُرَيَانِ .
فَلَيْتَ بِذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيٍّ يُقَالُ لَهُ
خَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي غَرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانِ فِي خُبَاهُ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ سَبَبَ الْمَطَرِ . فَرَحَّبَ بِهِ خَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَأَهُ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا خَنْظَلَةُ هَلَّا أَتَيْتَ فِي غَيْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَتَيْتُ اللَّعَنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَنْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا وَلِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
مَارًّا فَلَا تَكُنْ مِيزْتُهُمْ قَلْبِي . فَقَالَ : لَا يُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً
أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ تَوَجَّيْتُ سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأُحْكِمُ مِنْ أَمْرِهِمْ
مَا أُرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْمُلُ بِكَ
حَتَّى تَعُودَ فَتَنْظُرَ فِي وُجُوهِ جُلَسَائِهِ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو فَاثْنَدَ
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِو يَا أَخَا مَنْ لَا أَخَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فَكَ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحِيَا مَنْ لَا حَيَاةَ
 إِنَّ شَيْدَانَ قَبِيلٍ أَكْرَمَ اللَّهُ رَجَالَهُ
 وَأَبْوَكُ الْحَزِيزُ عَمْرُو وَشَرَا حَيْلُ الْحَمَالَةِ
 رَقِيَّاكَ الْيَوْمَ فِي الْمَجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

فَوَثَّ شَرِيكَ وَقَالَ: أَيْبَتُ اللَّعْنِ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ لِلطَّاءِيِّ بِخُمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لَشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا فِدَاءَ حِظَّةٍ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ بَكَ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا لِلنَّازِرَةِ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مِثْلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَقَفَ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرَيْ نَدِيمَيْهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَقْتُلَهُ لِيُخَيِّ الطَّاءِيَّ. فَلَمَّا
 كَادَتْ الشَّمْسُ تَغِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسِّيفِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حِظَّةُ الطَّاءِيَّ قَدْ تَكَنَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَفَلَتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوُفَاءُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْغَدْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النُّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَقَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِيَّ.

وَقَالَ : مَا أَدْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَعَادَ
إِلَيْهِ أُمُّ هَذَا الَّذِي صَبَّحَهُ . وَأَنَّا لَا أَكُونُ الْأُمُّ الثَّلَاثَةَ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَصَرَّ
مَعَ النُّعْمَانِ أَهْلُ الْحَيْرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى النُّعْمَانُ فِي حَاصِرَةِ مُلْكِهِ الْكُنَاسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرَيْرٍ أَبُو زَيْدٍ (٦٠٤ ب م) وَأَنْقَطَعَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمٍ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الْإِغَانِي)

٣ القساسة ملوك الشام بنو كهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عَمَالَ الْقِيَاصِرَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرٍ فِي آخِرِ أَمْرِهُمْ عَمَالًا لِلْأَكْسِرَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْيَمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِقَاضِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشَدَّ قَوْمٌ فَزَلُّوا
عَلَى مَاءٍ يُقَالُ لَهُ غَسَّانٌ فَصَيَّرُوهُ شَرِبَهُمْ فَسَمَوْا غَسَّانَ . ثُمَّ أَزَلَّهُمْ ثَغْلَبَةُ
أَبْنُ عَمْرِو النَّسَّانِيِّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصِرَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا زَلَّتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِيجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَّاسِيَّةِ الْإِثَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جَبَاتِهَا سَيْطًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَّاهُمْ فَقَصَدَ سَيْطُ ثَغْلَبَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَحْلَنَ لِي الْإِثَاوَةُ
أَوْ لَا خِذْنِ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَغْلَبَةُ حَلِيمًا فَقَالَ نَهَلْ لَكَ فِي مَنْ يُزِيحُ عَنْكَ
بِالْإِثَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جِدْعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جِدْعٌ فَإِنَّا
فَاتَاهُ سَيْطٌ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَغْلَبَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مِنْهُمْ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَقِّكَ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ الْإِثَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذهُ . فتَناولَ سَيْطُ جَفَنَ السَّيْفِ وَأَسْتَلَّ جُدْعُ نَصْلَهُ
وَضَرَبَهُ بِهِ . فَقِيلَ : خُذْ مِنْ جُدْعِ مَا أُعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَوَقَعَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيحٍ وَعَسَّانٍ فَأَخْرَجَتْ عَسَّانُ سَلِيحًا مِنَ السَّامِ وَصَارُوا
مُلُوكًا . وَأَسْتَقَرَّ مَلِكُ الْغَسَّاسِيَّةِ ٤٠٠ سَنَةً بَنِيْفٍ (*) (الحمزة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا اليها أخبار كندة) هم بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بغير ملكٍ تأكل القوي الضيف حتى ملك
حجرٌ وكان يُتبع حين أقبل سائرًا الى العراق استعمله عليهم . ففسد أمورهم وساسهم احسن
سياسةً وانتزع من اللخمين ارضهم وبقي وحده في مملكته مطاعًا لحسن سارته (٥٠٣ م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لانه اقتصر على ملك أبيه . ثم استغله الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده انوشروان وارجع المنذر الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب ولم يلبث ان مات عندهم . وكان الحارث اربعة
بنين ولآهم على قبائل كندة . وكان حجر اكبرهم متوليًا على بني اسد فنقضوا امره وقتلوه . فقام
امروء القيس واستجد بيكر وتقلب على بني اسد فانجدوه وهرب بنو اسد منهم وتبهم فلم يظفر
بهم . ثم تخاذلت عنه بكر وتقلب وتطلبه المنذر بن ماء السماء . ففرقت جموع امرىء القيس
خوفًا من المنذر وخاف امروء القيس من المنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينقل من
أناس الى أناس حتى قصد السموءل بن عادياء اليهودي فأكرمه وأنزلهُ . وأقام امروء القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امروء القيس الى قصر ملك الروم مستنجدًا به وأودع أدرعهُ
عند السموءل بن عادياء المذكور . ومر على حماة وشذر وقال في مسيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونهُ وألحق إنا لأحقان بقبصرا

فقلت له لا تبك عينك إنا نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا

فأت امروء القيس بعد عوده من عند قيصر عند جبلٍ يقال له عيب . ولأعلم عوته هناك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عيب

ولما مات امروء القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني الى السموءل وطالبه بإدراع

امرىء القيس وما له عنده وكانت الأدراع مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما

امتنع السموءل من تسليم ذلك الى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدراع وإما قتلت

ابنك . فقال السموءل : لست أخفر ذمتي فاضنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر اليه

ذكر العرب المستعربة بني اسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بُوعَدَنَانُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَتَوَلَّوْا سِدَانَةَ
الْكُعْبَةِ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَتِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعَمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرْهُمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمَنُ مَعَ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ . وَأَصَابَ أَيْمَنُ قَحْطُ قَحْرًا وَتِهَامَةُ يَطْلُبُونَ
الْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَحْتَلُّوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعَمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَلَشَأْ إِسْمَاعِيلَ بَيْنَ
جُرْهُمَ وَتَكَلَّمَ بِلِقَائِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَتَوَفَّى لِمِائَةِ
وِثْلَيْنِ سَنَةٍ مِنْ عُمُرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرْهُمَ يَعْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلَّوْا أَلْبَيْتَ الْحَرَامَ . وَكَانُوا وَلَاةً وَحُجَّابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَالَتْ وَلَايَةُ جُرْهُمَ اسْتَحْلَوْا مِنْ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظَمَاءًا وَاسْتَحْلَفُوا بِجُرْمَةٍ
أَلْبَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَائِرَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سِدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطْأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرْهُمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا:
مَا حُبَّ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضِيقُوا عَلَيْنَا مَرَاتِعَنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرَحَلُوا عَنَّا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فضرب العرب به المثل في الوفاء . وقال (السموئل :

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما خان أقوامٌ وفيتُ

بني لي عاديًا حصصًا حصينًا وماءٌ كلما شئتُ استقيتُ

رفيعًا تزلق العقبان عنه إذا ما نابني ضمُّ أبيتُ

وأوصى عاديًا قديمًا بآلًا هُدمَ يا سموئل ما بنيتُ

(لأبي الفداء)

أَحْبَنُكُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقْتَتَلُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْهَزَمَ جُرْهُمُ فَلَمْ
يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ فَهَدَرَهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمَنِ
وَالْحِزْزَةِ خُرَاعَةُ بَيْكَةِ قَوْلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَأَلَ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذْنَوْا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَبِيعَةُ
ابْنُ حَارِثَةَ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بَيْكَةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَائِفَ
الْإِبِلِ وَلَحْمَانَهَا عَلَى الثَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ جَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
قُرَيْشٌ وَالْعَرَبُ تَسْتَقْسِمُ عِنْدَهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَنِيفِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُرَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَانَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
قَامَ قُصِيُّ الْقُرَشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَبِي غَبْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
فَبَاعَهَا مِنْ قُصِيِّ بَرْقٍ خَمْرٍ فَقِيلَ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفْقَةِ أَبِي غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصِيُّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ وَاجْمَعَ لِحَرْبِ خُرَاعَةَ فَتَنَاجَزُوا
وَكَثُرَ الْقَتْلُ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُحْكَمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ م) . فَصَارَ
لِقُصِيِّ لَوَاءُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَيَمَّنَتْ قُرَيْشٌ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلِ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكُعبَةِ فَكَانَتْ مُجْتَمَعِ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشَ فِي مُشَاوَرَاتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
 ثُمَّ تَصَدَّى لِإِطْعَامِ الْحَاجِّ وَفَرَضَ عَلَى قُرَيْشَ خَرَجًا يُودُّونَهُ . ثُمَّ
 هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِهِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
 جَاءَ الْإِسْلَامُ (مَلَخَصٌ عَنْ كِتَابِ أَخْبَارِ مَكَّةَ لِلْأَزْرَقِيِّ)

(ملحق بتاريخ العرب)

١ اديان العرب

٤١٢ كانت العرب في أول أمرها على دين ابرهيم واسماعيل حتى قدم عمرو بن لحي بصنم
 يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشَ عندها فكان الرجل اذا قدم من سفر بدأ به
 على أهله بعد طوافه بالبيت وحلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خَزَر العقيق على صورة انسان
 وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْش فجمعت له بدأ من ذهب . وكانت له خزانة
 للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مستهم الحاجة ويقولون : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فَبِ
 (السِّرَاحِ) ان لم تقبله فسر القِدَاحِ

وكان بالكعبة على عينيها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
 تبارك له الناس به وقرءونه وتقبيله . وكان بأسفل مكة قد نُصِبَ صنم يُعرف بالملَصة فكانوا
 يلبسوها القلائد ويهدون اليها الشمير والحنطة . ويصبون عليها اللبن ويدبحون لها ويعاقون
 عليها بيض التمام . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من لكواكب . وهي المشري
 وقيل ان اصل اسمه ذوشراء اي ساطع النور . والزهرة وزُحَل والمرئخ وغيرها من الثوابت .
 ومن معبوداتهم أيضاً المناة واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي قديد .
 وكانت صخرة تُراق عليها دماء الذبائح ويلتمسون منها المطر في الجَدب . وكانت اللات أيضاً
 صخرة صنماً للشمس اذا مر عليها الحاج يلتوثها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي علا وعظم
 ومنه اسم الجلالة . وأما العزى فكانت شجرة يعظمها قُرَيْش وبنو كنانة . ويطوفون بها بعد
 طوافهم بالكعبة ويعكفون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
 واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراءى للسدنة وهم الحجبة وذلك من صنع إبليس وأمره . وكان
 بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا الها عبده دهرًا طويلاً ثم أصابهم مجاعة فأكلوه . فقبل في ذلك :

أكلت خنيفة رجلاً زمن التَّحَمُّمِ والمجاعة

لم يحذروا من رجيم سوء العقوبة والتَّبعاة

ومن أديانهم الجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئية أصنام الذهب للشمس وأصنام الفضة للقمر . وقسموا المعادن والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب تفيض على تلك الأصنام . فتتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس اغني الأصنام . وتعلم الناس منافهم وكذلك قالوا في الأشجار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أفردت تلك الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وفعل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حمير وكنانة وبني الحارث ابن كعب وكندة . واما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال الفيروزبادي : ان قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم العبادة . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصروا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وقضاة وجبلا وتنوخ وتغلب وبعض طي . وكانت قریش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة بمثل مريم مزوفاً وابنها عيسى في حجرها قاعداً مزوفاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تلمس صورتهما بل بقيتا الى عهد ابن زُبَيْر فهلكتا في الحريق (لنوبري والازرقى)

٦ علوم العرب وآدابهم

٢١٣ فاماً علم العرب الذي كانوا يتفاخرون به فعلهم لسانهم واحكام لغتهم ونظم الأشعار وتأليف الخطب . وكانوا موسومين بين الامم بالبيان في الكلام وال فصاحة في المنطق والذلاقة في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومفارجها وعلم بانواء الكواكب وامطارها . على حسب ما أدركوه بفطر العناية وطول التجربة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في اسباب المعيشة لا على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يحضهم الله شيئاً منه ولا همياً طبايعهم للمناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ومنتهى حكمته والمنظوم من كلامها والمقيد لأبيائها والشاهد على حكامها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا يحضنون إلا بفلام يولد او شاعر يبلغ فيهم اوفرس تنتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما تفخر به إلا السيف والضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق عكاظ ويتبايعون ويتناشدون ويتفاخرون ويتعاطفون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر ونفسيها له أن عمدت الى سبع قصائد من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال لها معالقات لأنها علقت في أستار الكعبة . أما الكتابة فحكموا أن ثلاثة نفر من طي كانوا على دين عيسى فوضوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأبار وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير بضعة عشر إنساناً . ولقلة القراطيس عندهم عمدوا الى كيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والاميون . والاي من كان لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والاميون بمكة (لاي الفرج والجوهري)

ثم بحولہ تعالی

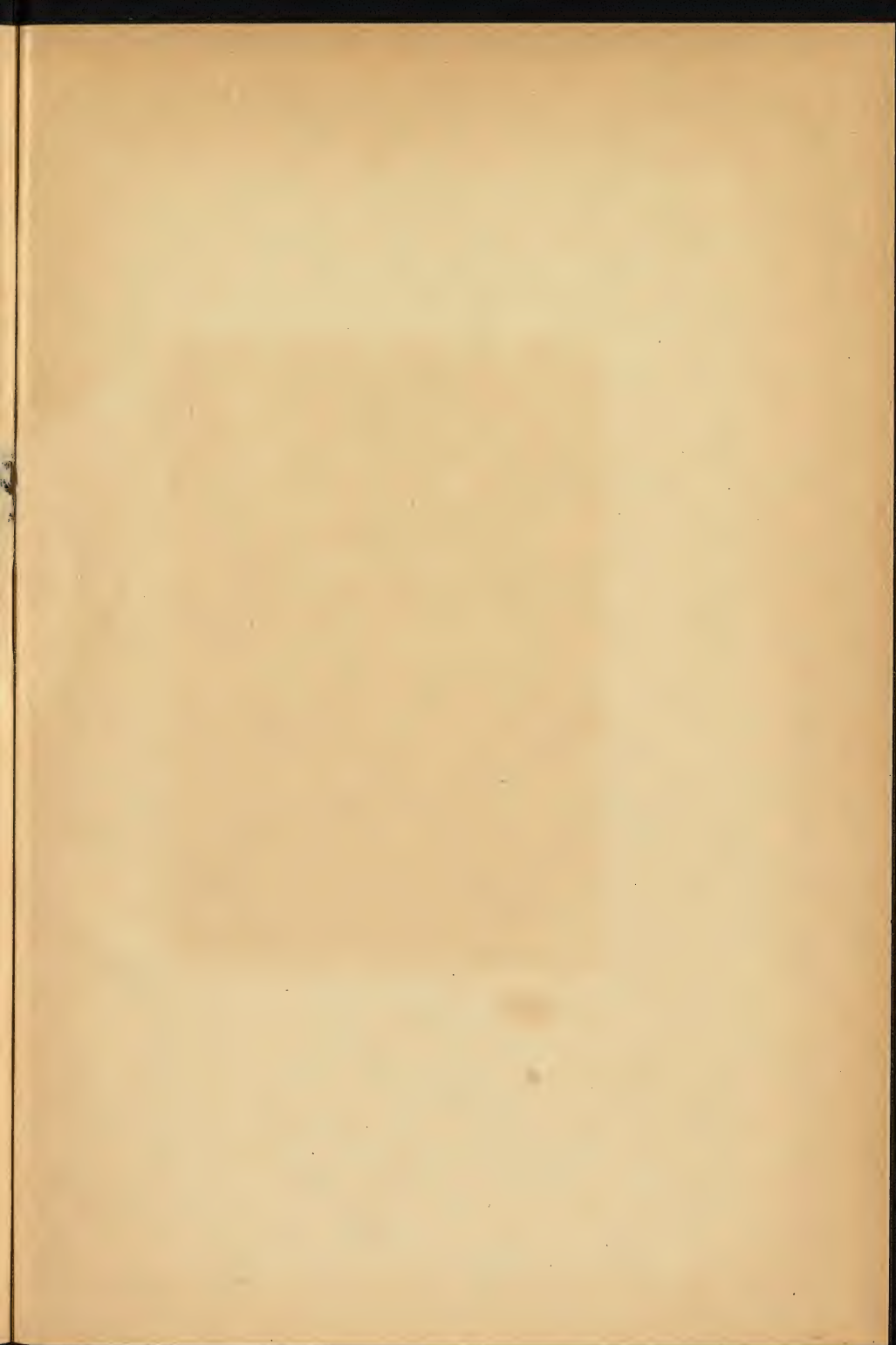
فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

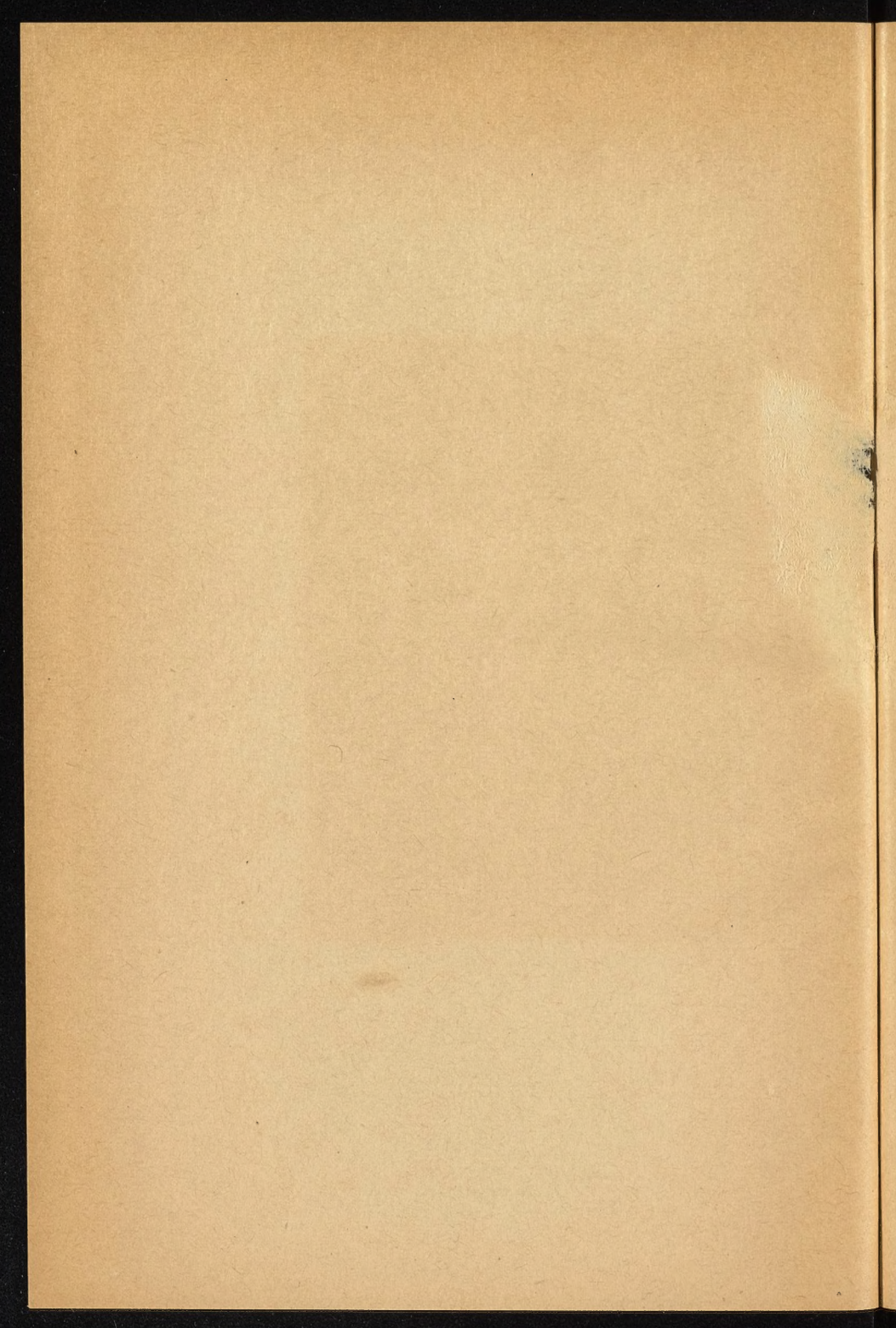
وجه	وجه
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره	٣ الباب الاول في التدئين
٦٤ اشعار جارية بحرى المثل	٣ في كما لاته تعالى
الباب السادس في امثال عن السنة	٤ الدعاء لله
٦٨ الحيوانات	٧ منتقب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البارزي والديك برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرد	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساعة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغيلم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الضبعة والرجل اسد وذئب وغراب	١٦ في الخوف زهد النعمان بن امرئ القيس
٨٣ الجدي السالم والذئب النادم	١٧ عدي بن زيد والنعمان
٨٥ فارة وهر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ الهدهد الغير المتروي	١٩ الراهب الجرجاني والشيخ عمر الصيني
٩٢ مالك الخزين والسمة	٢٩ حفظ الحواس
٩٤ انديك والتعلب	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٧ الجمل والملح	٣٢ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العابثون بجنته	٣٥ التوبة الى الله
١٠٣ الباب السابع في الفضائل والذائل	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٣ الصبر	٤٦ الباب الرابع في الحكم
١٠٥ القناعة	٥٠ نوادر بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧ العدل	٥٢ حكم شاتاق الهندي
١٠٩ الكرم	٥٤ اشعار حكمية
١١٠ الوفاء الراي والمشورة	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٣ الحسد	٦٢ فصل من نوادر كلام العرب
١١٤ حفظ اللسان وكتمان السر	٦٣ تبذ من كلام الرمشمري والبستي
١١٧ الغيبة	
١١٩ الصدق والكذب	

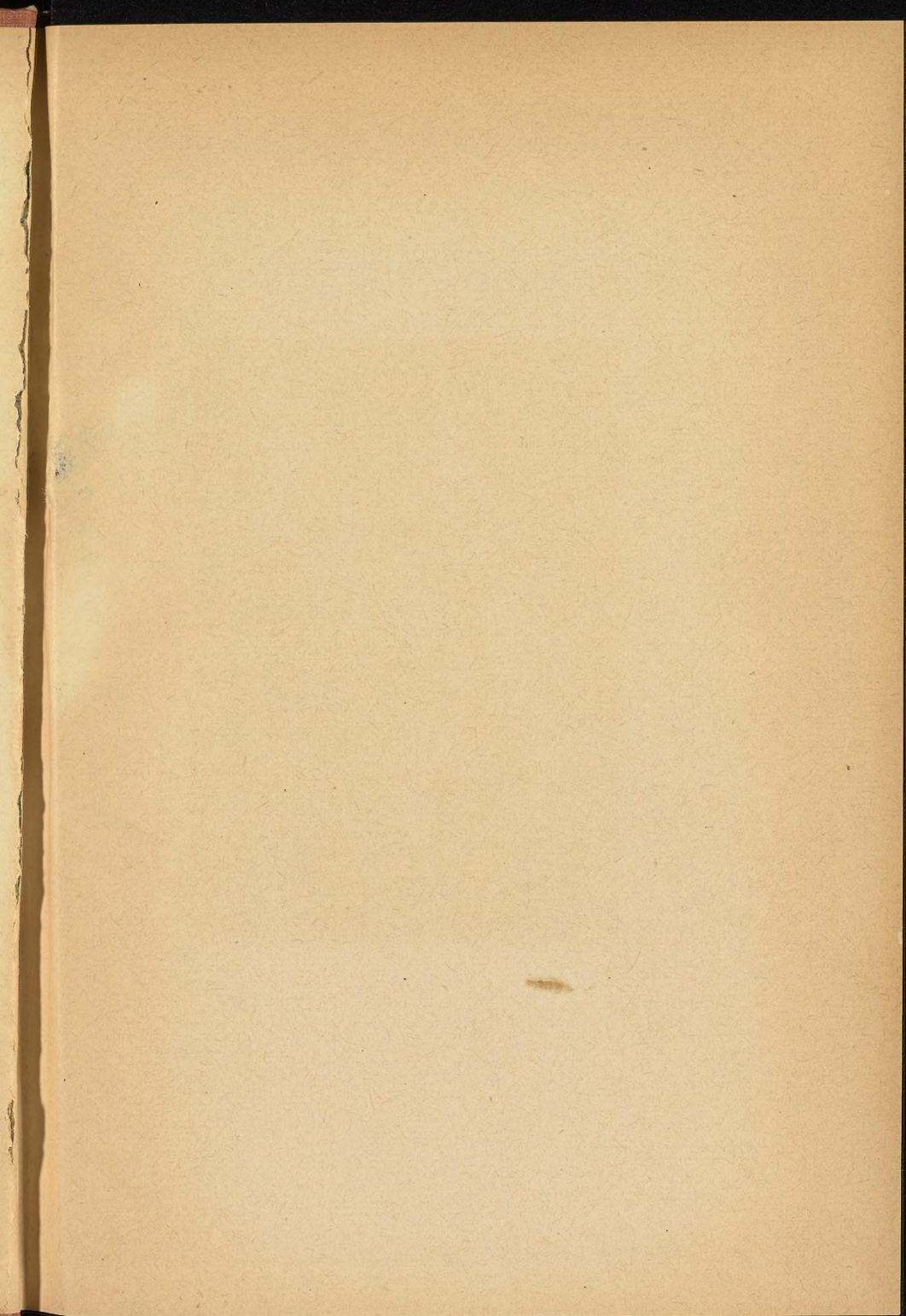
وجه	وجه
١٨٢	المزاح
الباب الثاني عشر في الالغاز	١٢٠
١٨٧	الصدقة وخلوص المودة
الباب الثالث عشر في الوصف	١٢١
١٩٤	المطل في الوعد التواضع والكبر
١٩٤	الباب الثامن في الذكاء والادب
١٩٤	١٢٩
١٩٥	في العقل وماهية وشرفه
١٩٦	١٣٣
٢٠٠	في العلم وشرفه
٢٠٣	وصف الكتاب
٢٠٨	١٣٨
٢٠٩	في البيان والبلاغة والفصاحة
٢١١	١٤١
٢١٢	في الشعر
٢١٤	١٤٢
٢١٥	في الأدب
٢١٨	١٤٦
٢١٩	الأدب الظاهرة
٢٢٠	١٥٠
٢٢٥	الباب التاسع في اللطائف
٢٢٥	١٥٠
٢٢٨	الحذاد والامير
٢٢٩	١٥١
٢٣٠	الحجج والفتية
٢٣١	١٥٢
٢٣٢	ابو العلاء وكتاب الفصوص
٢٣٥	١٥٣
٢٣٥	فتى فصيح علي بن الحزم والمتوكل
٢٣٥	١٥٤
٢٣٥	درواس بن حبيب وهشام
٢٣٥	١٥٥
٢٣٥	الشاعر المتروكي
٢٣٥	١٥٦
٢٣٥	المنصور وابن هبيرة
٢٣٥	١٦٠
٢٣٥	ابو عبادة الجعري عند المتوكل
٢٣٥	١٦٢
٢٣٥	الركاض والرشد
٢٣٥	١٦٤
٢٣٥	الأعمى والأعور
٢٣٥	١٦٦
٢٣٥	اولاد نزار عند الافعى
٢٣٥	١٦٧
٢٣٥	الباب العاشر في المديح
٢٣٥	١٧٦
٢٣٥	الباب الحادي عشر في الفخر والعجز
٢٣٥	١٨١
٢٣٥	ابن كندة عند كسرى

وجه	وجه
٢٨٧	معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨	مشهد الحسين
٢٩٠	مروءة اسماعيل الهزرجي
	جود حاتم الطائي
٢٩١	إيثار ابن مامة الايادي
	صنم سومانة
الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١	الباب السابع عشر في الاسفار ٢٤٢
نظر في امة العرب وطباعم وسكناتهم ٢٩١	مدخ السفر ٢٤٢
ذكر نسب العرب وتقاسيمهم ٢٩٢	ذم السفر ٢٤٤
اخبار عرب العاربة او البائدة ٢٩٢	سفرة ابن جبير الى جزيرة صقلية ٢٤٤
العرب المتعربة بنو قحطان ٢٩٤	الباب الثامن عشر في عجائب المخاوقات
ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان ٢٩٤	في شرح عجب الموجودات ٢٥٥
سد مأرب وتفرع بني سبا ٢٩٥	في جرم الشمس ووضعها ٢٥٩
ملك التابعة بني حمير في اليمن ٢٩٦	في كسوف الشمس وبعض خواصها ٢٦١
ملك شداد وتبع وافرقس وذو الاذعار ٢٩٦	فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته ٢٦٢
ملك بلقيس وناشر النعم وشمر مرعش ٢٩٧	في الحجرة والكراكب الثوابت ٢٦٤
ذو نواس وشهداء الصراية في نجران ٢٩٩	فصل في ارباع السنة ٢٦٥
استيلاء الحبشة على ملك اليمن ٣٠١	فصل في تولد الانهار ٢٦٨
اخبار سيف بن ذي يزن ٣٠٢	جسم الارض ودورانها وهيئتها ٢٦٩
ملك المناذرة بني كهلان في العراق ٣٠٤	في السحاب والمطر وما يتعلق بها ٢٧٠
ملك بن فهم وجذيمة الابرش وابن عدي ٣٠٤	في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك ٢٧١
امرؤ القيس البدء والحرق والنعمان ٣٠٦	الباب التاسع عشر في المراسلات ٢٧٣
المنذر والنعمان والاسود وامرؤ القيس ٣٠٨	في المراسلات بين الملوك والامراء ٢٧٣
ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس ٣٠٨	في الاشواق وحسن التواصل ٢٧٧
خبر نصر النعمان ٣٠٩	فصول في التهنية ٢٨١
الفساستة ملوك الشام بنو كهلان ٣١٢	في التوصية ٢٨٢
ملوك كندة ٣١٣	فصول في الذم ٢٨٤
ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل ٣١٤	
ملحق بتاريخ العرب ٣١٦	
ادبان العرب ٣١٦	
علوم العرب وآدابهم ٣١٧	

تمّ طبع هذا الكتاب في المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، في التاسع
عشر من شهر حزيران سنة ١٩٥٤







Library of



Princeton University.

Princeton University Library



32101 043490190



المكتبة الشرقية - بيروت